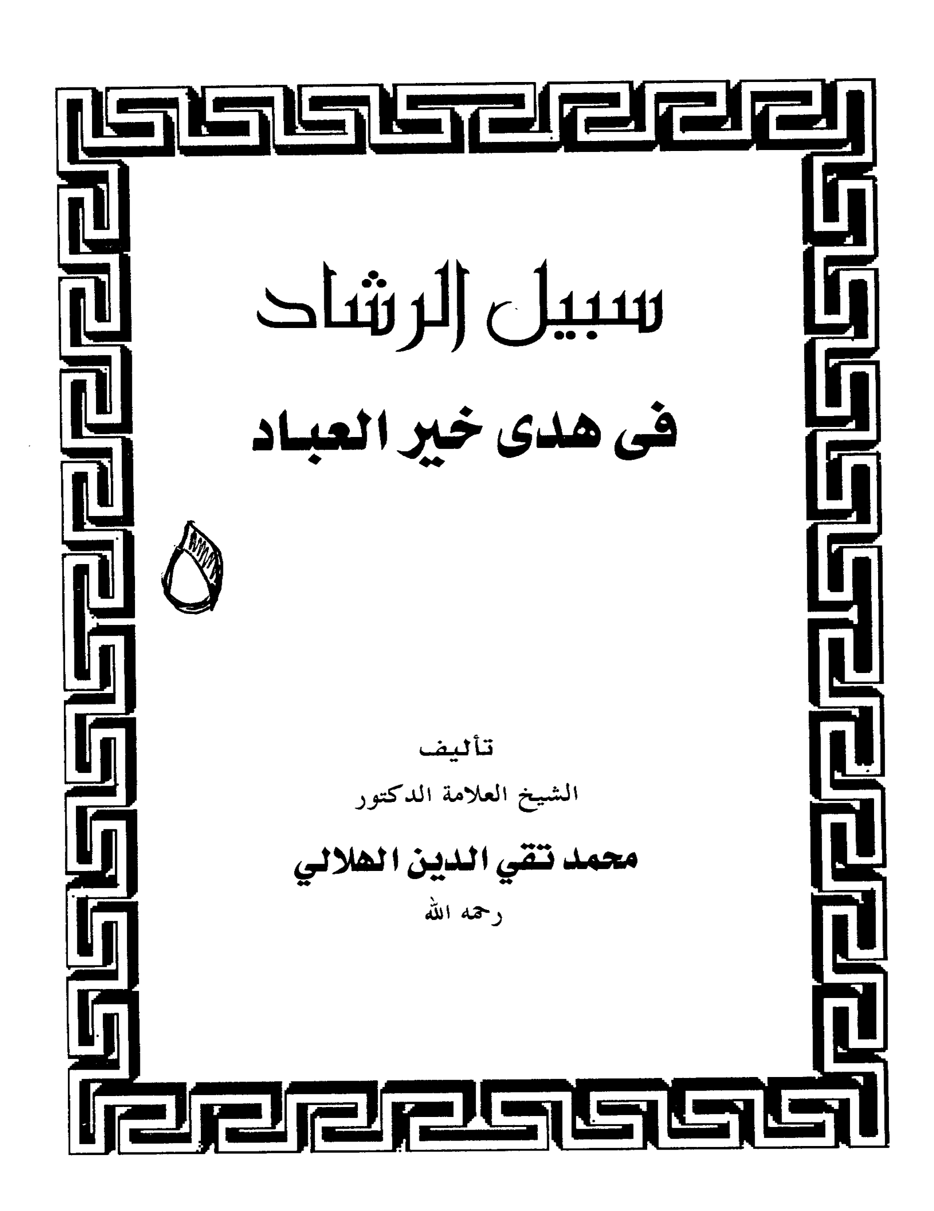


سبيل الرشاد

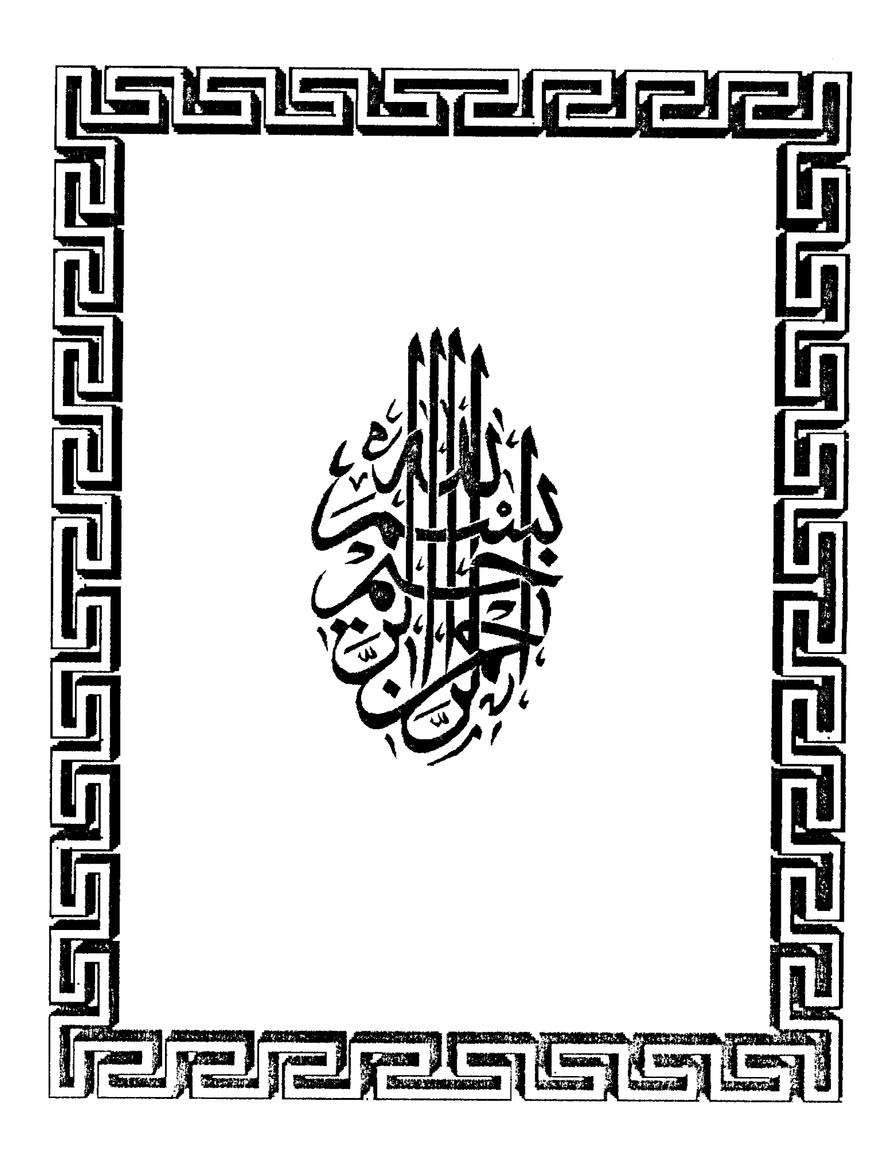
فى هدى خير العباد

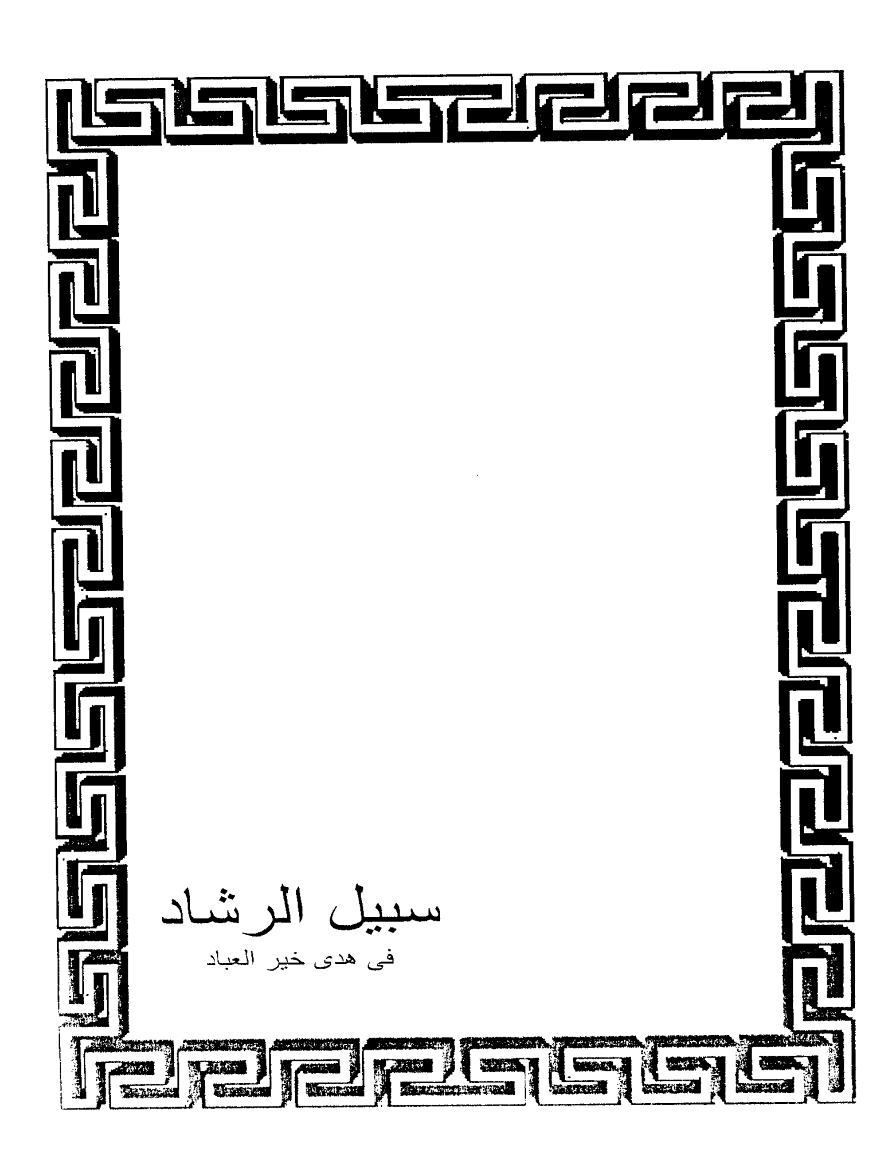
تأليف

الشيخ العلامة الدكتور

محمد تقي الدين الهلالي

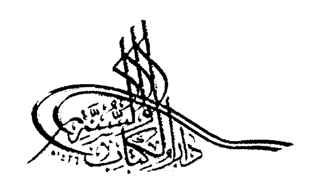
رحمه الله


بسم الله الرحمن الرحيم



سبيل الرشاد

في هدى خير العباد



الطبعة الأولي 19 /2/2007

لـ دار الكتاب والسنة

رقم الايداع بهيئة الكتب والوثائق القومية





المقر الرئيسي والإدارة 9 شارع احمد اسماعيل متفرع من منشية التحرير من شارع جسر السويس عين شمس الشرقية — القاهرة جمهورية مصر العربية .

جوال : 0020101021187 - 0020104671439

فاكس : 0020101021052

موقعنا علي الإنترنت

www.dar-ketab-sunah.com

البريد الإلكتروني

Dar_alktabwalsunnah@hotmail.com

Dar_alketabwalsunnah@yahoo.com

info@dar-ketab-sunah.com

الحمد لله الذي وصف نفسه بصفات الكمال ، وأمر خلقه أن يصفوه بها ونزه نفسه عن صفات النقص وأمر عباده أن ينزهوه عنها وسمى نفسه بأكمل الأسماء وأمر عباده أن يدعوه بها وأوعد من ألحد فيها بدخول دار العذاب ، أشهد أنه الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الهادي إلى الصراط المستقيم ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم انك حميد مجيد.

أما بعد ، فيقول العبد الفقير إلى رحمة ربه محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي الحسيني غفر الله ذنبه وستر في الدارين عيبه لم أزل منذ عهد الشباب أتمنى أن يوفقني الله تعالى إلى جمع آيات التوحيد بأنواعه وتفسيرها بأحاديث النبي الكريم وبأقوال الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وقد وفقني الله تعالى لإتمام القسم الأول ثم القسم الثاني: وها انذا أقف بباب الغنى الكريم خاشعا ذليلا أسأله أن يمن على بالتوفيق والعون على تأليف القسم الثالث وهو آيات الأسماء والصفات.

سورة الفاتحة

الباب الأول

في هذه السورة المباركة من أسمائه تعالى اسم الجلالة الله والرحمن والرحيم ورب العالمين ومالك يوم الدين. وفيها من الصفات الرحمة والربوبية والملك والهداية والإنعام والغضب وستأتي هذه الصفات كلها مفصلة فيما أنقله من الأئمة إن شاء الله.

سورة البقرة

الباب الأول

قوله تعالي: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٩].

قال القاسمي: بيان نعمة أخرى مرتبة على الأولى ، فإنما خلقهم أحياء ، وهذا خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم ، ويتم به معاشهم ، ومعنى « لكم » لأجلكم ، ولانتفاعكم ، وفيه دليل على أن الأصل في الأشياء المخلوقة الإباحة حتى يقوم دليل يدل على النقل عن هذا الأصل، ولافرق بين الحيوانات وغيرها ، مما ينتفع به من غير ضرر ، وفى التأكيد بقوله ﴿ جَمِيعاً ﴾ أقوى دلالة على هذا ، ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء ﴾ قال أبو العالية الرياحى: استوى إلى السماء اى ارتفع ،نقله عنه البخاري في صحيحه ورواه «ج» في تفسيره « عن الربيع بن أنس وقال البغوى: قال ابن عباس وأكثر المفسرين ،ارتفع إلى السماء ، وقال الخليل بن أحمد في ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء ﴾ ارتفع ، رواه أبو عمر بن عبد البر في شرح الموطأ نقلة الذهبي في كتاب العلو، وقد استدل بقوله ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى ﴾ على أن خلق الأرض متقدم على السماء.

وقال العالم المحقق محمد صديق حسن في فتح البيان ما نصه:

﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء ﴾ أى قصد وأقبل على خلقها وقيل عمد وقال ابن عباس ارتفع وقال الأزهري صعد أمره وكذا ذكره صاحب المحكم وذلك أن الله خلق الارض أولاً ثم عمد إلى خلق السماء وأص[illegible] يقتضى تراخيا زمانياً ولا زمان هنا فقيل هي إشارة إلى التراخي بين رتبتي خلق الارض والسماء قاله القرطبى والاستواء فى اللغة الاعتدال والانتصاب والاستقامة وضده الاعوجاج قاله فى الكشاف والرازى ويطلق على الارتفاع والعلو على الشيء قال تعالى ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ ﴾ وقال ﴿ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ﴾ وهذا المعنى هو المناسب لهذه الآية وقد قيل إن هذه الآية من المشكلات وقد ذهب كثير من الأئمة إلى الإيمان بها وترك التعرض لتفسيرها وخالفهم آخرون.

وقال (ك) فى قوله تعالى ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء ﴾ اى قصد إلى السماء والاستواء ههنا مضمن معنى القصد والاقبال لأنه عدى بالى.

وقال ابن الجوزى في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء ﴾ أى عمد الى خلقها، **وقال معين الدين فى تفسيره جامع البيان فى قوله تعالى ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء ﴾ قصد وارتفع.**

وقال ابن عطية فى تفسيره وقوله تعالى ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى ﴾ ثم هنا هي لترتيب الأخبار لا لترتيب الأمر فى نفسه، واستوى: قال قوم: معناه على دون تكييف ولا تحديد، هذا اختيار الطبري ، والتقدير علا أمره وقدرته وسلطانه.

وقال ابن كيسان: معناه قصد إلى السماء قال القاضي أبو محمد: أي بخلقه وارتفاعه.

وقيل معناه كمل صنعه فيها كما تقول استوى الأمر، قال القاضي أبو محمد: وهذا قلق: وحكى الطبري عن قوم: أن المعنى أقبل ، وضعفه.

وحكى عن قوم: المستوى هو الدخان ، وهذا أيضا يأباه رصف الكلام وقيل المعنى استولي كما قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

وهذا إنما يجيء فى قوله تعالى: ﴿ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ والقاعدة فى هذه الآية ونحوها منع النقلة وحلول الحوادث ويبقى استواء القدرة والسلطان.

فصل

قال محمد تقي الدين: قوله: بيان نعمة أخرى مرتبة على الأولى، الأولى: هي المفهومة من قوله تعالى في الآية فى الحادية والعشرين ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ فى هذه الآية امتن الله على عباده بايجا دهم من العدم وفى الآية التي نحن بصدد الكلام عليها امتن الله على عباده بان خلق لهم ما فى الارض جميعا وهذا يدل على أن الأصل فى الاشياء الإباحة حتى يقوم دليل على تحريم شيء منها ويبينه الحديث.

عن سلمان ﷺ سئل رسول الله ﷺ عن السمن والجبن والفراء فقال: «الحلال ما أحل الله فى كتابه والحرام ما حرم الله فى كتابه وما سكت منه رحمة بكم من غير نسيان فهو مما عفا عنه» رواه الترمذي وابن ماجة من رواية سيف بن هرون عن سليمان التيمى عن أبى عثمان.

والمسألة المهمة هنا التى عقدت هذا الباب لأجلها هي معنى قوله تعالي ثم استوى إلى السماء وقد اختلف فيها المفسرون كما تقدم فأكثر المفسرين من السلف أو كلهم فسروها بارتفع وفسرها الحافظ (ك) بقصد وما في معناها وقد اختلف أهل اللغة أيضا فى ذلك والراجح عندنا هو تفسير السلف فإن قال الجهمى الارتفاع يقتضى التنقل من تحت إلى فوق

وتلك صفة الأجسام ففي هذا التفسير تشبيه لله بخلقه فالجواب أن هذا التفكير السخيف هو سبب ضلال نفاة الصفات لقياسهم صفات الله على صفة المخلوقين وبسبب ذلك نفوا كلام الله تعالى وجواز رؤية العباد له بأبصارهم ونحن نقول: إن الله تعالى يرى بالأبصار يوم القيامة ويتكلم بحرف وصوت وارتفع إلى السماء فارتفاعه ليس كارتفاع المخلوق وكذلك استواؤه على عرشه وكلامه وعلمه وحياته وقدرته وإرادته ليس كمثله شيء وسيأتي مزيد بيان في الأبواب التالية إن شاء الله.

الباب الثاني

قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾ الآية: ٣٣

قال (ك) وقال «ج» وأولى الأقوال فى ذلك قول ابن عباس وهو إن معنى قوله تعالى: وأعلم ما تبدون وأعلم مع علمي غيب السموات والأرض ما تظهرونه بألسنتكم وما كنتم تخفون في أنفسكم فلا يخفى على شيء سواء عندي سرائركم وعلا نيتكم والذي أظهروه بألسنتهم قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ، والذي كانوا يكتمون ما كان منطويا عليه إبليس من الخلاف على الله في أوامره والتكبر عن طاعته ، قال وصح ذلك وكما تقول العرب قتل الجيش وهزموا ، وإنما قتل الواحد أو البعض وهزم الواحد أو البعض فيخرج الخبر عن المهزوم منه والمقتول مخرج الخبر عن جميعهم كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَات** ﴾ ذكر أن الذي نادى إنما كان واحدا من بنى تميم وكذلك قوله تعالى: ﴿ **وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ** ﴾.

فصل

قال محمد تقي الدين: المراد هنا ان علم الله محيط بكل شيء ولا يشارك الله أحد فى علمه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فهو عالم الغيب والشهادة وغيره لا يعلم إلا ما علمه الله قال تعالى ﴿ **قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾.

الباب الثالث

قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾. الآية ٢١٠

قال (ك) يقول تعالى مهددا للكافرين بمحمد صلوات الله وسلامه عليه ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ** ﴾ يعنى يوم القيامة لفصل القضاء بين الأولين والآخرين فيجزى كل عامل بعمله إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر: ولهذا قال تعالى: ﴿ **وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الامُورُ** ﴾ كما قال تعالى: ﴿ **كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا، وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا، وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى** ﴾ وقال: ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ** ﴾ الآية.

قال شيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية فى العقيدة الواسطية ما نصه.

وقوله تعالى: ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ** ﴾. ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ** ﴾. ﴿ **كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا، وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا** ﴾. ﴿ **وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاء بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائكَةُ تَنزِيلاً** ﴾.

قال شارح هذه العقيدة الأستاذ المحقق عبد العزيز آل محمد آل سلمان مدرس العقائد فى المعاهد العالية بالمملكة العربية السعودية ما نصه فى هذه الآيات إثبات صفه مجيء الله وإتيانه على ما يليق بجلاله وعظمته وهذا من أفعاله الاختيارية.

الآية الأولى: هل حرف استفهام ، ينظرون ينتظرون ، قال امرؤ القيس:

فإنكما إن تنظراني ساعة ... من الدهر تنفعني لدي أم جندب

فإذا كان النظر مقرونا بذكر الوجه أو معدي بالى لم يكن إلا بمعنى الرؤية ، الظلل: جمع ظلة وهو ما يظلك ، الغمام: السحاب الرقيق الأبيض ، سمي بذلك لأنه يغم أى يستر ، قضى الأمر: أى فرغ منه يقول تعالى: هل ينتظر الكفار الساعون فى الارض فسادًا التاركون

للدخول فى السلم المتبعون لخطوات الشيطان النابذون لأمر الله إلا يوم الجزاء بالأعمال الذي قد مليء من الأهوال والشدائد والفظائع التى تقلق القلوب الظالمة ، وذلك إن الله تعالى يطوى السموات وتنتثر الكواكب ، وتكور الشمس وتنزل الملائكة فتحيط بالخلائق وينزل الجبار فى ظلل من الغمام للفصل بالقضاء بين العباد بالعدل.

ففي الآية:

١- دليل لمذهب السلف المثبتين للصفات والأفعال الاختيارية.

٢ -إثبات الصفات على ما يليق بجلاله وعظمته.

٣- فيها تخويف ووعيد وتهديد لمن كفر بالله وعصاه.

٤ - إثبات صفة الكلام لله.

٥ - إثبات البعث والحساب والجزاء على الأعمال.

٦ - إثبات الالوهية لله.

٧ - دليل على علو الله على خلقه.

٨ - الرد على من انكر صفة الإتيان أو أولها بتأويل باطل.

٩ - إتيان الملائكة.

١٠- فى الآية عبرة للمؤمن ترغبه فى المبادرة إلى التوبة لئلا.

يفاجئه وعد الله وهو غافل فإذا لم يفاجئه قيام الساعة وهلاك هذا العالم كله فاجأه قيام قيامته بموته بغتة فإذا لم يجئه بغتة جاءه المرض بغتة فلا يقدر على العمل وتدارك الزلل.

الآية الثانية:

يقول تعالى: هل ينظر الذين استمروا فى ظلمهم وعنادهم إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم ، وعند ذلك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرًا، أو يأتي ربك لفصل القضاء بين العباد لمجازات المحسنين والمسيئين.

وهذه الآية وما أشبهها دليل لمذهب السلف أهل السنة والجماعة المثبتين للصفات والأفعال الاختيارية كالاستواء والنزول والمجيء ونحو ذلك من الصفات التى أخبر تعالى بها عن نفسه أو أخبر بها عنه رسوله ﷺ فيثبتونها على الوجه اللائق بجلاله وعظمته من غير

تشبيه ولا تحريف ولا تمثيل ولا تعطيل خلافا للمعطلة من جهمية أو معتزلة أو أشاعرة ونحوهم من نفاة الصفات أو يتأول لأجلها الآيات بتأويلات ما انزل الله بها من سلطان والزعم بان كلامهم هو الذي تحصل به الهداية فى هذا الباب فهؤلاء ليس معهم دليل نقلى ولا عقلي. أما النقلى فقد اعترفوا أن النصوص الواردة فى الكتاب والسنة ظاهرها بل صريحها دال على مذهب أهل السنة والجماعة وإنها لا تحتاج لدلالتها على مذهب المبتدعين الباطل إن تخرج عن ظاهرها ويزاد فيها وينقص وهذا لا يرتضيه من فى قلبه مثقال ذرة إيمان.

وأما العقلي فليس فى العقل ما يدل على نفى الصفات بل دل العقل على أن الفاعل أكمل من الذي لا يقدر على الفعل ، وأن فعله تعالى المتعلق بنفسه والمتعلق بخلقه هو كمال فإن زعموا إن إثباتها يدل على التشبيه بخلقه قيل لهم: الكلام على الصفات يتبع الكلام على الذات فكما أن لله ذاتا لا تشبهها الذوات فله صفات لا تشبهها الصفات

فصفاته تبع لذاته وصفات خلقه تبع لذو اتهم فليس فى إثباتها ما يقتضى التشبيه ويقال أيضا لمن أثبت بعض الصفات ونفى بعضا أو اثبت الأسماء دون الصفات أما أن تثبت الجميع كما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ ، وأما أن تنفى الجميع وتكون منكرا لرب العالمين وأما إثباتك بعض ذلك ونفيك لبعضه فهذا تناقض ففرق بين ما أثبته وما نفيته ولن تجد إلى الفرق سبيلا.

فإن قلت: ما أثبته لا يقتضى تشبيها ، قال لك أهل السنة والإثبات لما نفيته لا يقتضى تشبيها.

فإن قلت: لا اعقل من الذي نفيته إلا التشبيه ، قال لك النفاة: ونحن لا نعقل من الذي أثبته إلا التشبيه ، فما أجبت به النفاة أجابك به أهل السنة.

والحاصل: أن من نفى شيئا وأثبت شيئا مما دل الكتاب والسنة على إثباته فهو متناقض لا يثبت له دليل شرعي ولا عقلي ، بل قد خالف المعقول والمنقول.

وقوله ﴿ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ أى الدالة على قرب قيام الساعة وهو طلوع الشمس من مغربها ، وطلوعها من مغربها هو أحد اشراط الساعة الكبار ، وأمارات الساعة

ثلاثة أقسام: قسم ظهر وانقضى ، كبعثة النبي ﷺ ، ووقعة الجمل ، وصفين ، ونحوهما، وللك بنى أمية والعباسية ، ونار الحجاز التى أضاءت منها أعناق الإبل ببصري وخروج الكذابين المدعين النبوة ، وكثرة المال والزلزال ، وقسم متوسط ككون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع واماتة الصلاة وإضاعة الأمانة والتباهي بالمساجد وأكل الربا ونحو ذلك، وكرفع العلم وكثرة الجهل ، وكثرة الزنا وشرب الخمر ، وقلة الرجال وكثرة النساء، وتوسيد الأمور إلى غير أهلها ، ولحوق حي من الأمة بالمشركين وعبادة فئام من الأمة الأوثان وغير ذلك، والقسم الثالث العلامات

العظام التى تعقبها الساعة وهى عشر ، نظمها السفاريني بقوله:

وما أتى بالنص من أشراط فكله حق بلا شطاط

منها الإمام الخاتم الفصيح محمد المهدي والمسيح

وأنه القاتل للدجال بباب « لد » خل عن جدال

وأمر يأجوج ومأجوج أثبت فإنه حق كهدم الكعبة

وإن منها آية الدخان وأنه يذهب بالقرآن

طلوع شمس الأفق من دبور كذات أجياد على المشهور

وآخر الآيات حشر النار كما أتى في محكم الأخبار

فكلها صحت بها الآثار وسطرت آثارها الأخبار

ففي الآية أمور:

١- دليل لمذهب السلف المثبتين للصفات والأفعال الاختيارية.

٢- إتيان الملائكة.

٣- إتيان الرب جل وعلا على ما يليق بجلاله وعظمته.

٤- التخويف والوعيد والتهديد لمن كفر بالله وعصاه.

٥- إثبات صفة الكلام لله.

٦- إثبات الربوبية.

٧- دليل على علو الله على خلقه.

٨- الرد على من أنكر إتيان الرب أو أوله بتأويل باطل.

٩- الحث على التوبة خوف مفاجأة القيامة العامة أو الخاصة.

١٠- الحث على مراقبة الله.

١١- إثبات البعث والحشر والحساب والجزاء على الأعمال.

١٢- أن الله قسم ونوع، ففرق بين إتيان الرب وإتيان الملائكة.

الآية الثالثة:

الدك: حط المرتفع بالبسط والتسوية، ومنه إندكاك سنام البعير إذا انغرس في ظهره، وناقة دكاء إذا كانت كذلك.

قال الشاعر:

ليت الجبال تداعت عند مصرعها دكا فلم يبق من أحجارها حجر

وقوله: ﴿ وَجَاء رَبُّكَ ﴾ أي لفصل القضاء ﴿ وَالْمَلَكُ ﴾ أي جنس الملائكة ﴿ صَفًّا صَفًّا ﴾ أي صف بعد صف.

يؤخذ من الآية أمور:

١- إثبات المجيء على ما يليق بجلاله وعظمته.

٢- دليل على إتيان الملائكة.

٣- دليل على علو الله على خلقه.

٤- حث على التقلل من الدنيا والعمل للآخرة.

٥- إثبات الربوبية.

٦- الرد على من أنكر صفة المجيء أو أولها بتأويل باطل.

٧- دليل على البعث والحساب والجزاء على الأعمال.

٨- الحث على المراقبة.

٩- الحث على محاسبة النفس والاستعداد لذلك اليوم.

١٠- أن ما على الأرض من جبال وقصور وأبنية يزول وتكون قاعًا صفصفًا لا ترى فيها عوجًا ولا أمتا.

١١- دليل على أنه هو ذلك اليوم الذي ترجف له القلوب وتخشع له الأبصار.

١٢- أن الله هو الذي يتولى الحكم والفصل في ذلك اليوم.

١٣- أن الملائكة يأتون صفوفًا.

١٤- دليل على قدرة الله.

الآية الرابعة:

يخبر تعالى عن عظمة يوم القيامة وما فيه من الشدائد والأهوال والكروب ومزعجات القلوب فقال: واذكر يوم تشقق السماء بالغمام وتنفتح عنه وذلك الغمام ينزل فيه فوق سمواته وتنزل الملائكة ويحيطون بالخلائق في مقام الحشر.

ففي الآية أمور:

١- إثبات مجيء الله ونزوله ونفس الدليل من الآية على نزول الله بذاته سبحانه على ما يليق بجلاله وعظمته كما هو المتبادر من النصوص وأفعاله سبحانه قائمة فيه فيجب إثباتها على الوجه اللائق بجلاله وعظمته قال القحطاني:

والله يومئذ يجيء لعرضنا مع أنه في كل وقت دان
والأشعري يقول يأتي أمره ويعيب وصف الله بالإتيان

ويؤخذ من الآية أمور:

١- إثبات البعث والحشر والحساب والجزاء على الأعمال.

٢- الحث على الاستعداد لذلك اليوم.

٣- دليل على نزول الملائكة.

٤- الرد على من أنكر المجيء.

٥- إثبات صفة الكلام لله.

٦- دليل على علو الله على خلقه.

٧- دليل على نزول الملائكة.

٨- أن السماء تتغير عن حالتها لعظم ذلك اليوم.

أنواع الإتيان والمجيء:

وبيان الرد على من أول النزول والمجيء بمجيء الأمر ونحو ذلك الإتيان والمجيء المضاف إلى الله نوعان مطلق ومقيد فإذا كان مجيء رحمته وعذابه ونحو ذلك قيد بذلك كما جاء في الحديث: « حتى جاء الله بالرحمة والخير » وكقوله: ﴿ **وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ** ﴾ والنوع الثاني: الإتيان والمجيء المطلق فهذا لا يكون إلا مجيئه سبحانه كقوله: ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ** ﴾ وقوله: ﴿ **وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا** ﴾ أما الرد على من أول النزول والمجيء بمجيء الأمر وأنه من مجاز الحذف فهذا باطل من وجوه: أحدها أنه إضمار ما لا يدل عليه اللفظ لا بمطابقة ولا تضمن ولا التزام وادعاء حذف ما لا دليل عليه يرفع الوثوق من الخطاب ويجرئ كل مبطل على ادعاء إضمار ما يصحح باطله. الثاني: أن صحة التركيب واستقامة اللفظ لا تتوقف على هذا المحذوف بل الكلام مستقيم تام قائم المعنى بدون إضمار فإضماره مجرد خلاف الأصل فلا يجوز. الثالث: أنه إذا لم يكن في اللفظ دليل على تعيين قول المتكلم بلا علم وإخبار عنه بإرادة ما لم يقم دليل على إرادته وذلك كذب عليه. الرابع: في السياق ما يبطل هذا التقدير وهو قوله تعالى: ﴿ **وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ** ﴾ فعطف مجيء الملك على مجيئه سبحانه يدل على تغاير المجيأين وإن مجيئه حقيقة كما أن مجيء الملك حقيقة بل مجيء الرب أولى أن يكون حقيقة من مجيء الملك وكذلك قوله: ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ** ﴾ فقسم ونوع ومع هذا التقسيم يمتنع أن يكون القسمان واحد فتأمله اهـ « من كلام بن القيم ».

قال: وأما من قال: يأتي أمره وتنزل رحمته وأمره فإن أراد أنه سبحانه إذا نزل وأتى حلت رحمته وأمره فهذا حق وإن أراد أن النزول والمجيء والإتيان للرحمة والأمر ليس إلا ذلك فهو باطل من وجوه عديدة قد تقدمت ونزيدها وجوهًا أخر منها: أن يقال أتريدون رحمته وأمره صفته القائمة بذاته أم مخلوقًا منفصلاً سميتموه رحمة وأمرًا فإن أردتم الأول فنزوله يستلزم نزول الذات ومجيئها قطعًا، وإن أردتم الثاني كان الذي ينزل ويأتي لفصل القضاء مخلوقًا محدثًا لرب العالمين وهذا معلوم البطلان قطعًا وهو تكذيب صريح فإنه يصح معه أن يقال: لا ينزل إلى السماء الدنيا ويأتي لفصل القضاء وإنما ينزل ويأتي غيره، ومنها: كيف يصح

أن يقول ذلك المخلوق لا أسأل عن عبادي غيري ويقول: من يستغفرني فأغفر له ؟ ونـزول رحمته وأمره مستلزم لنزوله سبحانه ومجيئه وإثبات ذلك للمخلوق مستلزم للباطل الذي لا يجوز نسبته إليه سبحانه مع رد خبره صريحًا ومنها أن نزول رحمته وأمره لا يختص بالثلث الأخير ولا بوقت دون وقت ينـزل أمره فلا تنقطع رحمته ولا أمره عن العالم العلوي والسفلي طرفة عين اهـ. « من مختصر الصواعق ».

قال الحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي المتوفى سنه (٦٠٠) في عقيدته في المجموعة العلمية السعودية صفحة ٣٥ ما نصه.

وتواترت الأخبار وصحت الآثار بأن الله عز وجل ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا فيجب الإيمان والتسليم له وترك الاعتراض عليه وإمراره من غير تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تنزيه ينفي حقيقة النزول فروي أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « ينزل ربنا عز وجل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقي ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له حتى يطلع الفجر » وفي لفظ ينـزل الله عز وجل ولا يصح حمله على نزول القدرة ولا الرحمة ولا نـزول ملك لما روي مسلم بإسناده عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: « ينـزل الله عز وجل إلى سماء الدنيا حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول: أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له من ذا الذي يستغفرني فأغفر له حتى يضيء الفجر »، وروي رفاعة بن عروبة الجهني عن رسول الله ﷺ قال: «إذا مضى نصف الليل أو ثلث الليل ينـزل الله عز وجل إلى سماء الدنيا فيقول: لا أسأل عن عبادي أحدًا غيري من ذا الذي يستغفرني أغفر له من ذا الذي يدعوني أستجيب له من ذا الذي يسألني أعطيه حتى ينفجر الصبح » رواه الإمام أحمد وهذان الحديثان يقطعان تأويل كل متأول ويدحضان حجة كل مبطل وروي حديث النزول على بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود، وجبير بن مطعم وجابر بن عبد الله وأبو سعيد الخدري وعمرو بن عتبة وأبو الدرداء وعثمان بن أبي العاص ومعاذ بن جبل وأم سلمة زوج النبي ﷺ وخلق سواهم ونحن مؤمنون بذلك مصدقون من غير أن نصف له كيفية أو نشبهه بنزول المخلوقين وقد قال بعض العلماء سئل أبو حنيفة عنه

يعني عن النزول فقال ينزل بلا كيف وقال محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة الأحاديث التي جاءت أن الله يهبط إلى سماء الدنيا ونحو هذا من الأحاديث أن هذه الأحاديث قد روتها الثقات فنحن نرويها ونؤمن بها ولا نفسرها وروينا عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال كنت أنا وأبي في المسجد فسمع قاصًا يقص في حديث النزول فقال: « إذا كان ليلة النصف من شعبان ينزل الله عز وجل إلى سماء الدنيا بلا زوال ولا انتقال ولا تغير حال » فارتعد أبي رحمه الله واصفر لونه ولزم يدي فأمسكته حتى سكن ثم قال قف بنا على هذا المتخرص فلما حاذاه قال: يا هذا رسول الله ﷺ، أغير على ربك منك قل كما قال رسول الله ﷺ وانصرف قال حنبل قلت لأبي عبد الله يعني أحمد ينزل الله إلى سماء الدنيا قلت نزوله بعلمه أو ماذا فقال لي اسكت عن هذا مالك ولهذا: امض الحديث على ما روي بلا كيف ولا حد على ما جاءت به الآثار وبما جاء به الكتاب وقال إسحاق بن راهويه قال لي الأمير عبد الله بن طاهر يا أبا يعقوب: هذا الحديث الذي ترويه عن رسول الله ﷺ ينزل ربنا عز وجل شأنه كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف ينزل قال: قلت: أعز الله الأمير لا يقال لأمر الرب عز وجل كيف إنما ينزل بلا كيف ومن قال: يخلو العرش عند النزول أو لا يخلو فقد أتى بقول مبتدع ورأى مخترع.

وقد ألف شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رحمه الله كتابًا في شرح حديث النزول جوابًا عن سؤال رفع إليه ومضمونه أن رجلين اختلفا فقال أحدهما: ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقي الثلث الأخير من الليل الحديث »: فأنكر ذلك الرجل الآخر: وقال: إنما تنزل رحمته وسأله كيف ينزل فقال: ينزل كما شاء بلا كيف إلى آخر ما جري بينهما وسأنقل هنا شيئًا من جواب شيخ الإسلام فإنه طويل يشتمل على مائة وست عشرة صفحة وفيه فوائد كثيرة زائدة عن جواب السؤال حتى صار كتاب عقيدة كاملاً قال شيخ الإسلام:

الحمد لله رب العالمين أما القائل الأول الذي ذكر نص النبي ﷺ فقد أصاب فيما قال فإن هذا القول الذي قاله قد استفاضت به السنة عن النبي ﷺ واتفق سلف الأمة وأئمتها وأهل العلم بالسنة والحديث على تصديق ذلك وتلقيه بالقبول، ومن قال ما قاله الرسول ﷺ

فقوله حق وصدق وإن كان لا يعرف حقيقة ما اشتمل عليه من المعاني كمن قرأ القرآن ولم يفهم ما فيه من المعاني فإن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ والنبي ﷺ قال هذا الكلام وأمثاله علانية وبلغه الأمة تبليغًا عامًا لم يخص به أحدًا دون أحد ولا كتمه عن أحد وكان الصحابة والتابعون تذكره وتأثره وتبلغه وترويه في المجالس الخاصة والعامة واشتملت كصحيحي البخاري ومسلم وموطأ مالك ومسند الإمام أحمد، وسنن أبي داوود والترمذي والنسائي وأمثال ذلك من كتب المسلمين لكن من فهم من هذا الحديث وأمثاله ما يجب تنزيه الله عنه كتمثيله بصفات المخلوقين ووصفه بالنقص المنافي لكماله الذي يستحقه فقد أخطأ في ذلك وإن أظهر ذلك منع عنه وإن زعم أن الحديث يدل على ذلك ويقتضيه فقد أخطأ أيضًا في ذلك فإن وصفه سبحانه وتعالى في هذا الحديث بالنزول هو كوصفه بسائر الصفات كوصفه بالاستواء إلى السماء وهي دخان ووصفه بأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ووصفه بالإتيان والمجيء في مثل قوله: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ وقوله: ﴿ وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ وكذلك قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾. وقوله: ﴿ وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾. وقوله: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ ﴾. وقوله: ﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ وأمثال ذلك من الأفعال التي وصف الله تعالى بها نفسه التي تسميها النحاة أفعالاً متعدية وهي غالب ما ذكر في القرآن ويسمونها لازمة لكونها لا تنصب المفعول به بل لا تتعدى إليه إلا بحرف الجر كالاستواء إلى السماء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا ونحو ذلك فإن الله وصف نفسه بهذه الأفعال ووصف نفسه بالأقوال والأزمنة المتعدية في مثل قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ ﴾ وقوله: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ اهـ المراد نقله منه في هذا المقام.

الباب الرابع

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

قال (ك): روي الإمام أحمد بسنده عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ سأله: « أي آية في كتاب الله أعظم ؟ قال: الله ورسوله أعلم فرددها مرارًا ثم قال أبي: آية الكرسي قال: « ليهنك العلم أبا المنذر والذي نفسي بيده إن لها لسانًا وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش ».

وروي أحمد والأربعة إلا النسائي: عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت سمعت: رسول الله ﷺ يقول في هاتين الآيتين: ﴿ **اللَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ...** ﴾ و ﴿ **الم (١) اللَّـهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾ أن فيهما اسم الله الأعظم.

وروي النسائي في اليوم والليلة وابن حبان في صحيحه عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: « من قرأ دبر كل صلاة مكتوبة آية الكرسي لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت » **قال (ك):** إسناده على شرط البخاري وروي البخاري في كتاب فضائل القرآن من صحيحه في صفة إبليس: بسنده عن أبي هريرة قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال: دعني فإني محتاج وعلى عيال ولي حاجة شديدة قال فخليت عنه فأصبحت فقال النبي ﷺ: يا أبا هريرة: « ما فعل أسيرك البارحة ؟» قال: قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته وخليت سبيله قال: « أما أنه قد كذبك وسيعود»، فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ أنه سيعود فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني فإني

محتاج وعلى عيال لا أعود فرحمته وخليت سبيله فأصبحت فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة » قلت: يا رسول الله شكا حاجة وعيالاً فرحمته فخليت سبيله قال: « أما إنه قد كذبك وسيعود » فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم أنك لا تعود ثم تعود فقال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: وما هي ؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ اللَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: «ما فعل أسيرك البارحة ؟» قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال: ما هي ؟ قال: قال لي إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية: ﴿ اللَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، وكانوا أحرص شيء على الخير فقال النبي ﷺ: «أما إنه صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب من ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟» قلت: لا. قال: «ذاك شيطان».

وهذه الآية مشتملة على عشر جمل مستقلة:

فقوله: ﴿ اللَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ إخبار بأنه المنفرد بالإلهية لجميع الخلائق ﴿ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ أي الحي في نفسه الذي لا يموت أبدا القيم لغيره، وكان عمر يقرأ القيام فجميع الموجودات مفتقرة إليه وهو غني عنها ولا قوام لها بدون أمره كقوله ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ﴾ وقوله: ﴿ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ ﴾ أي لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه بل هو قائم على كل نفس بما كسبت شهيد على كل شيء لا يغيب عنه شيء ولا يخفى عليه خافية ومن تمام القيومية أنه لا يعتريه سنة ولا نوم فقوله ﴿ لاَ تَأْخُذُهُ ﴾ أي لا تغلبه سنة وهي الوسن والنعاس ولهذا قال ولا نوم لأنه أقوى من السنة.

قال القنوجي في فتح البيان ما نصه:

﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ﴾ يقال فلان وسع الشيء سعة إذا احتمله وأمكنه القيام به واصل الكرسي في اللغة مأخوذ من تركب الشيء بعضه على بعض ومنه الكراسة لتركيب بعض

أوراقها على بعض وفي العرف ما يجلس عليه والكرسي هنا الظاهر أنه الجسم الذي وردت الآثار بصفته كما سيأتي بيانات ذلك وقد نفي وجوده جماعة من المعتزلة وأخطؤوا في ذلك خطأ بينًا وغلطوا غلطًا فاحشًا، وقال بعض السلف أن الكرسي هنا عبارة عن العلم قالوا ومنه قيل للعلماء كراسي ومنه الكراسة التي يجمع فيها العلم ورجح هذا القول ابن جرير الطبري وفي القاموس الكرسي بالضم والكسر السرير والعلم، والجمع كراسي وقيل كرسيه قدرته التي يمسك بها السموات والأرض كما يقال: اجعل لهذا الحائط كرسيًا أي ما يعمده وقيل أن الكرسي هو العرش وقيل هو تصوير لعظمته ولا حقيقة له قال التفتزاني أنه من باب إطلاق المركب الحسي المتوهم على المعنى العقلي المحقق وقال البيضاوي لا كرسي في الحقيقة ولا قاعد وهو تمثيل مجرد وقيل هو عبارة عن الملك والسلطان مأخوذ من كرسي العالم والملك والحق القول الأول ولا وجه للعدول عن المعنى الحقيقي إلا مجرد خيالات وضلالات جاءت عن الفلاسفة أقمأهم الله تعالى والمراد بكونه وسع ﴿ **السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ** ﴾ أنها صارت فيه وأنه وسعها ولا يضيق عنها لكونه بسيطًا واسعًا.

قال (ك): وقوله: ﴿ **وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا** ﴾ أي لا يثقله ولا يكرثه حفظ السموات والأرض وما فيهما وما بينهما بل ذلك سهل عليه يسير لديه وهو القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب على جميع الأشياء فلا يعزب عنه شيء ولا يغيب عنه شيء والأشياء كلها حقيرة بين يديه متواضعة ذليلة صغيرة بالنسبة إليه محتاجة فقيرة وهو الغني الحميد الفعال لما يريد الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، وهو القائم لكل شيء الحسيب على كل شيء الرقيب العلي العظيم لا إله غيره ولا رب سواه فقوله: ﴿ **وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** ﴾ كقوله وهو الكبير المتعال وهذه الآيات وما في معناها من الأحاديث الصحاح الأجود فيها طريقة السلف الصالح أمروها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه.

فصل

قال محمد تقي الدين: مستعينًا بالله وحده، سبب الفضل الذي رأيناه في آية الكرسي أنها اشتملت على توحيد الله في فاتحتها وأسمائه الحسنى الحي القيوم العلي العظيم وصفاته بأنه الرقيب الذي لا يغفل ويروي أن الله تعالى أراد أن يعلم عبده موسى عليه الصلاة والسلام

تعليمًا عمليًا بأنه لا يغفل عن عباده فأمره أن يأخذ قارورتين مملوءتين ماء وأن يمسك كل واحدة منهما بيد ففعل ما أمره الله تعالى به وبقي ممسكًا لهما حتى أخذه النوم فجعل يدفع النوم ويغلبه حتى استولى عليه النوم فسقطت القارورتان وانكسرتا وهريق ماؤهما فعلمه الله تعالى أن الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا يستحيل عليه النوم والغفلة، والصفة الثانية: أن السموات والأرض وما فيهما ملك له وتحت تصرفه، الثالثة: أن أحدًا لا يتجرأ على الشفاعة عنده إلا إذا أذن له، الرابعة: أن علمه قد أحاط بكل شيء، الخامسة: أنه لا أحد من الخلق يعلم شيئًا إلا ما علمه الله تعالى. السادسة: أن السموات والأرض بالنسبة إلى الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة وهو رب العرش والكرسي وخالقهما وحافظ وجودهما ؟ السابعة: أن حفظ السموات والأرض لا يكرثه ولا يثقل عليه ولو مثقال ذرة أو أقل فلذلك كانت أعظم آية في القرآن.

فصل

اختلفت الأقوال في الكرسي ونحن نؤمن بكل ما جاء عن النبي ﷺ وعن صحابته وسائر السلف الصالح من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل.

سورة آل عمران

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [الآية: ٧].

قال (ك): يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب، أي بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم فمن رد ما اشتبه إلى الواضح منه وحكم محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى

ومن عكس انعكس ولهذا قال تعالى: ﴿ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ أي أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ أي تحتمل دلالتها موافقة المحكم وقد تحتمل شيئًا آخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المراد وقد اختلفوا في المحكم والمتشابه فروي عن السلف عبارات كثيرة: قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس ﷺ المحكمات ناسخه وحلاله وحرامه وأحكامه ما يؤمر به ويعمل به وعن ابن عباس أيضًا أنه قال: المحكمات قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا ﴾ والآيات بعدها وقوله تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾ إلى ثلاث آيات بعدها ولهذا قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ أي ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾ أي إنما يأخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة وينزلوه عليها لاحتمال لفظه كما يصرفونه فأما المحكم فلا نصيب لهم فيه لأنه دافع لهم وحجة عليهم ولهذا قال تعالى: ﴿ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ أي الإضلال لاتباعهم إيهامًا لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن وهو حجة عليهم لا لهم كما لو احتج النصارى بأن القرآن قد نطق بأن عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وتركوا الاحتجاج بقوله: ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ وبقوله: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ وغير ذلك من الآيات المحكمة المصرحة بأنه خلق من مخلوقات الله وعبد ورسول من رسل الله وقوله تعالى: ﴿ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ أي تحريفه على ما يريدون وقال الإمام أحمد بسنده عن عائشة أن رسول الله ﷺ قرأ ﴿ هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ إلى قوله: ﴿ أُوْلُواْ الألْبَابِ ﴾ فقال: إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عني الله فاحذروهم. وقال الإمام أحمد بسنده إلى أبي غالب قال سمعت أبا أمامة يحدث عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾ قال هم الخوارج وفي قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ قال هم الخوارج. **قال (ك)** وهذا الحديث أقل أقسامه أن يكون موقوفًا من كلام الصحابي ومعناه صحيح فإن أول بدعة وقعت في الإسلام فتنة الخوارج وكان مبدؤهم بسبب الدنيا حين قسم النبي ﷺ غنائم حنين

فكأنهم رأوا في عقولهم الفاسدة أنه لم يعدل في القسمة ففاجؤوه بهذه المقالة فقال قائلهم وهو ذو الخويصرة: أعدل فإنك لم تعدل، فقال رسول الله ﷺ لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل فمن يعدل أيأمنني من في السماء على أهل الأرض ولا تأمنوني » فلما قضى الرجل استأذن عمر بن الخطاب وفي رواية خالد بن الوليد في قتله فقال: « دعه فإنه يخرج من ضئضيء هذا أي من جنسه قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وقراءته مع قراءتهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فإينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم » ثم كان ظهورهم أيام علي بن أبي طالب وقتلهم بالنهروان ثم تشعبت منهم شعوب وقبائل وآراء وأهواء ومقالات ونحل كثيرة منتشرة ثم انبعث القدرية ثم المعتزلة ثم الجهمية وغير ذلك من البدع التي أخبر عنها الصادق المصدوق ﷺ في قوله: « وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ». قالوا وما هي يا رسول الله ؟ قال: « من كان على ما أنا عليه وأصحابي » أخرجه الحاكم في مستدركه بهذه الزيادة.

وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾ الآية اختلف العلماء في الوقف على اسم الجلالة هو الصواب أم الصواب الوقف على قوله تعالى: ﴿ **وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ** ﴾ وأكثر علماء السلف يقولون بالوقف على اسم الجلالة، لاعتقادهم أن معنى التأويل هنا ليس التفسير بل حقيقته وما يؤول إليه في نفس الأمر وهذا لا يعلمه إلا الله ككيفية استوائه سبحانه وتعالى على عرشه وكيفية إتيانه ومجيئه فليس في طاقة البشر علم ذلك أما معنى الاستواء وهو العلو فإنه معلوم وكذلك النزول والإتيان والمجيء معناها معروف في اللغة وقد آمن به السلف الصالح ومن اتبعهم بإحسان وقوله تعالى: ﴿ **كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا** ﴾ أي المحكم والمتشابه وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ** ﴾، **قال (ك):** أي إنما يفهم ويعقل ويتدبر المعاني على وجهها أولوا العقول السليمة والفهوم المستقيمة اهـ.

فصل

قال محمد تقي الدين: كل من يتعاطى ما يسمى بعلم الكلام لابد أن يكون من أهل الجدل وهم الذين يتبعون ما تشابه منه وقد حذرنا رسول الله ﷺ أن نكون منهم أو أن نغتر بأقوالهم.

قال أبو عمر في كتابه جامع بيان العلم وفضله ما نصه:

أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ ولا يعدون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء وأن العلماء أهل الأثر والتفقه فيه ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز والفهم، وذكر بسنده إلى أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن خويز منداد البصري المالكي قال في كتاب الإجارات من كتابه في الخلاف قال مالك لا تجوز الإجارات في شيء من كتب الأهواء والبدع والتنجيم وذكر كتبًا ثم قال وكتب أهل الأهواء والبدع عند أصحابنا هي كتب أصحاب الكلام من المعتزلة وغيرهم وتفسخ الإجارة في ذلك قال وكذلك كتب القضاء بالنجوم وعزائم الجن وما أشبه ذلك، وقال في كتاب الشهادات في تأويل قول مالك لا تجوز شهادة أهل البدع وأهل الأهواء قال أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعريًا كان أو غير أشعري ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبدًا ويهجر ويؤدب على بدعته فإن تمادا عليها استتيب منها قال، أبو عمر ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصًا في كتاب الله أو صح عن رسول الله ﷺ أو أجمعت عليه الأمة وما جاء من أخبار الآحاد من ذلك كله أو نحوه يسلم له ولا يناظر فيه.

الباب الثاني

قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [الآية: ٥٥].

قال محمد تقي الدين: يموه النصارى على الجهال من المسلمين فيقولون لهم أنتم تدعون أن عيسى لم يمت ولم يقتل وكتابكم يشهد بأنه مات ففي سورة آل عمران: ﴿ **إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ** ﴾ وهذا موافق لاعتقاد النصارى، فأقول وبالله التوفيق: هذا التمويه مردود من وجوه.

الأول: أن التوفي لا يدل دائمًا على الموت. قال تعالى في سورة الأنعام الآية (٦٠): ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾ أي يستوفي مدة يقظتكم فتنامون بالليل ثم تستيقظون بالنهار والله يعلم ما تفعلون بالنهار من خير وشر بدليل ثم يبعثكم فيه ليقضي أجل مسمى، وقال تعالى في سورة الزمر الآية (٤٢): ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ فقد أطلق الله تعالى التوفي على التي ماتت وعلى التي لم تمت وأخبر أنه يرسلها فتستيقظ وتعيش إلى أن ينقضي أجلها فمعنى متوفيك مستوف مدة إقامتك في الأرض.

الدليل الثاني: هو أن التوفي إذا قدر أنه هنا بمعنى الإماتة فمن المعلوم عند جميع العرب والنحاة أن الواو لمطلق الجمع لا تفيد تعقيبًا ولا ترتيبًا. قال تعالى في سورة الأحزاب الآية (٧): ﴿ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾، الخطاب في منك لمحمد ﷺ فمن توهم أن الواو تفيد تعقيبًا يلزمه أن يقول: أن الله أخذ الميثاق من محمد ﷺ قبل أن يأخذه من نوح وكفى بقول يفضي إلى هذا إسفافًا وبطلانًا ؟

الدليل الثالث: قوله تعالى في سورة النساء الآية (١٥٧): ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا، بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ وسيأتي لهذا المقام زيادة بيان فيما سأنقله بعد إن شاء الله من كتابي البراهين الإنجيلية.

الدليل الرابع: قال البخاري في صحيحه. باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام وقال بسنده إلى أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها، ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ وروي بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم » تابعه عقيل والأوزاعي اهـ.

قال الحافظ في الفتح:

قوله: « والذي نفسي بيده » فيه الحلف في الخبر مبالغة في تأكيده.

قال محمد تقي الدين: هذا كلام من أنزل عليه قوله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ** ﴾ الآية ولو كان معنى التوفي الإماتة فكيف ينزل في آخر الزمان والله تعالى يقول حكاية عن قول المشركين: ﴿ **رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ** ﴾ فلو مات عيسى عليه السلام قبل رفعه إلى الله تعالى ثم أحيي ونزل إلى الأرض في آخر الزمان وحكم بشريعة محمد ﷺ مدة إقامته معهم ثم مات ولابد من الموت لقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت يكون قد مات ثلاث موتات موتة قبل أن تنفخ فيه الروح وموتة قبل رفعه وموتة ثالثة عند انقضاء أجله فالذين حكوا أنه مات ثلاث ساعات قبل رفعه أو أكثر من ذلك ليس لهم دليل وقد غفلوا غفلة عظيمة ووافقوا النصارى في زعمهم ولا يختلفون معهم إلا في ادعاء الصلب والقتل.

الدليل الخامس: قال تعالى في سورة النساء الآية (١٠٩): ﴿ **وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا** ﴾ **قال (ك)** قال (ج): اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم معنى ذلك: ﴿ **وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ** ﴾ يعني قبل موت عيسى يوجه ذلك إلى أن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال فتصير الملل كلها واحدة، وهي ملة الإسلام الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام.

ذكر من قال ذلك:

عن ابن عباس﴿ **وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ** ﴾ قال قبل موت عيسى بن مريم عليه السلام لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا آمن به. وقال الضحاك عن ابن عباس ﴿ **وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ** ﴾ يعني اليهود خاصة وعن الحسن ﴿ **وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ** ﴾ قال قبل موت عيسى والله إنه لحي الآن عند الله ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون وقال ابن أبي حاتم بسنده إلى جويرية بن بشير قال سمعت رجلا قال للحسن يا أبا سعيد قول الله عز وجل ﴿ **وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ** ﴾ قال قبل موت عيسى إن الله رفع إليه عيسى وهو باعثه قبل يوم القيامة مقاما يؤمن به البر

والفاجر، وكذا قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد وهذا القول هو الحق كما سنبينه بعد بالدليل القاطع إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان قال «ج» وقال آخرون يعني بذلك ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ ﴾ بعيسى قبل موت الكتابي « ذكر من كان يوجه ذلك إلى أنه إذا عاين علم الحق من الباطل لأن كل من نزل به الموت لم تخرج نفسه حتى يتبين له الحق من الباطل في دينه ».

قال «ج» وقال آخرون معنى ذلك وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بمحمد ﷺ قبل موت الكتابي ثم قال «ج» وأولى هذه الأقوال بالصحة القول الأول وهو أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام إلا آمن به قبل موت عيسى عليه السلام، ولا شك أن هذا الذي قاله «ج» هو الصحيح لا المقصود من السياق في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك فاخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك وإنما شبه لهم فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك ثم أنه رفعه إليه وأنه باق حي وأنه سينزل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة، أهـ ثم ذكر (ك) أحاديث كثيرة من الصحيحين وغيرهما في إثبات نزول عيسى لا نطيل بذكرها.

الدليل السادس:

قال محمد تقي الدين: وهو حجة على النصارى أنقله من كتابي البراهين الإنجيلية على أن عيسى داخل في العبودية ولاحظ له في الألوهية. ونصه:

خاتمة في الأدلة على أن قصة الصلب موضوعة

الدليل الأول:

أن الإنجيل يشهد بأن عيسى كان معروفا عندهم، وكان يخطب في المسجد الأقصى الذي كانوا يسمونه بهيكل سليمان فلا حاجة أن يستأجر اليهود من يدلهم عليه بثلاثين درهما.

الدليل الثاني:

أنهم حكموا أن التلميذ الثاعشر[1] يهوذا « الأسخريوطي » أخذ من اليهود ثلاثين

---

(١) كذا بالأصل، ولعله الثاني عشر.

درهما على أن يدلهم عليه، فلما دلهم عليه وقضوا عليه رد لهم الدراهم وندم وتبرأ من عملهم وخنق نفسه، كل هذا وقع في أقل من أربع وعشرين ساعة، وفيه متناقضات لا تخفى.

الدليل الثالث:

وهو أعظمها بل هو وحده كاف في بطلان هذه القصة وذلك أنه عندما حكم عليه اليهود بالقتل وأرادوا موافقة الحاكم « بيلاطوس » وبعثوه إليه، ففي الفصل -٢٧- من إنجيل متى رقم (١١) أن الحاكم سأله فقال له هل أنت ملك اليهود ؟ فقال له أنت تقول، ولما اشتكاه رؤساء اليهود ورجال الدين عندهم بأنه كفر، وقال في الدين ما استوجب به القتل، سأله – بيلاطوس – ألا تسمع إلى ما يقولون وما يشهدون به عليك فأبى أن يتكلم أو ينطق ولو بكلمة واحدة، فسيؤول ذلك النصارى على أنه كان يريد الصلب لأجل فداء الناس ومغفرة ذنوبهم، إذن فلماذا سأل الله أن يصرف عنه تلك الكأس، يعني القتل ؟ ولماذا صاح وهو على الصليب ونصه بالسريانية إلى، إلى لا ماشبكتني ؟ وأل اسم الله تعالى بالسريانية والعبرانية ومنه جبريل ولفظه بالسريانية كبرائيل، فكبرا معناه بالسريانية رجل، و«الـ» اسم الله وهو: «رجل الله» الذي يرسله إلى أنبيائه، ومعنى إلى، إلى لا ماشبكتني ؟: أي إلهي إلهي ؟ لماذا أخلفت وعدك لي أي بالنجاة من اليهود وهذه كلمة كفر لأن عيسى معصوم أن يتهم الله تعالى بالكذب والغدر ؟ كيف يسكت عن بيان الحق ولو لم تكن فيه تبرئة نفسه وإتباعه وتبرئة الحق وهو الفصيح اللسان الذي كان يخطب الخطب الطويلة ويملؤها تقريعا وتوبيخًا لعلماء اليهود لا يستطيع عاقل أن يصدق ذلك، وإذا بطلت قصة الصلب والفداء انهدم جميع ما يبني عليه النصارى عقيدتهم من الأساس.

قال محمد تقي الدين: وفي قوله تعالى: ﴿ **وَرَافِعُكَ إِلَيَّ** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ** ﴾ دليل واضح على أن الله في السماء على عرشه وسيأتي بسط القول إن شاء الله وبيان أدلة العلو في سورة الأعراف.

سورة المائدة

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الآية: ٥٤].

قال (ك) يقول تعالى مخبرًا عن قدرته العظيمة أنه من تولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته فإن الله يستبدل به من هو خير لها منه وأشد منعة وأقوم سبيلاً كما قال تعالى: ﴿ **وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ، وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ** ﴾ أي بممتنع ولا صعب، وقال تعالى ههنا: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ** ﴾ أي يرجع عن الحق إلى الباطل، قال الحسن البصري نزلت في أهل الردة أيام أبي بكر، ﴿ **فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** ﴾ قال الحسن هو والله أبو بكر وأصحابه رواه ابن أبي حاتم.

قال محمد تقي الدين: كل من قاتل قومًا مرتدين أو خارجين على إمام حق فإنه يدخل في هذا المعنى وكل من جاهد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا بعد وفاة النبي ﷺ فإنه من هؤلاء القوم والمراد هنا إثبات صفة المحبة لله تعالى فإنه يحب الذين يقاتلون في سبيله صفًا كأنهم بنيان مرصوص ويحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب كل من اتبع رسوله محمدًا ﷺ كما قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** ﴾ فالله تعالى يحب عباده المؤمنين وكما أن علمه منزه عن مشابهة علم المخلوقين فكذلك محبته وغضبه وسخطه ورضاه ورحمته وعجبه كل ذلك نثبته لله تعالى وقد نفته الجهمية جهلاً منهم فمحبته لعباده تقتضي الإنعام عليهم وغضبه سبحانه يقتضي عقابه وسيأتي مزيد من بيان هذه الصفات إن شاء الله اهـ.

الباب الثاني

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [الآية: ٦٤].

قال القاسمي في تفسيره ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ** ﴾ أخرج الطبراني وابن إسحاق عن ابن عباس قال: قال رجل من اليهود يقال له شاس بن قيس: إن ربك بخيل لا ينفق، فنزلت.

وأخرج أبو الشيخ من وجه آخر عنه: نزلت في فنحاص، رأس يهود قينقاع وتقدم أنه قال: إن الله فقير ونحن أغنياء، فضربه أبو بكر الصديق.

فيكون ما أريد بالآية هنا، ما حكي عنه بقوله المذكور، والله أعلم.

ولما لم ينكر على القائل قومه ورضوا به، نسبت تلك العظيمة إلى الكل كما يقال: بنو فلان قتلوا فلانًا: وإنما القاتل واحد منهم « وغل اليد وبسطها » مجاز مشهور عن البخل والجود، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ** ﴾: قالوا: والسبب فيه أن اليد آلة لأكثر الأعمال، لا سيما لدفع المال ولإنفاقه، فأطلقوا اسم السبب على المسبب، وأسندوا الجود والبخل إلى اليد والبنان والكف والأنامل، ويقال للبخيل، كز الأصابع، مقبوض الكف جعد الأنامل. وقوله تعالى: ﴿ **غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ** ﴾ دعاء عليهم بالبخل بالفقر والمسكنة، أو بغل الأيدي حقيقة، « يغلون » أي بشد أيديهم إلى أعناقهم أسارى في الدنيا ومسحوبين إلى النار في الآخرة ﴿ **وَلُعِنُواْ** ﴾ أي أبعدوا عن الرحمة فلا يوفقون للتوبة ﴿ **بِمَا قَالُواْ** ﴾ من الكلمة الشنيعة التي لا تصح في حق الله حقيقة ولا مجازًا ﴿ **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** ﴾ أي بأنواع العطايا المختلفة. وتثنية « اليد » مبالغة في الرد ونفي البخل عنه تعالى وإثباتًا لغاية الجود، فإن غاية ما يبذله السخي من ماله أن يعطيه بيده

﴿ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء ﴾ تأكيد لما قبله، منبه على أن إنفاقه تابع لمشيئته. المبنية على الحكم التي عليها يدور المعاش والمعاد.

وهنا مباحث

الأول:

ما زعمه الزمخشري ومن تابعه – من أن إثبات اليد لا يصح حقيقة له تعالى – فإنه نزغة كلامية اعتزالية.

قال الإمام ابن عبد البر في شرح الموطأ: أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم: « لا يكيفون شيئًا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع، الجهمية والمعتزلة كلها، والخوارج، فكلهم ينكرونها ولا يحملون شيئًا منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها شبه، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله، وهم أئمة الجماعة.

وقال القاضي أبو يعلي في كتاب إبطال التأويل:

لا يجوز رد هذه الأخبار ولا التشاغل بتأويلها، والواجب حملها على ظاهرها، وأنها صفات الله، لا تشبه بسائر الموصوفين بها من الخلق، ولا يعتقد التشبيه فيها، ثم قال ويدل على إبطال التأويل، أن الصحابة ومن بعدهم من التابعين، حملوها على ظاهرها ولم يتعرضوا لتأويلها ولا صرفها عن ظاهرها، ولو كان التأويل سائغًا لكانوا إليه أسبق، لما فيه من إزالة التشبيه ورفع الشبهة. وقال الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى في كتاب « الإبانة » في باب « الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين » وذكر الآيات في ذلك ورد على المتأولين بكلام طويل لا يتسع هذا الموضع لحكايته، مثل قوله: فإن سئلنا، أتقولون لله يدان ؟ قيل: نقول ذلك ! وقد دلنا عليه قوله: ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ وقوله ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ وروي عن النبي ﷺ أنه قال: إن الله مسح ظهر آدم بيده فاستخرج منه ذريته وقد جاء في الخبر المأثور عن النبي ﷺ أن الله خلق آدم بيده. وكتب التوراة بيده، وغرس شجرة طوبى بيده، وليس يجوز في لسان العرب، ولا في عادة أهل الخطاب،

أن يقول القائل عملت كذا بيدي، ويعني به النعمة، وإذا كان الله إنما خاطب العرب بلغتها وما يجري في مفهومها في كلامها، ومعقولاً في خطابها، وكان لا يجوز في خطاب أهل اللسان أن يقول القائل: فعلت بيدي، ويعني به النعمة — بطل أن يكون معنى قوله عز وجل « بيدي » النعمة، وذكر كلامًا طويلاً في تقرير هذا ونحوه.

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني في كتاب الإبانة له: ونصه:

عن مسلم بن يسار الجهني، أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ** ﴾ فقال عمر: سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها فقال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون ».

فقال رجل يا رسول الله. ففيم العمل ؟ فقال رسول الله ﷺ إن الله عز وجل، إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة، فيدخله الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار، فيدخله به النار، فإن قال: فما الدليل على أن لله وجهًا ويدًا ؟ قيل له: ﴿ **وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾ فأثبت لنفسه وجهًا ويدًا: فإن قال: فما أنكرتم أن يكون وجهه ويده جارحة إذ كنتم لا تعقلون وجهًا ويدًا إلا جارحة ؟ قلنا: لا يجب هذا — إذ لم نعقل حيًا عالمًا قادرًا إلا جسمًا — أن نقضي نحن وأنتم بذلك على الله سبحانه. قلنا لقوله تعالى: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾.

وقال الشيخ تقي الدين في الرسالة المدنية:

مذهب أهل الحديث وهم السلف من القرون الثلاثة ومن سلك سبيلهم من الخلف — إن هذه الأحاديث تمر كما جاءت ويؤمن بها وتصدق وتصان عن تأويل يفضي إلى تعطيل وتكييف يفضي إلى تمثيل، وقد أطلق غير واحد ممن حكي إجماع السلف — منهم الخطابي — مذهب السلف أنها تجري على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها، وذلك، أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، يحتذى حذوه ويتبع فيه مثاله،

فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية » اهـ.

ويرحم الله الإمام يحيى الصرصري الأنصاري حيث يقول من قصيدة:

إن المقـال بـالاعتزال لخطـة ... عميـاء حـل بهـا الغـواة المـرد

هجموا على سبل الهدى بعقولهم ... لـيلا فعـاثوا في الـديار وأفسـدوا

صـم إذا ذكـر الحـديث لـديهم ... نفـروا كـأن لم يسـمعوه وعربـدوا

واضـرب لهـم مثـل الحمير إذا رأت ... أسـد العـرين فهـن منـه شـردوا

إلى أن قال:

يـدعون مـن تبـع الحـديث مشبـهًا ... هيهـات لـيس مشـبهًا مـن يسـند

لكنـه يـروي الحـديث كمـا أتـى ... مـن غـير تأويـل ولا يتـأود

الثاني:

روي الإمام أحمد والشيخان في معنى الآية عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ أن يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يغض ما في يمينه وكان عرشه على الماء وفي يده الأخرى الغيض أو القبض — يرفع ويخفض » وقال: يقول الله تعالى: أنفق أنفق عليك.

وفي تفسير الجلالين ما نصه:

﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ من القرآن ﴿ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ لكفرهم به ﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ فكل فرقة منهم تخالف الأخرى ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ ﴾ أي لحرب النبي ﷺ ﴿ أَطْفَأَهَا اللّهُ ﴾ أي كلما أرادوه ردهم ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا ﴾ أي مفسدين بالمعاصي ﴿ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ بمعنى أنه يعاقبهم اهـ.

سورة الأنعام

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الآية: ١٨].

قال المحقق محمد صديق حسن القنوجي في تفسير هذه الآية. القهر الغلبة والقاهر الغالب وأقهر الرجل إذا صار مقهورًا ذليلاً.

ومن الأول قوله: ﴿ **وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ** ﴾ ومن الثاني ﴿ **فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ** ﴾ قيل معنى فوق فوقية الاستعلاء بالقهر والغلبة عليهم لا فوقية المكان كما تقول السلطان فوق رعيته أي بالمنزلة والرفعة وقيل هو صفة الاستعلاء الذي تفرد به سبحانه فهو على الذات وسمي الصفات وقال (ج) معنى القاهر المتعبد خلقه العالي عليهم وإنما قال فوق عباده لأنه تعالى وصف نفسه بقهره إياهم ومن صفة كل قاهر شيئًا أن يكون مستعليًا عليه اهـ. أي استعلاء يليق به وقيل هو القاهر مستعليًا أو غالبًا ذكره أبو البقاء والمهدوي وفي القهر معنى زائد ليس في القدرة وهو منع غيره عن بلوغ المراد ﴿ **وَهُوَ الْحَكِيمُ** ﴾ في أمره ﴿ **الْخَبِيرُ** ﴾ بأفعال عباده.

فصل

قال محمد تقي الدين: أن صفة العلو والفوقية ثابتة لله تعالى فهو فوق عرشه المجيد بائن من خلقه والجهمية حرمهم الله تعالى من إثبات هذه الصفة لفساد عقولهم فإنهم يقيسون الله تعالى على أنفسهم ويزعمون أن الفوقية تستلزم الجهة وأن الجهة تستلزم التحيز وفي ذلك تشبيه لله بخلقه ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز وسيأتي من الرد عليهم، في سورة الأعراف إن شاء الله ما يدحض باطلهم ويفضح ترهاتهم وبالله التوفيق.

الباب الثاني

قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الآية: ١٠٣].

قال (ك) فيه أقوال للأئمة من السلف « أحدها » لا تدركه في الدنيا وإن كانت تراه في الآخرة كما تواترت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من غير طريق ثابت في الصحاح والمسانيد والسنن كما قال مسروق عن عائشة أنها قالت من زعم أن محمدًا ﷺ أبصر ربه فقد كذب وفي رواية، على الله فإن الله تعالى قال: ﴿ **لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ** ﴾ رواه ابن أبي حاتم، وثبت في الصحيح وغيره عن عائشة من غير وجه، عن يحيى بن معين قال سمعت إسماعيل بن علية يقول في قول الله: ﴿ **لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ** ﴾ قال هذا في الدنيا، وذكر هشام بن عبد الله أنه قال نحو ذلك.

وقال آخرون من المعتزلة بمقتضى ما فهموه من الآية أنه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة فخالفوا أهل السنة والجماعة في ذلك مع ما ارتكبوه من الجهل بما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ وقال تعالى في الكافرين: ﴿ **كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ** ﴾ قال الإمام الشافعي فدل هذا على أن المؤمنين لا يحجبون عنه تبارك وتعالى وأما السنة فقد تواترت الأخبار عن أبي سعيد، وأبي هريرة، وأنس، وجرير، وصهيب، وبلال وغير واحد من الصحابة عن النبي ﷺ أن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة في العرصات وفي روضات الجنات جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه آمين.

وقال آخرون لا منافاة بين إثبات الرؤية ونفي الإدراك فإن الإدراك أخص من الرؤية ولا يلزم من نفي الأخص انتفاء الأعم.

وقال آخرون الإدراك أخص من الرؤية وهو الإحاطة قالوا ولا يلزم من عدم الإحاطة عدم الرؤية كما لا يلزم من عدم إحاطة العلم عدم العلم قال تعالى: ﴿ **وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا** ﴾ وفي صحيح مسلم: « لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » ولا يلزم منه عدم الثناء فكذلك هذا وعن عكرمة أنه قيل له ﴿ **لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ** ﴾ قال ألست ترى السماء ؟ قال: بلى ! قال: أكلها ترى ؟ وقال سعيد بن عروبة عن قتادة في الآية: ﴿ **لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ** ﴾ وهو أعظم من أن تدركه الأبصار.

وقال (ج) بسنده إلى عطية العوفي في قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ قال هم ينظرون إلى الله لا تحيط أبصارهم به من عظمته، وبصره محيط بهم فذلك قوله: ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ وقوله: ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ أي يحيط بها ويعلمها على ما هي عليه لأنه خلقها كما قال تعالى: ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾.

قال المحقق محمد صديق حسن القنوجي رحمه الله في فتح البيان عند تفسير هذه الآية ما نصه:

﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ ﴾ أي لا تراه ﴿ الأَبْصَارُ ﴾ جمع بصر وهو حاسة النظر أي القوة الباصرة وقد يقال للعين من حيث إنها محلها أي الحاسة وإدراك الشيء عبارة عن الوصول إليه والإحاطة به قال الزجاج أي لا يبلغ كنه حقيقته فالإبصار ترى الباري عز اسمه ولا تحيط به كما أن القلوب تعرفه ولا تحيط به قال سعيد بن المسيب لا تحيط به الأبصار وقال ابن عباس كلت أبصار المخلوقين عن الإحاطة به فالمنفي هو هذا الإدراك لا مجرد الرؤية فقد ثبتت الأحاديث المتواترة تواترًا لا شك فيه ولا شبهة ولا يجهله إلا من يجهل السنة المطهرة جهلاً عظيمًا والحاصل أنه لا متمسك فيه لمنكري الرؤية على الأطلاق وأيضًا قد تقرر في علم البيان والميزان أن رفع الإيجاب الكلي سلب جزئي فالمعنى لا تدركه بعض الأبصار وهي أبصار الكفار هذا على تسليم أن نفي الإدراك يستلزم نفي الرؤية الخاصة والآية من سلب العموم لا من عموم السلب والأول يخلفه الجزئية والتقدير لا تدركه كل الأبصار بل بعضها وهي أبصار المؤمنين والمصير إلى أحد الوجهين متعين لما عرفناك من تواتر الرؤية في الآخرة واعتضادها بقوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ وقد تشبث قوم من أهل البدع وهم الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة بظاهر هذه الآية ولا يستتب ذلك مع ما تقدمت الإشارة إليه على أن مورد الآية التمدح وهو يوجب ثبوت الرؤية إذ نفي الإدراك ما تستحيل رؤيته لا تمدح فيه لأن كل ما لا يرى لا يدرك وإنما التمدح بنفي الإدراك مع تحقق الرؤية فكانت الحجة لنا عليهم ولو أمعنوا النظر فيها لاغتنموا التفصي عن عهدتها ومن ينفي الرؤية يلزمه نفي كونه تعالى معلومًا موجودًا والكلام في ذلك يطول جدًا وقد أطال الحافظ ابن القيم رحمه الله في حادي الأرواح في إثبات الرؤية ورد المنكرين لها

والشوكاني في البغية في مسألة الرؤية بما لا مزيد عليه ومضى إلى أن قال وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ اللَّطِيفُ ﴾ أي الرفيق بعباده يقال لطف فلان بفلان أي رفق به واللطف في العمل الرفق فيه واللطف من الله تعالى التوفيق والعصمة وألطفه بكذا إذا أبره والملاطفة المبارة وهكذا قال الجوهري وابن فارس والخبير المختبر لكل شيء بحيث لا يخفى عليه شيء.

وقال تعالى في سورة الأعراف، الآية (١٤٤): ﴿ وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

قال (ك): يخبر تعالى عن موسى عليه السلام أنه لما جاء لميقات الله تعالى حصل له التكليم من الله سأل الله تعالى أن ينظر إليه فقال: ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي ﴾ وقد أشكل حرف لن ههنا على كثير من العلماء لأنها موضوعة لنفي التأبيد فاستدل به المعتزلة على نفي الرؤية في الدنيا والآخرة وهذا أضعف الأقوال لأنه قد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بأن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة كما سنوردها عند قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ وقوله تعالى إخبارًا عن الكفار: ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ وقيل إنها لنفي التأبيد في الدنيا جمعًا بين هذه الآية وبين الدليل القاطع على صحة الرؤية في الدار الآخرة وقيل إن هذا الكلام في هذا المقام كالكلام في قوله تعالى: ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ وقد تقدم ذلك في الأنعام وفي الكتب المتقدمة أن الله تعالى: « قال لموسى عليه السلام يا موسى إنه لن يراني أحد إلا مات ولا يابس إلا تدهده » ولهذا قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا ﴾.

وروي الإمام أحمد في مسنده بسنده عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ ﴾ قال « هكذا » يعني أنه أخرج طرف الخنصر قال أحمد أرانا معاذ فقال له حميد الطويل: ما تريد إلى هذا يا أبا محمد قال: فضرب صدره ضربة شديدة وقال: من أنت

يا حميد وما أنت يا حميد يحدثني به أنس بن مالك عن النبي ﷺ تقول ما تريد إليه ؟ ورواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب ورواه الحاكم في المستدرك وقال على شرط مسلم ولم يخرجاه وصححه الخلال أيضًا.

وعن ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ** ﴾ قال ما تجلى منه إلا قدر الخنصر ﴿ **جَعَلَهُ دَكًّا** ﴾ قال ترابًا ﴿ **وَخَرَّ موسَى صَعِقًا** ﴾ قال مغشيًا عليه. رواه (ج).

وقال تعالى في سورة القيامة الآية (٢٢): ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾.

قال (ك) وقوله تعالى: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ** ﴾ من النضارة أي حسنة بهية مشرقة مسرورة ﴿ **إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ أي تراه عيانًا كما رواه البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه: «إنكم سترون ربكم عيانا» وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عز وجل في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها، كحديث أبي سعيد وأبي هريرة وهما في الصحيحين أن أناسًا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب ؟ قالوا لا ! قال فإنكم ترون ربكم كذلك وفي الصحيحين عن جرير قال: نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا » وفي أفراد مسلم عن صهيب عن النبي ﷺ قال: « إذا دخل أهل الجنة الجنة قال يقول الله تعالى: تريدون شيئًا أزيدكم ؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم وهي الزيادة » ثم تلا هذه الآية: ﴿ **لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ** ﴾ وفي إفراد مسلم عن جابر في حديثه: « إن الله يتجلى للمؤمنين يضحك » يعني في عرصات القيامة ففي هذه الأحاديث أن المؤمنين ينظرون إلى ربهم عز وجل في العرصات وفي روضات الجنات.

قال (ك) ولولا خشية الإطالة لأوردنا الأحاديث بطرقها وألفاظها من الصحاح والحسان والمسانيد والسنن، ولكن ذكرنا ذلك مفرقًا في مواضع من هذا التفسير وبالله التوفيق.

فصل

قال محمد تقي الدين: إن المتناظرين في معاني آيات الكتاب العزيز يغفلون عن حقيقة لو انتبهوا لها لتركوا كثيرًا من جدالهم وهذه الحقيقة هي أن الله سبحانه لو كتب القرآن في كتاب وألقاه إلينا بلا رسول لأمكن أن تختلف الفهوم فيما تدل عليه آياته حيث يتوهم التعارض في آيتين مثلاً كآية لا تدركه الأبصار وآية إلى ربها ناظرة ولكن الله أنزل هذا القرآن على رجل من البشر وأمره أن يبينه لنا فقال تعالى في سورة النحل الآية (٤٤): ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ فجاءنا النبي ﷺ بهذا القرآن ومثله معه من وحي السنة وبقي معنا ثلاثًا وعشرين سنة نسأله ويجيبنا ويبين لنا بأقواله وأفعاله مسائل الاعتقاد ومسائل العبادة ومسائل المعاملات ومسائل الأخلاق، فإذا توهم متوهم تعارض آيتين كالآيتين المتقدم ذكرهما ثم جاءت السنة ووضحت لنا المعنى الذي يريده ربنا سبحانه كل التوضيح لم يبق مجال للجدال ولكن المصيبة كل المصيبة هي أن قومًا قرؤوا القرآن ودرسوا علوم العربية وأهملوا السنة فالتبس عليهم الأمر وأخذوا يضربون القرآن بعضه ببعض فمسألة الرؤية وضحها النبي ﷺ كل التوضيح فلم يبق فيها إلا الإيمان أو التكذيب ومن زعم أنه يؤمن بالقرآن ويرفض السنة فهو كاذب زنديق فأين في القرآن تفصيل الصلاة والزكاة والصوم والحج والمعاملات والحدود وسائر مسائل الشريعة ؟ فأكثر الخلاف سببه الجهل بالسنة، أما جهلاً تامًا كجهل الخوارج والمعتزلة ومتأخري الأشعرية وجهلة المتصوفة وأما أن يكون العالم من السلف مقلاً في الحديث لأنه لم يجمع بحذافيره إلا بعد زمانه أو لم يرحل في طلبه واقتصر على ما سمعه من أهل بلده أو كان ضعيف الحفظ ولكن هؤلاء المقلدين من أئمة أهل السنة كلهم صرحوا وأعلنوا أن الحديث إذا صح بخلاف ما أفتوا به فإنهم راجعون عنه وقائلون بالحديث الصحيح، قال الإمام الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى الشرقي في شرحه لنونية ابن القيم الجزء الثاني ص٥٦٧ (فصل) في رؤية أهل الجنة ربهم ونظرهم إلى وجهه الكريم ».

ويرونه سبحانه من فوقهم ... رؤيا العيان كما يرى القمران

هذا تواتر عن رسول الله لم ... ينكره إلا فاسد الإيمان

وأتــى بــه القــرآن تصــريحًا وتعــ	ــريضًا همــا بســياقه نوعــان
وهــي الزيــادة قــد أتــت في يــونس	تفســيره قــد جــاء بــالقرآن
ورواه عنــه مســلم بصــحيحه	يــروي صــهيب ذابــلاً كتمــان
وهــو المزيــد كــذاك فســره أبــو	بكــر هــو الصــديق ذو الإيقــان
وعليــه أصــحاب الرســول وتــابعو	هــم بعــدهم تبعيــة الإحســان

ذكر الناظم رحمه الله تعالى في هذا الفصل رؤية أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم جهرة، كما يرى القمر، وقد اتفق عليها الأنبياء والمرسلون، وجميع الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام وأنكرها أهل البدع، كالجهمية والمعتزلة والباطنية والرافضة.

وقال في ص٥٧٨ ما نصه:

والمنحرفون في باب رؤية الرب تبارك وتعالى نوعان: أحدهما: من يزعم أنه يرى في الدنيا ويحاضر ويسامر: والثاني: من يزعم أنه لا يرى في الآخرة البتة، ولا يكلم عباده، وما أخبر به الله ورسوله وأجمع عليه الصحابة والأئمة يكذب الفريقين، وبالله التوفيق:

والله لــولا رؤيــة الــرحمن في الــ	ــجنات مــا طابــت لــذي العرفــان
أعلــى النعــيم نعــيم رؤيــة وجهــه	وخطابــه في جنــة الحيــوان
وأشــد شــيء في العــذاب حجابــه	ســبحانه عــن ســاكني الــنيران
وإذا رآه المؤمنــون نســوا الــذي	هــم فيــه ممــا نالــت العينــان

وقال الإمام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية في ج٣ من كتابه حادي الأرواح ص٥٢ ما نصه:

الباب الخامس والستون

« في رؤيتهم ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم جهرة كما يرى القمر ليلة البدر وتجليه لهم ضاحكًا إليهم ».

هذا الباب أشرف أبواب الكتاب وأجلها قدرًا وأعلاها خطرًا وأقرها لعيون أهل السنة والجماعة وأشدها على أهل البدعة والضلالة وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون وتنافس

فيها المتنافسون وتسابق إليها المتسابقون ولمثلها فليعمل العاملون إذا ناله أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم، وحرمانه والحجاب عنه لأهل الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم، اتفق عليها الأنبياء والمرسلون وجميع الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام على تتابع القرون وأنكرها أهل البدع المارقون والجهمية المتهوكون والفرعونية المعطلون والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون والرافضة الذين هم بحبال الشيطان متمسكون ومن حبل الله منقطعون وعلى مسبة أصحاب رسول الله عاكفون وللسنة وأهلها محاربون ولكل عدو لله ورسوله ودينه مسالمون وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون وعن بابه مطرودون وأولئك حزب الضلال وشيعة اللعين وأعداء الرسول وحزبه وقد أخبر الله سبحانه عن أعلم الخلق به في زمانه وهو كليمه ونجيه وصفيه من أهل الأرض أنه سأل ربه تعالى النظر إليه فقال له ربه تبارك وتعالى: ﴿ **لَن تَرَانِي وَلَـٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا** ﴾ وبيان الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة، أحدها: أنه لا يظن بكليم الرحمن ورسوله الكريم عليه أن يسأل ربه ما لا يجوز عليه بل هو من أبطل الباطل وأعظم المحال وهو عند فروخ اليونان والصابئة والفرعونية بمنزلة أن يسأله أن يأكل ويشرب وينام ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه فيا لله للعجب كيف صار اتباع الصابئة والمجوس والمشركين عباد الأصنام وفروخ الجهمية والفرعونية أعلم بالله تعالى من موسى بن عمران وبما يستحيل عليه ويجب له وأشد تنزيهًا له منه.

الوجه الثاني:

أن الله سبحانه وتعالى لم ينكر عليه سؤاله ولو كان محالاً لأنكره عليه ولهذا لما سأل إبراهيم الخليل ربه تبارك وتعالى أن يريه كيف يحيي الموتى لم ينكر عليه ولما سأل عيسى بن مريم ربه إنزال المائدة من السماء لم ينكر سؤاله ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله وقال إني أعظك أن تكون من الجاهلين قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين.

الوجه الثالث:

أنه أجابه بقوله لن تراني ولم يقل أني لست بمرئى ولا تجوز رؤيتي والفرق بين الجوابين

ظاهر لمن تأمله وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى يرى ولكن موسى لا تحمل قواه رؤيته في هذه الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى يوضحه.

الوجه الرابع:

وهو قوله ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له في هذه الدار فكيف بالبشر الضعيف الذي خلق من ضعف.

الوجه الخامس:

أن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل الجبل مستقرًا مكانه وليس هذا بممتنع في مقدوره بل هو ممكن وقد علق به الرؤية ولو كانت محالاً في ذاتها لم يعلقها بالممكن في ذاته ولو كانت الرؤية محالاً لكان نظير أن يقول إن استقر الجبل فسوف آكل واشرب وأنام فالأمران عندكم سواء.

الوجه السادس:

قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا** ﴾ وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته تبارك وتعالى فإنه إذا جاز أن يكون يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامته ويريهم نفسه فأعلم سبحانه وتعالى موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف.

الوجه السابع:

أن ربه سبحانه وتعالى قد كلمه منه إليه وخاطبه وناجاه وناداه ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبه كلامه معه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز ولهذا لا يتم إنكار الرؤية إلا بإنكار التكليم وقد جمعت هذه الطوائف بين إنكار الأمرين فأنكروا أن يكلم أحدًا ويراه أحد ولهذا سأله موسى النظر إليه لما أسمعه كلامه وعلم نبي الله جواز رؤيته من وقوع خطابه وتكليمه فلم يخبره باستحالة ذلك عليه ولكن أراه إن ما سأله لا يقدر على احتماله كما لم يثبت الجبل لتجليه وأما قوله تعالى لن تراني فإنما يدل على النفي في المستقبل ولا يدل على دوام النفي ولو قيدت بالتأبيد فكيف إذا أطلقت قال تعالى: ﴿ **وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا** ﴾ مع قوله تعالى: ﴿ **وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ** ﴾.

فصل

الدليل الثاني:

قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلاَمٌ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُوا رَبِّهِمْ ﴾ وأجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحي السليم من العمي والمانع اقتضى المعاينة والرؤية ولا ينتقض هذا بقوله تعالى: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ ﴾ فقد دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة على أن المنافقين يرونه تعالى في عرصات القيامة بل والكفار أيضًا كما في الصحيحين من حديث التجلي وسيمر بك عن قريب إن شاء الله تعالى.

« وفي هذه المسألة » ثلاثة أقوال لأهل السنة:

« أحدها »: أن لا يراه إلا المؤمنون.

« والثاني » يراه جميع أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ثم يتحجب عن الكفار فلا يرونه بعد ذلك.

« والثالث » يراه المنافقون دون الكفار.

والأقوال الثلاثة في مذهب « حم » وهي لأصحابه وكذلك الأقوال الثلاثة بعينها لهم في تكليمه لهم ولشيخنا في ذلك مصنف مفرد وحكي فيه الأقوال الثلاثة وحجج أصحابها وكذا قوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ ﴾ إن عاد الضمير على العمل فهو رؤيته في الكتاب مسطورًا مثبتًا وإن عاد على الرب سبحانه وتعالى فهو لقاؤه الذي وعد به.

فصل

الدليل الثالث:

قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ، لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ ﴾ فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجهه الكريم كذلك فسرها رسول الله ﷺ الذي أنزل عليه القرآن فالصحابة من بعده كما روي «م» في صحيحه بسنده إلى صهيب قال قرأ رسول الله ﷺ ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ قال إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدًا ويريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو؟ ألم يثقل موازيننا ؟ ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار ؟ فيكشف الحجاب فينظرون الله فما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة « وقال » الحسن بن عرفة بسنده إلى أنس قال سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ قال للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى وهي الجنة والزيادة وهي النظر إلى وجه الله. وقال (ج) بسنده إلى كعب بن عجرة عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ قال الزيادة النظر إلى وجه الرحمن جل جلاله وقال (ج): بسنده إلى أبي بن كعب قال سألت رسول الله ﷺ عن الزيادة في كتاب الله عز وجل قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ قال الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل. « وقال أسد السنة » بسنده إلى أبي تميمة الهجيمي أنه سمع أبا موسى يحدث أنه سمع رسول الله ﷺ يقول يبعث الله عز وجل يوم القيامة مناديًا ينادي يا أهل الجنة بصوت يسمع أولهم وآخرهم أن الله وعدكم الحسنى وزيادة فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل.

« وأما الصحابة » فقال (ج): بسنده إلى أبي بكر الصديق: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ قال النظر إلى وجه الله الكريم وبهذا الإسناد عن أبي إسحاق عن مسلم بن يزيد عن حذيفة ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ قال النظر إلى وجه ربهم، وقال بسنده إلى أبي موسى الأشعري قال إذا كان يوم القيامة يبعث الله تعالى إلى أهل الجنة مناديًا ينادي هل أنجزكم الله ما وعدكم ؟ فينظرون إلى ما أعد الله لهم من الكرامة فيقولون نعم فيقول للذين أحسنوا الحسنى وزيادة النظر إلى وجه الرحمن عز وجل وقال عبد الله بن المبارك بسنده إلى أبي موسى الأشعري أنه خطب الناس في جامع البصرة وقال إن الله يبعث يوم القيامة ملكًا إلى أهل الجنة فيقول يا أهل الجنة هل أنجزكم الله ما وعدكم فينظرون فيرون الحلي والحلل

والأنهار والأزواج المطهرة فيقولون: نعم قد أنجزنا الله ما وعدنا ثم يقول الملك: هل أنجزكم الله ما وعدكم؟ - ثلاث مرات - فلا يفقدون شيئا مما وعدوا فيقولون: نعم، فيقول: قد بقي لكم شيء، إن الله عز وجل يقول: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ إلا إن الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى: « وفي تفسير » أسباط بن نصر بسنده إلى ابن مسعود ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ ﴾ قال أما الحسنى فالجنة وأما الزيادة فالنظر إلى وجه الله وأما القتر فالسواد « وقال » عبد الرحمن بن أبي ليلى وعامر ابن سعد وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي والضحاك بن مزاحم وعبد الرحمن بن سابط وأبو إسحاق السبيعي وقتادة وسعيد بن المسيب والحسن البصري وعكرمة مولى بن عباس ومجاهد ابن جبر الحسني الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى وقال غير واحد من السلف في الآية ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة بعد النظر إليه والأحاديث عنهم بذلك صحيحة ولما عطف سبحانه الزيادة على الحسنى التي هي الجنة دل على أنها أمر آخر وراء الجنة وقدر زائد عليها ومن فسر الزيادة بالمغفرة والرضوان فهو من لوازم رؤية الرب تبارك وتعالى.

فصل

الدليل الرابع:

قوله تعالى: ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ ووجه الاستدلال بها أنه سبحانه وتعالى جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته واستماع كلامه فلو لم يره المؤمنون ولم يسمعوا كلامه كانوا أيضا محجوبين عنه وقد احتج بهذه الحجة الشافعي نفسه وغيره من الأئمة فذكر الطبراني وغيره عن المزني قال سمعت الشافعي يقول في قوله عز وجل: ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ فيها دليل على أن أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة « وقال الحاكم » بسنده إلى الربيع بن سليمان قال حضرت محمد بن إدريس الشافعي وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها ما تقول في قول الله عز وجل: ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ ؟ فقال الشافعي لما حجب هؤلاء في السخط كان في ذلك دليل على أن أولياءه يرونه في الرضى قال الربيع فقلت يا أبا عبد الله وبه تقول ؟ قال: نعم وبه أدين الله ولو لم يتيقن محمد ابن إدريس أنه يرى الله لما عبد الله عز وجل ورواه الطبراني

في شرح السنة من طريق الأصم أيضا وقال أبو زرعة الرازي سمعت أحمد بن محمد بن الحسين يقول سئل محمد بن عبد الحكم هل يرى الخلق كلهم ربهم يوم القيامة المؤمنون والكفار فقال محمد وسئل الشافعي عن الرؤية فقال يقول الله تعالى: ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ ففي هذا دليل على أن المؤمنين لا يحجبون عن الله عز وجل.

فصل

الدليل الخامس:

قوله عز وجل: ﴿ لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ قال الطبراني قال علي بن أبي طالب، وأنس بن مالك هو النظر إلى وجه الله عز وجل وقاله من التابعين زيد بن وهب وغيره.

فصل

الدليل السادس:

قوله عز وجل: لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار والاستدلال بهذا أعجب فإنه من أدلة النفاة وقد قرر شيخنا وجه الاستدلال به أحسن تقرير وألطفه وقال لي: أنا ألتزم أنه لا يحتج مبطل بآية أو حديث صحيح على باطله إلا وفي ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله فمنها هذه الآية وهي على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها فإن الله سبحانه إنما ذكرها في سياق المدح ومعلوم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية وأما العدم المحض فليس بكمال ولا يمدح به وإنما يمدح الرب تبارك وتعالى بالعدم إذا تضمن أمراً وجوديا كتمدحه بنفي السنة والنوم المتضمن كمال القيومية ونفي اللغوب والإعياء المتضمن كمال القدرة ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره ونفي الأكل والشرب المتضمن كمال الصمدية وغناه ونفي الشفاعة عنده بدون إذنه المتضمن كمال توحيده وغناه عن خلقه ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه واحاطته ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمرا تبرئيا فان المعدوم يشارك الموصوف

في ذلك العدم ولا يوصف الكامل بأمر يشرك هو والمعدوم فيه فلو كان المراد بقوله لا تدركه الأبصار أنه لا يرى بحال لم يكن في ذلك مدح ولا كمال لمشاركة المعدوم له في ذلك فإن العدم الصرف لا يرى ولا تدركه الأبصار والرب جل جلاله يتعالى أن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض فإذا المعنى إنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به كما كان المعنى في قوله، وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة إنه يعلم كل شيء.

وفي قوله: وما مسنا من لغوب. إنه كامل القدرة.

وفي قوله: ولا يظلم ربك أحدا. إنه كامل العدل.

وفي قوله: لا تأخذه سنة ولا نوم. إنه كامل القيومية.

فقوله لا تدركه الأبصار. يدل على غاية عظمته وأنه أكبر من كل شيء وإنه لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به.

فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء، وهو قد زائد على الرؤية كما قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ، قَالَ كَلاَّ** ﴾ فلم ينف موسى الرؤية ولم يريدوا بقولهم إنا لمدركون، إنا إنا لمرئيون، فإن موسى صلوات الله وسلامه عليه نفي إدراكهم إياهم بقوله كلا وأخبر الله سبحانه إنه لا يخاف دركهم بقوله: ﴿ **وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لاَّ تَخَافُ دَرَكًا وَلا تَخْشَى** ﴾ فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه فالرب تعالى يرى ولا يدرك كما يعلم ولا يحاط به.

وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية.

قال ابن عباس لا تدركه الأبصار لا تحيط به الأبصار.

وقال قتادة هو أعظم من أن تدركه الأبصار.

وقال عطية: ينظرون إلى الله ولا تحيط أبصارهم به من عظمته وبصره محيط بهم فذلك قوله تعالى: ﴿ **لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ** ﴾ فالمؤمنون يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم عيانا ولا تدركه أبصارهم بمعنى إنها لا تحيط به إذ كان غير جائز أن يوصف الله عز وجل بأن شيئًا يحيط به وهو بكل شيء محيط وهكذا يسمع كلام من يشاء من خلقه ولا يحيطون بكلامه وهكذا يعلم الخلق ما علمهم ولا يحيطون بعلمه.

« ونظير هذا » استدلالهم على نفي الصفات بقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ وهذا من أعظم الأدلة على كثرة صفات كماله ونعوت جلاله وإنها لكثرتها وعظمتها وسعتها لم يكن له مثل فيها وإلا فلو أريد بها نفي الصفات لكان العدم المحض أولى بهذا المدح منه مع أن جميع العقلاء إنما يفهمون من قول القائل فلان لا مثل له وليس له نظير ولا شبه ولا مثل أنه قد يتميز عن الناس بأوصاف ونعوت لا يشاركونه فيها وكلما كثرت أوصافه ونعوته فات أمثاله وبعد عن مشابهة أضرابه فقوله ليس كمثله شيء من أدل شيء على كثرة نعوته وصفاته وقوله لا تدركه الأبصار من أدل شيء على أنه يرى ولا يدرك وقوله: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

من أدل شيء على مباينة الرب لخلقه فإنه لم يخلقهم في ذاته بل خلقهم خارجا عن ذاته ثم بان عنهم باستوائه على عرشه وهو يعلم ما هم عليه فيراهم وينفذهم بصره ويحيط بهم علما وقدرة وإرادة وسمعا وبصرا فهذا معنى كونه سبحانه معهم أينما كانوا وتأمل حسن هذه المقابلة لفظا ومعنى بين قوله لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار فإنه سبحانه لعظمته يتعالى أن تدركه الأبصار وتحيط به ولطفه وخبرته يدرك الأبصار فلا تخفى عليه فهو العظيم في لطفه اللطيف في عظمته العالي في قربه القريب في علوه الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير.

فصل

الدليل السابع:

قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ وأنت إذا أجرت هذه الآية من تحريفها عن مواضعها والكذب على المتكلم بها سبحانه فيما أراده منها وجدتها منادية نداء صحيحًا أن الله سبحانه يرى عيانًا بالأبصار يوم القيامة وإن أبيت إلا تحريفها الذي يسميه المحرفون تأويلاً، فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والميزان والحساب أسهل على أربابه من تأويلها وتأويل كل نص تضمنه القرآن والسنة كذلك ولا يشاء مبطل على وجه الأرض

أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول مثل هذه النصوص وهذا الذي أفسد الدين والدنيا.

وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية وتعديته بأداة إلى الصريحة في نظر العين وإخلاء الكلام من قرينة تدل على أن المراد بالنظر المضاف إلى الوجه المعدي بإلى خلاف حقيقته وموضوعه صريح في أن الله سبحانه وتعالى أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى نفس الرب جل جلاله فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه بنفسه.

فإن عدى بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله تعالى: ﴿ **انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُورِكُمْ** ﴾ وإن عدى بفي فمعناه التفكر والاعتبار كقوله تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ وإن عدى بإلى فمعناه المعاينة بالإبصار كقوله تعالى: ﴿ **انظُرُواْ إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ** ﴾ فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر قال يزيد بن هارون أنبأنا مبارك عن الحسن قال نظرت إلى ربها تبارك وتعالى فنظرت بنوره فاسمع الآن أيها السني تفسير النبي ﷺ، وأصحابه والتابعين وأئمة الإسلام لهذه الآية.

قال ابن مردوية: في تفسيره بسنده إلى عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ، في قوله تعالى: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ** ﴾ قال من البهاء والحسن ﴿ **إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ قال في وجه الله عز وجل.

وقال أبو صالح عن ابن عباس إلى ربها ناظرة قال تنظر إلى ربها نظرًا ثم حكي عن ابن عباس مثله وهذا قول كل مفسر من أهل السنة والحديث.

فصل

وأما الأحاديث:

عن النبي ﷺ، وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة رواها عنه أبو بكر الصديق، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وجرير بن عبد الله البجلي، وصهيب بن سنان الرومي، وعبد الله بن مسعود الهذلي، وعلى بن أبي طالب، وأبو موسى الأشعري، وعدي بن حاتم الطائي، وأنس بن مالك الأنصاري، وبريدة بن الحصيب، وأبو رزين العقيلي، وجابر بن

عبد الله الأنصاري، وأبو أمامة الباهلي، وزيد بن ثابت، وعمار بن ياسر، وعائشة أم المؤمنين، وعبد الله بن عمر، وعمارة بن رويبة، وسلمان الفارسي، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص وحديثه موقوف، وأبي بن كعب، وكعب بن عجرة، وفضالة بن عبيد وحديثه موقوف، ورجل من أصحاب النبي ﷺ غير مسمى، فهاك سياق أحاديثهم من الصحاح والمسانيد والسنن وتلقها بالقبول والتسليم وانشراح الصدر لا بالتحريف والتبديل وضيق العطن ولا تكذب بها فمن كذب بها لم يكن إلى وجه ربه من الناظرين وكان عنه يوم القيامة من المحجوبين.

فصل

فأما حديث:

أبي بكر الصديق فقال الإمام أحمد بسنده إلى أبي بكر الصديق قال أصبح رسول الله ﷺ ذات يوم فصلى الغداة فجلس حتى إذا كان من الضحى ضحك رسول الله ﷺ ثم جلس مكانه حتى صلى الأولى والعصر والمغرب كل ذلك لا يتكلم حتى صلى العشاء الأخيرة ثم قام إلى أهله فقال الناس لأبي بكر ألا تسأل رسول الله ﷺ ما شأنه صنع اليوم شيئًا لم يصنعه قط قال فسأله. فقال: نعم عرض على ما هو كائن من الدنيا والآخرة فجمع الأولون والآخرون في صعيد واحد فقطع الناس بذلك حتى انطلقوا إلى آدم ﷺ والعرق يكاد يلجمهم فقالوا يا آدم أنت أبو البشر وأنت اصطفاك الله عز وجل اشفع لنا إلى ربك قال لقد لقيت مثل الذي لقيتم انطلقوا إلى أبيكم بعد أبيكم إلى نوح: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ قالا فينطلقون إلى نوح ﷺ فيقولون اشفع لنا إلى ربك فأنت اصطفاك الله واستجاب لك في دعائك ولم يدع على الأرض من الكافرين ديارًا فيقول ليس ذلكم عندي انطلقوا إلى إبراهيم ﷺ فإن الله اتخذه خليلاً فينطلقون إلى إبراهيم فيقول ليس ذلكم عندي انطلقوا إلى موسى ﷺ فإن الله عز وجل كلمه تكليمًا فيقول موسى ﷺ ليس ذلك عندي انطلقوا إلى عيسى ابن مريم ﷺ فإنه كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى فيقول عيسى ليس ذلكم عندي انطلقوا إلى سيد ولد آدم انطلقوا إلى محمد ﷺ فليشفع لكم إلى ربكم عز وجل فينطلقون فيأتي جبريل ربه تبارك وتعالى

فيقول له الله عز وجل: ائذن له وبشره بالجنة فينطلق به جبريل ﷺ فيخر ساجدًا قدر جمعة ويقول الله عز وجل ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع قال فيرفع رأسه فإذا نظر إلى وجه ربه خر ساجدًا قدر جمعة أخرى. فيقول الله عز وجل ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع قال فيذهب ليقع ساجدًا فيخر جبريل بضبعيه فيفتح الله عليه من الدعاء شيئًا لم يفتحه على بشر قط فيقول أي رب خلقتني سيد ولد آدم ولا فخر وأول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر حتى إنه ليرد على الحوض أكثر مما بين صنعاء وأيلة ثم يقال ادعوا الصديقين فيشفعون ثم يقال ادعوا الأنبياء قال فيجيء النبي ومعه العصابة والنبي ومعه الخمسة والستة والنبي وليس معه أحد ثم يقال ادعوا الشهداء فيشفعون لمن أرادوا قال فإذا فعلت الشهداء ذلك قال يقول الله عز وجل أنا أرحم الراحمين أدخلوا جنتي من كان لا يشرك بي شيئًا قال فيدخلون الجنة قال ثم يقول الله عز وجل انظروا في أهل النار هل تلقون من أحد عمل خيرًا قط.

قال فيجدون في النار رجلاً فيقولون له هل عملت خيرًا قط ؟ فيقول لا. غير أني كنت أسامح الناس في البيع فيقول الله عز وجل اسمحوا لعبدي بسماحته إلى عبيدي ثم يخرجون من النار رجلاً فيقول له هل عملت خيرًا قط ؟

فيقول لا. غير أني أمرت ولدي إذا مت فاحرقوني في النار ثم اطحنوني حتى إذا كنت مثل الكحل فاذهبوا بي إلى البحر فاذروني في الريح فوالله لا يقدر على رب العالمين أبدًا [(١)].

فقال الله عز وجل له لم فعلت ذلك ؟ قال من مخافتك، قال فيقول الله عز وجل انظر إلى ملك أعظم ملك فإن لك مثله وعشرة أمثاله.

قال فيقول أتسخر بي وأنت الملك ؟ قال وذلك الذي ضحكت منه من الضحى.

---

(١) هنا شيء ناقص تقديره إلا عاقبني.

فصل

وأما حديث:

أبي هريرة وأبي سعيد ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن ناسًا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا. قال فإنكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئًا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تعالى في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله عز وجل في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم السعدان ؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله عز وجل يخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله ومنهم المجاز حتى ينجوا فإذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئًا ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله فيعرفونهم بأثر السجود وتأكل النار من ابن آدم كل شيء إلا اثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار وهو آخر أهل الجنة دخولاً الجنة فيقول أي رب اصرف وجهي عن النار فإنه قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها. فيدعو الله ما شاء أن يدعوه ثم يقول الله تبارك وتعالى هل عسيت إن فعلت ذلك أن تسأل غيره فيقول لا أسألك غيره فيعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله فيصرف الله وجهه عن النار فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول أي رب قدمني إلى باب الجنة فيقول الله أليس قد أعطيت عهودك

ومواثيقك لا تسألني غير الذي أعطيتك ؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك فيقول أي رب فيدعو الله حتى يقول له فهل عسيت أن أعطيتك ذلك أن تسألني غيره فيقول لا وعزتك فيعطي ربه ما شاء من عهود ومواثيق فيقدمه إلى باب الجنة فإذا قام على باب الجنة انفهقت له الجنة فرأى ما فيها من الخير والسرور فسكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول أي رب أدخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى له أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسألني غير ما أعطيت ويلك يا ابن آدم ما أغدرك فيقول أي رب لا أكون أشقى خلقك فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله منه فإذا ضحك الله منه قال أدخل الجنة فإذا دخلها قال الله له تمن فيسأل ربه ويتمنى حتى إن الله ليذكره فيقول تمن كذا وكذا حتى إذا انقطعت به الأماني قال الله عز وجل ذلك لك ومثله معه.

قال أبو سعيد: وعشرة أمثاله معه.

قال عطاء بن يزيد وأبو سعيد الخدري مع أبي هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئًا حتى إذا حدث أبو هريرة. قال إن الله عز وجل قال لذلك الرجل: ومثله معه. قال أبو سعيد: وعشرة أمثاله معه يا أبا هريرة. قال أبو هريرة ما حفظت إلا قوله ذلك لك ومثله معه.

قال أبو سعيد أشهد أني حفظت من رسول الله ﷺ قوله ذلك لك وعشرة أمثاله.

قال أبو هريرة وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولاً الجنة.

وفي الصحيحين أيضًا عن أبي سعيد الخدري أن ناسًا في زمن رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ نعم. هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوًا ليس معها سحاب ؟ وهل تضارون في رؤية البدر ليس دونه سحاب ؟ قالوا لا يا رسول الله قال ما تضارون في رؤيته تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تَضارون في رؤية أحدهما إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغير أهل الكتاب فتدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ قالوا كنا نعبد عزير ابن الله فقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون ؟ قالو عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب

يحطم بعضها بعضًا. فيتساقطون في النار. ثم تدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا قال فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا فيتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها.

قال فما تنتظرون ؟ لتتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئًا مرتين أو ثلاثًا حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب.

فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها ؟

فيقولون نعم فيكشف عن ساقه فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ثم يضرب لهم الجسر على جهنم وتحل الشفاعة.

قيل: يا رسول الله وما الجسر ؟

قال: دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وكحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة في استفاء الحق من المؤمنين لله تعالى يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقًا كثيرًا قد أخذت النار إلى أنصاف سوقهم إلى ركبهم فيقولون ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا.

فيقول ارجعوا ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقًا كثيرًا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدًا.

ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرًا قط.

وكان أبو سعيد الخدري يقول أن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرأوا إن شئتم ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط قد عادوا حممًا فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون منها إلى الشمس أصفر وأخيضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض فقالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية.

قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفون أهل الجنة.

فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول أدخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم.

فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من العالمين.

فيقول لكم عندي أفضل من هذا فيقولون ربنا. وأي شيء أفضل من هذا فيقول تعالى رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبدًا اهـ.

فصل

وأما حديث:

جرير بن عبد الله، ففي الصحيحين أنه قال كنا جلوسًا مع النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة. فقال: إنكم سترون ربكم عيانًا كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا ثم قرأ قوله: ﴿ **وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ** ﴾.

رواه جماعة عنه منهم زيد ابن أبي أنيس وجوده فقال فستعاينون ربكم عز وجل كما تعاينون هذا القمر.

وأبو شهاب الخياط وقال سترون ربكم عيانا، وذكر جماعة وقال وكل هؤلاء شهدوا على إسماعيل بن خالد.

ومضى إلى أن قال، فكأنك تسمع رسول الله ﷺ وهو يقوله ويبلغه لأمته ولا شيء أقر لأعينهم منه وشهدت الجهمية والفرعونية والرافضة والقرامطة والباطنية وفروخ الصابئة والمجوس واليونان بكفر من اعتقد ذلك وأنه من أهل التشبيه والتجسيم وتابعهم على ذلك كل عدو للسنة وأهلها والله تعالى ناصر كتابه وسنة رسوله ولو كره الكافرون.

قال محمد تقي الدين: ثم ذكر ابن القيم رحمه الله عن كل واحد من الصحابة المذكورين حديثًا مماثلاً لما تقدم في المعنى بعض هذه الأحاديث مبسوط وبعضها مختصر ولولا خوف السآمة من القارئ والمستمع لذكرتها كلها فمن شاء استيفاءها فليراجعها في المصدر المذكور.

الباب الثالث

قوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ [الآية: ١٥٨].

قال (ك) يقول تعالى متوعدًا للكافرين به والمخالفين لرسله والمكذبين آياته والصادين عن سبيله ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ** ﴾ وذلك كائن يوم القيامة ﴿ **أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا** ﴾ وذلك قبل يوم القيامة كائن من أمارات الساعة وأشراطها كما قال (خ) في تفسير هذه الآية بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها الناس آمن من عليها ». فذلك حين ﴿ **لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ** ﴾ وذكر بسنده عن أبي هريرة أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها وفي لفظ: فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل » ثم قرأ هذه الآية، هكذا روي هذا الحديث من هذين الوجهين ومن الوجه الأول أخرجه بقية الجماعة في كتبهم إلا الترمذي اهـ.

قال محمد تقي الدين: وقد تقدم الكلام في سورة البقرة على صفة الإتيان والمجيء، وما في معناهما بما يشفي ويكفي والحمد لله رب العالمين اهـ.

سورة الأعراف

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الآية: ٥٤].

قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ** ﴾ قال مجاهد، وأحمد بن حنبل، وابن عباس، والضحاك: أنها من أيام الله التي قال فيها وإن يومًا عند ربك كألف سنة مما تعدون، وقد يطلق اليوم على المدة الطويلة من الزمان كما قال تعالى: ﴿ **فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ** ﴾، وكما قال تعالى: ﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾ أي يوم الجزاء وهو مدة طويلة وقال تعالى: ﴿ **يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ** ﴾، فاليوم هنا معناه الزمان!

وقوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ** ﴾ **قال (ك):** فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدًا ليس هذا موضع بسطها وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهوية وغيرهم من أئمة المسلمين قديمًا وحديثًا وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه وليس كمثله شيء وهو السميع البصير. بل الأمر كما قال الأئمة منهم نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري قال: من شبه الله بخلقه كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله ونفي عن الله تعالى النقائص فقد

سلك سبيل الهدى.

قال محمد تقي الدين: أفتتح هذه المعركة في إثبات علو الله تعالى باسم الله الواحد الأحد وبه أستعين على كل جهمي معطل أن يمنحنا النصر والظفر على تطهير القلوب والألسنة من عقيدة المعطلين نفاة الصفاة الذين لا يعرفون معبودهم فيجردونه من الصفات حتى يصير عدمًا وأبداً بما تضمنه كتاب العلو للحافظ النقاد شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الدمشقي الشهير بالذهبي المولود سنة ٦٧٣ والمتوفى سنة ٧٤٨.

الآيات الدالة على علو الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً ﴾ ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾. وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء ﴾. وقال تعالى في وصف كتابه العزيز: ﴿ تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى، الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ وقال تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ ﴾ إلى غير ذلك من آيات الاستواء، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ﴾ وقال تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾. وقال تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾. وقال تعالى: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا، بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ وقال تعالى في الملائكة: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ وقال تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّنْ فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ، أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾. وقال تعالى: ﴿ ذِي الْمَعَارِجِ، تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ، أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا ﴾ إلى غير ذلك من نصوص القرآن العظيم جل منزله وتعالى قائله اهـ.

فإن أحببت يا عبد الله الإنصاف، فقف مع نصوص القرآن والسنن ثم انظر ما

قال الصحابة والتابعون وأئمة التفسير في هذه الآيات، وما حكوه من مذاهب السلف، فأما أن تنطق بعلم، وإما أن تسكت بحلم، ودع المراء والجدال، فإن المراء في القرآن كفر، كما نطق بذلك الحديث الصحيح، وسترى أقوال الأئمة في ذلك على طبقاتهم بعد سرد الأحاديث النبوية جمع الله قلوبنا على التقوى، فإننا على أصل صحيح وعقد متين، من أن الله تقدس اسمه لا مثل له، وأن إيماننا بما ثبت من نعوته كإيماننا بذاته المقدسة عن الأشباه من غير أن نتعقل الماهية، فكذلك القول في صفاته نؤمن بها ونعقل وجودها، ونعلمها في الجملة من غير أن نشبهها أو نمثلها بصفات خلقه، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، فالاستواء – كما قال مالك الإمام وجماعة – معلوم والكيف مجهول.

١ – فمن الأحاديث الواردة المتواترة في العلو حديث معاوية بن الحكم السلمي قال: كانت لي غنيمة بين أحد والجوانية فيها جارية لي، فاطلعتها ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب منها بشاة – وأنا رجل من بني آدم – فأسفت فصككتها فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له فعظم ذلك علي، فقلت: يا رسول الله أفلا أعتقها ؟ قال: « ادعها » فدعوتها فقال لها « أين الله ؟ » فقالت في السماء، قال: « من أنا ؟ » قالت أنت رسول الله، قال: « أعتقها فإنها مؤمنة » هذا حديث صحيح رواه جماعة من الثقاة عن يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن معاوية السلمي، أخرجه مسلم، وأبو داوود، والنسائي، وغير واحد من الأئمة في تصانيفهم يمرونه كما جاء ولا يتعرضون له بتأويل ولا تحريف.

عن عطاء بن يسار قال: حدثني صاحب الجارية نفسه قال: كانت لي جارية ترعى الحديث، وفيه فمد النبي ﷺ يده إليها وأشار إليها مستفهمًا « من في السماء ؟ » قالت: الله، قال: « فمن أنا ؟ » قالت: أنت رسول الله. قال: « أعتقها فإنها مسلمة ».

قال محمد تقي الدين: ثم ذكر الحافظ الذهبي روايات عديدة لهذا الحديث وأحاديث وأخرى في معناه تركت ذكرها حبًا للاختصار.

شرح بعض كلمات هذا الحديث:

١ – فأسفت أي غضبت: فصككتها أي ضربتها بيدي على وجهها وقد جاء مصرحًا به في بعض الروايات فلطمت وجهها.

٢- قوله وأنا رجل من بني آدم فغضبت كما يغضبون.

قال محمد تقي الدين: في هذا الحديث السؤال عن الله تعالى بأين ومنعه الخوارج وسائر الفرق المعطلة كالمعتزلة والمتأخرين من الأشعرية وزعموا أن من سأل عن الله بأين فهو مجسم واختلفوا في كفره وفسقه ومعصيته فيلزمهم نسبة ذلك إلى نبي الله الذي جاءنا بالإيمان فقبح الله علمًا يفضي إلى مثل هذا، وفيه « إقرار النبي عليه الصلاة والسلام » بأن الله في السماء وأنكرته المعطلة واختلفوا في كفر معتقده فيا ويلهم ماذا جنوا على أنفسهم بسبب جهلهم وعمي بصائرهم فنعوذ بالله من الخذلان اهـ.

الحديث الثاني:

حديث جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يوم عرفة: « ألا هل بلغت ؟ فقالوا: نعم – يرفع أصبعه إلى السماء وينكسها إليهم – ويقول: « اللهم اشهد » أخرجه مسلم.

قال محمد تقي الدين: ماذا تقول المعطلة في إشارة النبي ﷺ بإصبعه إلى السماء عند قوله اللهم اشهد فهل كان يشير إلى العدم كما تعتقدون فبعضكم يقول: إن الله لا داخل العالم ولا خارجه. فالإشارة إليه عندكم مستحيلة وقد أشار إليه النبي ﷺ وأشارت إليه الجارية وأقرها على ذلك رسول الله ﷺ والنبي وأصحابه على حق فأنتم إذا على باطل اهـ.

الحديث الثالث:

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يرجع إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون ». متفق عليه.

قال محمد تقي الدين: نزول الملائكة من عند الله بأمره تعالى إلى الأرض ورجوعهم إلى الله وذكرهم ما شاهدوه من صلاة المصلين على أي شيء يدل هذا ؟ هل يمكن أن يدل على أن الله في كل مكان أو أنه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه ؟ كلا ! ثم كلا !

وهل الفرق المعطلة تعرف الله أحسن مما يعرفه رسوله وأصحابه والتابعون والأئمة المجتهدون وأئمة الحديث ؟ كلا ! والله إن المعطلين لفي ضلال مبين. فيا حسرتهم يوم القيامة ويا ندامتهم حين يجيء الله تعالى لفصل القضاء ويعلمون أنهم كانوا كاذبين فتعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا اهـ.

الحديث الرابع:

رواه الحافظ الذهبي بسنده وسرد رجاله إلى أبي رزين العقيلي، قال: قلت يا رسول الله: « أين كان ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض ؟ قال كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء، ثم خلق العرش ثم استوى عليه » رواه الترمذي وابن ماجه وإسناده حسن ورواه إسحاق بن راهوية عن عبد الصمد بن عبد الوارث عن حماد وعنده « ثم كان العرش فارتفع على عرشه » قال أبو عبيد العماء الغمام.

الحديث الخامس:

عن عمرو بن دينار: عن أبي قابوس عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن رسول الله ﷺ قال: « الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » أخرجه (د) و (ت) وصححه ؟

قال محمد تقي الدين: ما المراد بقول النبي ﷺ يرحمكم من في السماء ؟ هل يملك الرحمة أحد غير الله تعالى ؟ كلا ! إنه هو العزيز الرحيم العلي الكريم وذلك مصداق قول الله تعالى في سورة الملك: ﴿ **أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ، أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ** ﴾ فأنت ترى أن الآيتين والحديث يدلان دلالة واضحة على أن الله في السماء فوق العرش والعرش أعلى المخلوقات وأعظمها وهو غني عن العرش والعرش فقير إليه، فيا أيها المعطلون توبوا من التعطيل وآمنوا بما جاء في التنزيل واتبعوا السلف واحذروا التلف والله يهدينا وإياكم إلى صراط مستقيم اهـ.

الحديث السادس:

عن أبي الأحوص عن أبي إسحاق عن جرير سمع النبي ﷺ يقول: « من لم يرحم

من في الأرض لم يرحمه من في السماء » رواته ثقات.

الحديث السابع:

عن أنس أن زينب بنت جحش كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات ولفظ أبي عيسى أنها قالت للنبي ﷺ زوجنيك الرحمن من فوق عرشه، هذا حديث صحيح أخرجه البخاري.

قال محمد تقي الدين: فإذا قال الجهمي: إن كون إرادة التزويج أو فعله وقع في السماء لا يدل على أن الله فوق سبع سموات فجوابه أن إرادة الله وفعله عامان في جميع الأشياء في الأرض والسماء وإنما أرادت زينب أن الله فوق سبع سموات وأن تزويجها كان عنده كما فهمه أئمة الحديث واحتجوا به على أن الله في السماء أما الجهمية فإنهم أهل حدث وليسوا من أهل الحديث اهـ.

الحديث الثامن:

عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: « ألا تأمنوني. وأنا أمين من في السماء ؟ يأتيني خبر السماء صباحًا ومساء » متفق عليه.

قال محمد تقي الدين: وهذا الحديث صريح ينزل على رؤوس المعطلين صاعقة تحرقهم ولا حيلة لهم في تحريفه اهـ.

الحديث التاسع:

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها زوجها » أخرجه (م).

قال محمد تقي الدين: من الذي سخط عليها وهو في السماء ؟ أتستطيعون أن تقولوا سخط أمره ؟ أو سخطت قدرته ؟ فقد فضحكم الله، فاتركوا التستر بالباطل، ولا تحاولوا ستر الشمس بالغربال، أتكفرون بالذي في السماء ؟ وقد آمن به الرسول ﷺ وأهل القرون المفضلة ؟ ارجعوا إلى الحق، فإن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل اهـ.

الحديث العاشر:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « لما ألقى إبراهيم عليه السلام في النار قال: اللهم إنك واحد في السماء وأنا في الأرض واحد أعبدك » هذا حديث حسن الإسناد رواه جماعة عن إسحاق.

قال محمد تقي الدين: جميع الأنبياء والرسل يعتقدون أن الله في السماء كما رأينا في هذا الحديث، وكما حكي الله تعالى عن فرعون أنه قال لوزيره يا هامان ابن لي سرحًا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى. يفهم من هذا أن فرعون سأل موسى عن إلهه الذي يدعو إليه فأخبره أنه في السماء فظن بجهله أن وزيره وقومه يستطيعون أن يبنوا بناء يصل إلى السماء التي فيها الله تعالى.

الحديث الحادي عشر:

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « إن الميت يحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا أخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، أبشري بروح وريحان، ورب غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء، فيستفتح لها فيقال من هذا ؟ فيقال: فلان فيقال مرحبًا بالنفس الطيبة، فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله تعالى ». وذكر الحديث رواه (حم) في مسنده والحاكم في مستدركه وقال: هو على شرط (ق).

قال محمد تقي الدين: لا جرم أن المعطل الذي لا يؤمن بهذا الحديث وما في معناه لا تفتح له أبواب السماء لروحه ولا تصل إلى السماء السابعة، ولا يقول الله تعالى للملائكة اكتبوا كتاب عبدي في عليين بل يكتب كتابها في سجين اهـ.

الحديث الثاني عشر:

عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: « بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، فذلك قوله عز وجل: ﴿ سَلامٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ أخرجه (ج) في باب ما أنكره الجهمية.

الحديث الثالث عشر:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله إلا طيب – فإنه يتقبلها بيمينه ويربيها لصاحبها حتى تكون مثل الجبل » هذا حديث صحيح أخرجه (خ).

قال محمد تقي الدين: وماذا يقول الجهمي في هذا الحديث الذي يدل على صعود الصدقة إلى الله تعالى فيأخذها بيمينه أيؤمن به أم يكفر به ؟ فإن آمن به فقد فاز وربح وإن كفر به فتعسًا له اهـ.

الحديث الرابع عشر:

عن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور ولو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره » أخرجه (ق).

قال محمد تقي الدين: إذا كان الله بزعمكم بذاته في كل مكان أو لا داخل العالم ولا خارجه كما يقول بعضكم فلماذا يرفع إليه العمل اهـ.

الحديث الخامس عشر:

روي الذهبي عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال لأبي عمران بن حصين « كم تعبد اليوم إلهًا ؟ » فقال ستة في الأرض وواحد في السماء. قال: « فأيهم تعده لرغبتك ورهبتك ؟ » قال الذي في السماء، قال: « يا حصين أما إنك لو أسلمت علمتك كلمتين ينفعانك » فلما أسلم قال: يا رسول الله علمني الكلمتين قال: « قل اللهم ألهمني رشدي، وأعذني من شر نفسي ؟ ».

قال محمد تقي الدين: عقيدة هذا الرجل في زمان كفره أن الله في السماء أحسن من عقيدة كثير من الذين يدعون الإسلام على أنه أسلم بعد ذلك وترك عبادة الآلهة التي في الأرض ووحد الإله الذي في السماء.

الحديث السادس عشر:

روي الإمام أبو عبد الله الشافعي مرفوعًا فقال: في مسنده، أخبرنا إبراهيم بن محمد

حدثني موسى بن عبيدة، حدثني أبو الأزهر معاوية بن إسحاق بن طلحة عن عبد الله بن عمير أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: أتى جبرائيل عليه الصلاة والسلام بمرآة بيضاء فيها نكتة إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: « ما هذه ؟ » فقال هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك فالناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى ولكم فيها خير ولكم فيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله تعالى فيها بخير إلا استجيب له وهو عندنا يوم المزيد قال النبي ﷺ: « يا جبريل وما يوم المزيد ؟ » قال عليه السلام إن ربك تبارك وتعالى اتخذ في الفردوس واديًا أفيح فيه كثب المسك، فإذا كان يوم الجمعة أنزل تعالى ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين، وحفت تلك المنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون، فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب، فيقول الله عز وجل: أنا ربكم قد صدقتكم وعدي، فسلوني أعطكم، فيقولون ربنا نسألك رضوانك فيقول: قد رضيت عنكم ولكم على ما تمنيتم ولدي مزيد، فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم تبارك وتعالى من الخير وهو اليوم الذي استوى فيه ربكم على العرش وفيه خلق آدم وفيه تقوم الساعة. هكذا أورده الإمام الشافعي رحمه الله في كتاب الجمعة من الأم وله طرق عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

قال محمد تقي الدين: وهذا الحديث واضح قراءته شرحه فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر اهـ.

الحديث السابع عشر:

عن سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال: لسعد بن معاذ: « لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سموات ». هذا حديث صحيح أخرجه (ن) **قال محمد تقي الدين:** تقدم الكلام على مثله في حديث زينب.

الحديث الثامن عشر:

وفي الصحيح لـ (خ) من حديث قتادة عن أنس عن النبي ﷺ قال: « فأستذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه » وأخرجه أبو أحمد العسال في كتاب المعرفة بإسناد قوي عن ثابت عن أنس وفيه « فآتي باب الجنة فيفتح لي، فآتي ربي تبارك وتعالى وهو على كرسيه

أو سريره فأخر له ساجدا » وذكر الحديث.

قال محمد تقي الدين: وهذا الحديث أيضا صريح في أن الله فوق عرشه اللهم اشهد علينا بأننا آمنا به فيا ويل من كذب به وأنكر معناه أهـ.

الحديث التاسع عشر:

روى (ق) بسندهما عن انس بن صعصعة أن النبي ﷺ حدثه أنه ليلة أسرى به « بينما أنا في الحطيم – وربما قال: قال قتادة: في الحجر – مضطجع إذ أتاني آت – فذكر الحديث وفيه قال: ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض يقع خطوه عند انقضاء طرفه قال: فحملت عليه فانطلق بي جبرائيل حتى أتى بي السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا ؟ قال جبرائيل، قيل ومن معك ؟ قال محمد. قيل أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم فقيل، مرحبا به ولنعم المجئ جاء. قال ففتح، فلما خلصت إذا فيها آدم، قال هذا أبوك فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام، ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح، ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح، قيل من هذا ؟ قال جبرائيل، قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل إليه ؟ قال نعم، قيل مرحبا به ولنعم المجئ جاء، قال ففتح فلما خلصت فإذا يحيي وعيسى وهما ابنا الخالة ؛ قال هذا يحيي وعيسى فسلم عليهما، فسلمت فردا السلام وقالا مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي السماء الثالثة فاستفتح، فقيل من هذا ؟ قال جبرائيل قيل ومن معك ؟ قال محمد، قيل وقد أرسل إليه، قال نعم، قيل مرحبا به ولنعم المجئ جاء قال ففتح فلما خلصت إذا يوسف، قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال، مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا ؟ قال جبرائيل، قيل ومن معك ؟ قال محمد، قيل وقد أرسل إليه، قال: نعم، قيل مرحبا به ولنعم المجئ جاء، قال ففتح فلما خلصت فإذا إدريس، قال هذا إدريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام، ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، قال ثم صعد حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا ؟ قال جبرائيل، قيل ومن معك؟ قال: محمد، قيل وقد أرسل إليه، قال نعم مرحبا به ولنعم المجئ جاء، قال ففتح فلما خلصت فإذا هارون قال هذا هارون فسلم عليه، قال فسلمت عليه فرد السلام، ثم قال:

مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل: من هذا ؟ قال: جبرائيل قيل: ومن معك؟ قال: محمد ؛ قيل: وقد أرسل إليه، قال: نعم، قال: مرحبا به ولنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت فإذا أنا بموسى، قال هذا موسى فسلم عليه، فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، قال فلما تجاوزت بكى، فقيل، ما يبكيك قال أبكي لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي، ثم صعد حتى أتى السماء السابعة فاستفتح، قيل من هذا قال جبرائيل، قيل ومن معك، قال: محمد، قيل وقد أرسل إليه، قال نعم، قال مرحبا به ولنعم المجيء جاء، قال ففتح فلما خلصت فإذا إبراهيم، قال هذا إبراهيم فسلم عليه، فسلمت فرد السلام، ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح، قال ثم رفعت إلى سدرة المنتهى ثم رفع إلى البيت المعمور، قال ثم فرضت على الصلاة خمسين صلاة كل يوم، فرجعت فمررت على موسى، فقال: بم أمرت ؟ قلت بخمسين صلاة كل يوم، قال إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة، وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك، قال فرجعت فوضع عني عشرًا. فرجعت إلى موسى فقال: بم أمرت قال بأربعين صلاة كل يوم ؛ قال إن أمتك لا تستطيع أربعين صلاة كل يوم، وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك، فرجعت فوضع عني عشرًا أخر، فرجعت إلى موسى فقال، بم أمرت ؟ قلت بثلاثين صلاة كل يوم، قال إن أمتك لا تستطيع ثلاثين صلاة كل يوم وإني قد خبرت الناس قبلك فعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك، فرجعت فوضع عني عشرًا أخر ؛ فرجعت إلى موسى فقال: بم أمرت قلت بعشرين صلاة كل يوم قال: إن أمتك لا تستطيع عشرين صلاة كل يوم وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك، قال فرجعت فأمرت بعشر صلوات في كل يوم فرجعت إلى موسى فقال بم أمرت ؟ قلت بعشر صلوات كل يوم قال إن أمتك لا تستطيع عشر صلوات كل يوم، وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم،

فرجعت إلى موسى فقال: بم أمرت، قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم، فقال إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، قلت قد سألت ربي حتى استحييت، ولكني أرضى وأسلم، فلما نفذت نادى مناد: قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي » متفق عليه.

قال محمد تقي الدين: وحديث الإسراء من أعظم الأدلة التي لا يشك فيها من يؤمن بها لأنه رواه جميع أهل الحديث ودل عليه القرآن قال تعالى: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى** ﴾. وقال تعالى: ﴿ **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى، وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى، عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى، ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى، وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى، ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى، مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى، وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى، عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى، إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى، مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى، لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى** ﴾ فدل ذلك على أن الله تعالى فوق عرشه وعلمه محيط بكل شيء اهـ.

قال الحافظ المتقن المحدث المفسر شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي المتوفى سنة ٧٥١ في كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية في غزو المعطلة والجهمية ما نصه: ومنها قوله تعالى: ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ، يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ، ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ** ﴾ وتأمل ما في هذه الآيات من الرد على طوائف المعطلين والمشركين فقوله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام يتضمن إبطال قول الملاحدة القائلين بقدم العالم وأنه لم يزل وأن الله سبحانه لم يخلقه بقدرته ومشيئته ومن أثبت منهم وجود الرب جعله لازمًا لذاته أزلاً وأبدًا غير مخلوق وكما هو قول ابن سينا والنصير الطوسي وأتباعهما من الملاحدة الجاحدين لما اتفق عليه الرسل عليهم الصلاة والسلام والكتب وشهدت به العقول والفطر السليمة وقوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ** ﴾ يتضمن إبطال قول المعطلة والجهمية الذين يقولون ليس على العرش سوى العدم

وأن الله ليس مستويًا على عرشه ولا ترفع إليه الأيدي ولا يصعد إليه الكلم الطيب ولا رفع المسيح عليه الصلاة والسلام إليه ولا عرج برسوله محمد ﷺ ولا تعرج الملائكة والروح إليه ولا ينزل من عنده جبرائيل عليه الصلاة والسلام ولا غيره ولا ينزل هو كل ليلة إلى السماء الدنيا ولا يخافه عباده من الملائكة وغيرهم من فوقهم ولا يراه المؤمنون في الدار الآخرة عيانًا بإبصارهم من فوقهم ولا يجوز الإشارة إليه بالأصابع إلى فوق كما أشار إليه النبي ﷺ في أعظم مجامعه في حجة الوداع وجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكسها إلى الناس ويقول اللهم اشهد.

قال شيخ الإسلام وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره وسنة رسوله ﷺ وكلام الصحابة والتابعين وكلام سائر الأئمة مملوء بما هو نص أو ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى فوق كل شيء وأنه فوق العرش فوق السموات مستو على عرشه مثل قوله تعالى: ﴿ **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **ذِي الْمَعَارِجِ، تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ** ﴾ فذكر التوحيد في هذه الآية وقوله تعالى: ﴿ **تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى، الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا (٥٨) الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى**

عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ فذكر عموم علمه وعموم قدرته وعموم إحاطته وعموم رؤيته وقوله تعالى: ﴿ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ، أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا ﴾ قال: أبو الحسن الأشعري وقد احتج بهذه الآية على الجهمية فكذب فرعون موسى عليه السلام في قوله أن الله فوق السموات وسيأتي إن شاء الله تعالى حكاية كلامه بحروفه وأما الأحاديث فمنها قصة المعراج وهي متواترة وتجاوز النبي ﷺ السموات سماء سماء حتى انتهى إلى ربه تعالى فقربه وأدناه وفرض عليه الصلوات خمسين صلاة فلم يزل بين موسى عليه السلام وبين ربه تبارك وتعالى ينزل من عند ربه تعالى إلى موسى فيسأله كم فرض عليك فيخبره فيقول: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فيصعد إلى ربه فيسأله التخفيف وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش أن رحمتي تغلب غضبي وفي لفظ آخر كتب في كتابه على نفسه فهو موضوع عنده إن رحمتي تغلب غضبي وفي لفظ وهو عنده على العرش وفي لفظ وهو مكتوب عنده فوق العرش وهذه الألفاظ كلها في صحيح مسلم وفي صحيح البخاري عن أبي موسى الأشعري قال قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» وذكر البخاري في كتاب التوحيد في صحيحه حديث أنس حديث الإسراء وقال فيه ثم علا به يعني جبرائيل فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاوز سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلي فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده فيما أوحى إليه خمسين صلاة ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه فقال: يا محمد ماذا عهد إليك ربك ؟ قال عهد إلى خمسين صلاة في كل يوم وليلة قال إن أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت النبي ﷺ إلى جبرائيل

كأنه يستشيره في ذلك فأشار إليه جبرائيل أن: نعم إن شئت فعلا إلى الجبار تبارك وتعالى فقال وهو مكانه يارب خفف عنا، وذكر الحديث وفي الصحيحين عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون ولما حكم سعد بن معاذ في بني قريظة بأن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذريتهم وتغنم أموالهم قال له النبي ﷺ لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة أرقعة وفي لفظ من فوق سبع سموات وأصل القصة في الصحيحين وهذا السياق لمحمد بن إسحاق في المغازي وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد قال بعث على بن أبي طالب إلى النبي ﷺ بذهيبة في أديم مقروض لم تحصل من ترابها قال فقسمها بين أربعة بين عيينة بن بدر، والأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة وإما عامر بن الطفيل، فقال رجل: من أصحابه كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء فبلغ النبي ﷺ فقال: ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء مساء وصباحًا وفي صحيح مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي قال لطمت جارية لي فأخبرت رسول الله ﷺ فشق ذلك على فقلت يا رسول الله أفلا أعتقها قال بلى ائتني بها قال: فجئت بها رسول الله ﷺ فقال لها أين الله قالت في السماء قال فمن أنا قالت أنت رسول الله قال أعتقها إنها مؤمنة وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك قال كانت زينب تفتخر على أزواج النبي ﷺ وتقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات، وفي سنن أبي داوود من حديث جبير بن مطعم قال جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله نهكت الأنفس وجاعت العيال وهلكت الأموال استسق ربك فأنا نستشفع بالله عليك وبك على الله فقال النبي ﷺ: سبحان الله سبحان الله فما زاد يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه فقال أتدري ما الله إن شأنه أعظم من ذلك إنه لا يستشفع به على أحد من خلقه إنه لفوق سمائه على عرشه وإنه عليه لهكذا وأنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب، وفي سنن أبي داوود أيضًا ومسند الإمام أحمد من حديث العباس بن عبد المطلب قال كنت في البطحاء في عصابة وفيهم رسول الله ﷺ فمرت سحابة فنظر إليها وقال ما تسمون هذه

قالوا السحاب: قال والمزن قالوا والمزن قال والعنان قال والعنان قال: هل تدرون ما بعد ما بين السماء والأرض قالوا لا ندري قال إن بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان وثلاث وسبعون سنة ثم السماء فوقها كذلك حتى عد سبع سموات ثم فوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله مثل ما بين سماء إلى سماء ثم فوق ذلك ثمانية أو قال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء وفوق ظهورهم العرش أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم الله عز وجل فوق ذلك زاد أحمد وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم وفي سنن أبي داوود أيضًا عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله يقول من اشتكى منكم أو اشتكى أخ له فليقل ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الأرض اغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ. وفي مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة أن رجلاً أتي النبي ﷺ بجارية سوداء أعجمية فقال يا رسول الله إن علي رقبة مؤمنة فقال لها رسول الله ﷺ أين الله فأشارت بإصبعها السبابة إلى السماء فقال لها من أنا فأشارت بإصبعها إلى رسول الله ﷺ وإلى السماء أي أنت رسول فقال أعتقها فإنها مؤمنة. وفي جامع الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: الراحمون يرحمهم الله ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء قال الترمذي حديث حسن صحيح. وفي جامع الترمذي أيضًا عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ يا حصين كم تعبد اليوم إلهًا قال أبي سبعة ستة في الأرض وواحد في السماء قال فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك قال: الذي في السماء قال: يا حصين أما إنك لو أسلمت لعلمتك كلمتين ينفعانك قال فلما أسلم حصين قال يا رسول الله علمني الكلمتين اللتين وعدتني قال: « قل اللهم ألهمني رشدي واعذني من شر نفسي ». وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها زوجها. وروي الشافعي في مسنده من حديث أنس بن مالك قال: أتى جبرائيل بمرآة بيضاء فيها نكتة سوداء إلى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ ما هذه يا جبرائيل قال هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك فالناس لكم تبع اليهود

والنصارى ولكم فيها خير وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخير إلا استجيب له وهو عندنا يوم المزيد فقال النبي ﷺ يا جبرائيل وما يوم المزيد فقال إن ربك اتخذ في الجنة واديًا أفيح فيه كثب من مسك فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله تبارك وتعالى ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون ثم جاء أهل الجنة فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب فيقول الله عز وجل أنا ربكم قد صدقتكم وعدي فاسألوني أعطكم فيقولون: ربنا نسألك رضوانك فيقول قد رضيت عنكم ولكم ما تمنيتم ولدي مزيد فهم يحبون يوم الجمعة مما يعطيهم فيه ربهم من الخير وهو اليوم الذي استوى فيه ربك سبحانه وتعالى على العرش وفيه خلق آدم وفيه تقوم الساعة ولهذا الحديث عدة طرق جمعها أبو بكر بن أبي داوود في جزء. وفي سنن ابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ بينما أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة قال وذلك قوله تعالى سلام قولاً من رب رحيم قال فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم ويبقي نوره وبركته عليهم في ديارهم وفي الصحيحين من حديث أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل وفي صحيح ابن حبان عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي عن النبي ﷺ قال: إن ربكم حيي كريم يستحيي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا وروي ابن وهب قال أخبرني سعيد بن أبي أيوب عن زهرة بن معبد عن ابن عمر أخبره أنه سمع عقبة بن عامر يقول قال: رسول الله ﷺ من توضأ فأحسن وضوءه ثم رفع نظره إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء وفي حديث الشفاعة الطويل عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال فأدخل على ربي تبارك وتعالى وهو على عرشه وذكر الحديث وفي بعض ألفاظ البخاري في صحيحه فاستأذن على ربي في داره فيؤذن

لي عليه قال عبد الحق في الجمع بين الصحيحين هكذا قال في داره في المواضع الثلاث يريد مواضع الشفاعات التي يسجد فيها ثم رفع رأسه. وروي عن بن عمير الكندي عن على أن رسول الله ﷺ حدث عن ربه عز وجل قال وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي ما من أهل قرية ولا بيت ولا رجل ببادية كانوا على ما كرهت من معصيتي فتحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي إلا تحولت لهم عما يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي رواه ابن أبي شيبة في كتاب العرش وأبو أحمد العسال في كتاب المعرفة وصح عنه عن أبي هريرة بإسناد مسلم قال: قال رسول الله ﷺ إن لله ملائكة سيارة يتبعون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلس ذكر جلسوا معهم فإذا تفرقوا صعدوا إلى ربهم وأصل الحديث في صحيح مسلم ولفظه فإذا تفرقوا صعدوا إلى السماء فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بهم من أين جئتم ؟ الحديث وذكر الدارقطني في كتاب نزول الرب عز وجل كل ليلة إلى سماء الدنيا من حديث عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ يقول ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول ألا عبد من عبادي يدعوني فأستجيب له إلا ظالم لنفسه يدعوني فأفكه فيكون كذلك إلى مطلع الصبح ويعلو على كرسيه. وعن جابر بن سليم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن رجلاً ممن كان قبلكم لبس بردين فتبختر فنظر الله إليه من فوق عرشه فمقته فأمر الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها » رواه الدارمي عن سهل بن بكار أحد شيوخ البخاري وله شاهد في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة. وعن عمران بن حصين قال: قال رسول ﷺ، أقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا بشرتنا فأعطنا قال اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنوا تميم قالوا قد بشرتنا فاقض لنا على هذا الأمر كيف كان الله عز وجل على العرش وكان قبل كل شيء وكتب في اللوح المحفوظ كل شيء يكون، حديث صحيح أصله في البخاري. وروي الخلال في كتاب السنة بإسناد صحيح على شرط البخاري عن قتادة بن النعمان قال سمعت رسول الله ﷺ، يقول لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه. وفي قصة وفاة النبي ﷺ من حديث جابر أن النبي ﷺ قال لعلي إذا أنا مت فاغسلني أنت وابن عباس يصب الماء وجبرائيل ثالثكما وكفني في ثلاثة أثواب بيض جدد وضعوني في المسجد فإن أول من يصلي على الرب عز وجل من فوق عرشه، وقد

روي في حديث خطبة على لفاطمة أن النبي ﷺ لما استأذنها قالت يا أبت كأنك إنما ادخرتني لفقير قريش فقال والذي بعثني بالحق نبيا ما تكلمت بهذا حتى أذن الله فيه من السماء فقالت رضيت بالله وبما رضي الله لي. وفي مسند الإمام أحمد من حديث بن عباس قصة الشفاعة الحديث بطوله مرفوعًا وفيه فآتي الرب عز وجل فأجده على كرسيه أو سريره جالسًا. وعن أنس بن مالك قال حدثنا رسول الله ﷺ قال: يأتوني فأمشي بين أيديهم حتى آتي باب الجنة وللباب مصراعان من ذهب مسيرة ما بينهما خمسمائة عام قال معبد فكأني أنظر إلى أصابع أنس حين فتحها يقول مسيرة ما بينهما خمسمائة عام فأستفتح فيؤذن لي فأدخل على ربي فأجده قاعدًا على كرسي العز فأخر له ساجدًا رواه خشيش ابن أصرم النسائي (كذا) في كتاب السنة له. وذكر عبد الرزاق عن ابن المسيب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال إن الله عز وجل ينزل إلى سماء الدنيا وله في كل سماء كرسي فإذا نزل إلى سماء الدنيا جلس على كرسيه ثم يقول من ذا الذي يقرض غير عديم ولا ظلوم من ذا الذي يستغفرني فأغفر له من ذا الذي يتوب فأتوب عليه فإذا كان عند الصبح ارتفع فجلس على كرسيه رواه أبو عبد الله في مسنده وروي عن سعيد مرسلاً وموصلا قال الشافعي رحمه الله تعالى مرسل سعيد عندنا حسن وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ إذا جمع الله الخلائق حاسبهم فيميز بين أهل الجنة وأهل النار وهو في جنته على عرشه قال محمد بن عثمان الحافظ هذا حديث صحيح وعن جابر بن سليم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول أن رجلاً ممن كان قبلكم لبس بردين فنظر الله إليه من فوق عرشه فمقته فأمر الأرض فأخذته حديث صحيح. وروي عبد الله بن بكر السهمي وذكر سنده إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كنا جلوسًا ذات يوم بفناء رسول الله ﷺ إذ مرت بنا امرأة من بنات رسول الله ﷺ فقال رجل من القوم هذه ابنة رسول الله ﷺ فقال أبو سفيان ما مثل محمد في بني هاشم إلا كمثل ريحانة في وسط الزبل فسمعته تلك المرأة فأبلغته رسول الله ﷺ فخرج رسول الله ﷺ أحسبه قال مغضبًا فصعد على منبره وقال: «ما بال أقوال تبلغني عن أقوام إن الله خلق سبع سموات فاختار العليا فسكنها وأسكن سمواته من شاء من خلقه وخلق أرضين سبعًا فاختار العليا فأسكن فيها من خلقه واختار خلقه فاختار بني آدم فاختار العرب فاختار مضر فاختار قريشًا

فاختار بني هاشم فاختارني فلم أزل من خيار في خيار ألا من أحب قريشًا فبحبي أحبهم ومن أبغض قريشًا فببغضي أبغضهم» وروي الإمام أحمد من حديث ابن أبي ذئب بسنده إلى أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح، قالوا اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب أخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله تعالى وإذا كان الرجل السيئ قالوا أخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث أخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقال فلان فيقال لا مرحبًا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة فإنه لا يفتح لك أبواب السماء فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر». وروي الإمام أحمد في مسنده من حديث البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار وانتهينا إلى القبر ولم يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به الأرض فرفع رأسه فقال استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثًا ثم قال إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الطيبة أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك على وجه الأرض قال فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الطيبة فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه في الدنيا حتى ينتهوا إلى سماء الدنيا فيستفتحون له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهوا بها إلى السماء السابعة فيقول الله تعالى اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان ما

دينك فيقول ديني الإسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان له وما علمك فيقول قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقت فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة قال فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد البصر قال ويأتيه رجل من أحسن الناس وجهًا حسن الثياب طيب الرائحة فيقول أبشر بالذي يسرك فهذا يومك الذي كنت توعد فيقول له من أنت فوجهك وجه الذي يأتي بالخير فيقول أنا عملك الصالح فيقول رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي وذكر الحديث وهو صحيح صححه جماعة من الحفاظ. وقال عثمان بن سعيد الدارمي الإمام الحافظ أحد أئمة الإسلام بسنده إلى ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لما أسري بي مررت برائحة طيبة فقلت يا جبرائيل ما هذه الرائحة الطيبة قال هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها كانت تمشطها فوقع المشط من يدها فقالت بسم الله تعالى فقالت ابنته أبي قالت لا ولكن ربي ورب أبيك الله فقالت أخبر بذلك أبي قالت نعم، فأخبرته فدعا بها فقال من ربك هل لك رب غيري قالت ربي وربك الله الذي في السماء فأمر بنقرة من نحاس فأحميت ثم دعا بها وبولدها فألقاهما فيها وساق الحديث بطوله.
وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ كان ملك الموت يأتي الناس بيانًا، فأتى موسى فلطمه فذهب بعينه فعرج إلى ربه فقال بعثتني إلى موسى فلطمني فذهب بعيني ولولا كرامته عليك لشققت عليه فقال ارجع إلى عبدي فقل له فليضع يده على ثور فله بكل شعرة توارت بيده سنة يعيشها فأتى فبلغه ما أمره به فقال ما بعد ذلك قال الموت قال الآن فشمه شمة قبض روحه فيها ورد الله على ملك الموت بصره هذا حديث صحيح وشاهده في الصحيحين وقال أيضًا بسنده إلى أبي هريرة قال. قال رسول الله ﷺ لما ألقي إبراهيم في النار قال اللهم إنك في السماء واحد وأنا في الأرض واحدًا عبدك. وعن ابن عباس يرفعه عجبت من ملكين نزلا يلتمسان عبدًا في مصلاه كان يصلي فيه فلم يجداه فعرجا إلى الله فقالا يا ربنا عبدك فلان كنا نكتب له من العمل فوجدناه قد حبسته في حبالك فقال اكتبوا لعبدي عمله الذي كان يعمل رواه ابن أبي الدنيا وله شاهد في البخاري.
وفي حديث عبد الله بن أنيس الأنصاري الذي رحل إليه جابر بن عبد الله من المدينة

إلى مصر حتى سمع منه وقال له بلغني أنك تحدث بحديث في القصاص عن رسول الله ﷺ لم أشهده وليس أحد أحفظ له منك قال: نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الله يبعثكم يوم القيامة حفاة عراة غرلاً بهما ثم يجمعكم ثم ينادي وهو قائم على عرشه وذكر الحديث احتج به أئمة أهل السنة أحمد بن حنبل وغيره. وروي الحارث بن أبي أسامة في مسنده بسنده عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال إن الله ليكره في السماء أن يخطأ أبو بكر في الأرض ولا تعارض بين هذا الحديث وبين قول النبي ﷺ له في حديث الرؤيا أصبت بعضًا وأخطأت بعضًا لوجهين أحدهما أن الله سبحانه وتعالى يكره تخطئة غيره من آحاد الأمة لا تخطئة الرسول ﷺ له في أمر ما فإن الحق والصواب مع رسول الله ﷺ قطعًا بخلاف غيره من الأمة فإنه إذا خطأ الصديق لم يتحقق أن الصواب معه بل ما تنازع الصديق وغيره في أمر ما إلا وكان الصواب مع الصديق. الثاني: أن التخطئة هنا نسبة إلى الخطأ العمد الذي هو الإثم كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾ لا من الخطأ الذي هو ضد العلم والتعمد والله أعلم. وروي أبو نعيم بسنده إلى ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ إن العبد ليشرف على حاجة من حاجات الدنيا فيذكره الله من فوق سبع سموات فيقول ملائكتي إن عبدي هذا قد أشرف على حاجة من حاجات الدنيا فإن فتحتها له فتحت له بابًا إلى النار الحديث وفي مسند الإمام أحمد من حديث أسامة بن زيد قال قلت يا رسول الله ما أراك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان قال ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين عز وجل فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم: وقال أبو بكر بن أبي شيبة بسنده إلى حسان بن ثابت أنه أنشد النبي ﷺ:

شهدت بإذن الله أن محمدًا	رسول الذي فوق السموات من عل
وأن أخا الأحقاف إذ قام فيهم	يقول بذات الله فيهم ويعدل
وأن أبا يحيى ويحيى كلاهما	له عمل من ربه متقبل

قال شيخ الإسلام وذكر سنده إلى ابن عباس أن اليهود أتو النبي ﷺ فسألوه عن خلق السموات والأرض فذكر حديثًا طويلاً قالوا ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا أصبت يا محمد لو أتممت ثم استراح فغضب غضبًا شديدًا فأنزل الله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا

السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُغُوبٍ ﴾.

فصل فيما حفظ عن أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم من ذلك

قول أبي بكر الصديق

قال أبو بكر بن أبي شيبة بسنده عن ابن عمر قال لما قبض رسول الله ﷺ قال أبو بكر أيها الناس إن كان محمد إلهكم فإن محمدًا قد مات وإن كان الله إلهكم الذي في السماء فإن إلهكم لم يمت ثم تلا وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل حتى ختم الآية وقال البخاري في تاريخه بسنده إلى ابن عمر قال لما قبض النبي ﷺ دخل أبو بكر فانكب عليه وقبل جبهته وقال بأبي أنت وأمي طبت حيًا وميتًا وقال من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله في السماء حي لا يموت. وفي صحيح البخاري من حديث سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ ذهب إلى بني عمرو بن عوف ليصلح بينهم فحانت الصلاة فجاء المؤذن إلى أبي بكر فذكر الحديث وفيه أن رسول الله ﷺ أشار إلى أبي بكر أن امكث مكانك فرفع أبو بكر يديه فحمد الله على ما أمره به رسول الله ﷺ ثم استأخر فذكره اهـ.

قول عمر بن الخطاب

قال إسماعيل عن قيس قال لما قدم عمر الشام استقبله الناس وهو على بعيره فقالوا: يا أمير المؤمنين لو ركبت برذونًا ليلقاك عظماء الناس ووجوههم فقال عمر ألا أراكم ههنا إن الأمر من ههنا وأشار بيده إلى السماء، وقال عثمان بن سعيد الدارمي بسنده إلى أبي يزيد المزني قال لقيت امرأة عمر بن الخطاب يقال لها خولة بنت ثعلبة وهو يسير مع الناس فاستوقفته فوقف لها ودنا منها وأصغى لها حتى قضيت حاجتها وانصرفت فقال له رجل: يا أمير المؤمنين حبست رجالاً من قريش على هذه العجوز ! قال ويلك تدري من هذه قال لا قال هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات هذه خولة بنت ثعلبة والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت حتى تقضي حاجتها إلا أن تحضرني صلاة فأصليها ثم أرجع إليها حتى تقضي حاجتها.

وقال خليد بن دعلج عن قتادة قال خرج عمر بن الخطاب من المسجد ومعه جارود العبدي، فإذا بامرأة برزة عن ظهر الطريق فسلم عليها عمر فردت عليه السلام، وقالت: إيها يا عمر عهدتك يا عمر وأنت تسمي عميرًا في سوق عكاظ تزع الصبيان بعصاك فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر ولم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين فاتق الله في الرعية واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن خاف الموت خشي الفوت فقال الجارود لقد اجترأت أيتها المرأة على أمير المؤمنين فقال عمر دعها أما تعرفها هذه خولة بنت حكيم التي سمع الله شكواها من فوق سبع سموات.

وقال ابن عبد البر وحدثنا من وجوه عن عمر بن الخطاب أنه خرج ومعه الناس فمر بعجوز فاستوقفته فوقف لها وجعل يحدثها وتحدثه فقال رجل يا أمير المؤمنين حبست الناس على هذه العجوز قال: ويحك تدري من هذه. هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات .. الحديث.

قول عبد الله بن مسعود

قال الدارمي بسنده إلى ابن مسعود قال ما بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام وبين كل سماء مسيرة خمسمائة عام وبين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام وبين الكرسي إلى الماء مسيرة خمسمائة عام والعرش على الماء والله تعالى فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه.

وروي الأعمش عن خيثمة عنه أن العبد ليهم بالأمر من التجارة والإجارة حتى إذا تيسر له نظر الله إليه من فوق سبع سموات فيقول للملك اصرفه عنه فيصرفه عنه اهـ.

قول عبد الله بن عباس

ذكر عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب السنة من حديث سعد بن جبير قال تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله فإن بين السموات السبع إلى كرسيه سبعة آلاف نور وهو فوق ذلك. وفي مسند الحسن بن سفيان وكتاب عثمان بن سعيد الدارمي من حديث عبد الله بن أبي مليكة أنه حدثه ذكوان قال استأذن ابن عباس على عائشة وهي تموت فقال كنت أحب نساء النبي ﷺ ولم يكن رسول الله ﷺ يحب إلا طيبًا وأنزل الله براءتك

من فوق سبع سموات جاء بها الروح الأمين فأصبح ليس مسجد من مساجد الله يذكر فيها إلا وهو يتلى فيها آناء الليل وآناء النهار ؟

وذكر الطبراني في شرح السنة من حديث سفيان عن أبي هشام عن مجاهد قال قيل لابن عباس أن أناسًا يكذبون بالقدر قال يكذبون بالكتاب لئن أخذ شعر أحدهم لا ينبتونه أن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئًا فخلق الخلق فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة فإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه.

وقال إسحاق بن راهوية أخبرنا إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ﴾ قال ابن عباس ﷺ لم يستطع أن يقول من فوقهم علم أن الله من فوقهم اهـ.

قول عائشة

قال الدارمي بسنده إلى عائشة قالت وأيم الله إني لأخشى لو كنت أحب قتله لقتلته تعني عثمان ولكن علم الله من فوق عرشه أني لم أحب قتله اهـ.

قول زينب بنت جحش أم المؤمنين

في الصحيحين من حديث أنس قال كانت زينب تفتخر على أزواج النبي ﷺ وتقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات وفي لفظ غيرهما كانت تقول زوجنيك الرحمن من فوق عرشه كان جبرائيل السفير بذلك وأنا ابنة عمتك اهـ.

قول أبي أمامة الباهلي

قال أبو أمامة الباهلي قال لعن الله إبليس وأخرجه من سمواته وأخزاه قال: رب أخزيتني ولعنتني وطردتني عن سمواتك وجوارك فوعزتك لأغوين خلقك ما دامت الأرواح في أجسادهم فأجابه الرب تبارك وتعالى فقال وعزتي وجلالي وارتفاعي على عرشي لو أن عبدي أذنب حتى ملأ الأرض خطايا ثم لم يبق من عمره إلا نفس واحد فندم على ذنوبه لغفرتها وبدلت سيئاته كلها حسنات وقد روي هذا المتن مرفوعًا.

قول الصحابة كلهم

قال يحيى بن سعيد الأموي في مغازيه بسنده إلى عدي بن عميرة قال خرجت مهـاجرًا إلى النبي ﷺ فذكر قصة طويلة وقال فيها فإذا هو ومن معه يسجدون على وجوههم ويزعمـون أن إلههم في السماء فأسلمت وتبعته.

ذكر أقوال التابعين

قال مسروق رحمه الله قال على بن الأقمر كان مسروق إذا حدث عن عائشة قال حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله ﷺ المبرأة من فوق سبع سموات اهـ.

قول عكرمة: قال سلمة بن شعيب بسنده إلى عكرمة قال بينما رجل مستلق على متنـه في الجنة فقال في نفسه لم يحرك شفتيه لو أن الله يأذن لي لزرعت في الجنة فلم يعلم إلا والملائكة على أبواب جنته قابضين على أكفهم فيقولون سلام عليك فاستوى قاعدًا فقـالوا لـه يقـول لك ربك تمنيت شيئًا في نفسك قد علمه وقد بعث معنا هذا البذر يقول لك ابذر فألقي يمينًـا وشمالاً وبين يديه وخلفه فخرج أمثال الجبال على ما كان تمنى وزاد فقال له الرب من فوق عرشه كل يا ابن آدم فإن ابن آدم لا يشبع.

قول قتادة رحمه الله تعالى

قال الدارمي بسنده إلى قتادة قال قالـت بنـو إسـرائيل يـارب أنـت في السـماء ونحـن في الأرض فكيف لنا أن نعرف رضاك وغضبك قال إذا رضيت استعملت عليكم خياركم وإذا غضبت عليكم استعملت شراركم.

قول سليمان التيمي

قال ابن أبي خيثمة في تاريخه بسنده إلى سليمان التيمـي قـال لـو سـئلت أيـن الله لقلـت في السماء.

قول كعب الأحبار

قال الليث بن سعد بسنده إلى عطاء بن يسار قال أتى رجل كعبًا وهـو في نفـر فقـال: يـا

أبا إسحاق حدثني عن الجبار فأعظم القوم قوله فقال كعب دعوا الرجل فإن كان جاهل تعلم وإن كان عالمًا ازداد علمًا ثم قال كعب أخبرك أن الله خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ثم جعل ما بين كل سماءين كما بين سماء الدنيا والأرض وكثفهن مثل ذلك ثم رفع العرش فاستوى عليه فوقه.

وقال نعيم بن حماد

بسنده عن كعب قال: قال الله في التوراة أنا فوق عبادي وعرشي فوق جميع خلقي وأنا على عرش أدبر أمور عبادي لا يخفى على شيء من أمر عبادي في سمائي ولا أرضي وإلى مرجع خلقي فأنبئهم بما خفي عليهم من علمي أغفر لمن شئت منهم بمغفرتي وأعاقب من شئت بعقابي اهـ.

قول مقاتل

ذكر البيهقي في الأسماء والصفات عن بكر بن معروف عن مقاتل بلغنا والله أعلم في قوله عز وجل: ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾ الأول قبل كل شيء والآخر بعد كل شيء والظاهر فوق كل شيء والباطن أقرب من كل شيء وإنما يعني القرب بعلمه وقدرته وهو فوق عرشه وهو بكل شيء عليم، وبهذا الإسناد عنه في قوله تعالى: ﴿ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ ﴾ يقول بعلمه وذلك قوله: ﴿ وَأَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ فيعلم نجواهم ويسمع كلامهم ثم ينبئهم يوم القيامة بكل شيء وهو فوق عرشه وعلمه معهم اهـ.

قول الضحاك

روي بكر بن معروف عن مقاتل بن حيان عنه ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ قال هو الله على العرش وعلمه معهم.

قول التابعين جملة

روي البيهقي بإسناد صحيح إلى الأوزاعي قال كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى جل ذكره فوق عرشه ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته قال شيخ الإسلام:

وإنما قال الأوزاعي ذلك بعد ظهور جهم المنكر لكون الله عز وجل فوق عرشه والنافي لصفاته ليعرف الناس أن مذهب السلف كان بخلاف قوله وقال أبو عمر بن عبد البر في التمهيد وعلماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم أحد في ذلك يحتج به.

قول الحسن

روي أبو بكر الهذيلي عن الحسن رحمه الله تعالى قال ليس شيء عند ربك من الخلق أقرب إليه من إسرافيل وبينه وبين ربه سبعة حجب كل حجاب مسيرة خمسمائة عام وإسرافيل دون هؤلاء ورأسه تحت العرش ورجلاه في تخوم السابعة اهـ.

قول مالك بن دينار

ذكر أبو العباس السراج بسنده إلى جعفر قال: سمعت مالك بن دينار يقول أن الصديقين إذا قرئ عليهم القرآن طربت قلوبهم إلى الآخرة ثم يقول خذوا فيقرؤون ويقول اسمعوا إلى قوله الصادق من فوق عرشه وكان مالك بن دينار وغيره من السلف يذكرون هذا الأثر: ابن آدم خيري إليك نازل وشرك إلي صاعد أتحبب إليك بالنعم وتتبغض إلي بالمعاصي ولا يزال ملك كريم قد عرج إلي منك بعمل قبيح اهـ.

قول ربيعة بن عبد الرحمن شيخ مالك بن أنس

قال يحيى بن آدم عن أبيه عن ابن عيينة قال سئل ربيعة عن قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله تعالى الرسالة وعلى الرسول ﷺ البلاغ وعلينا التصديق اهـ.

قول عبد الله بن الكواء

ذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخه عن هشام بن سعد قال قدم عبد الله بن الكواء على معاوية فقال له أخبرني عن أهل البصرة قال يقاتلون معًا ويدبرون شتى، قال فأخبرني عن أهل الكوفة قال أنظر الناس في صغيرة وأوقعهم في كبيرة، قال فأخبرني

عن أهل المدينة قال احرص الناس على الفتنة وأعجزهم عنها، قال فأخبرني عن أهل الموصل قال قلادة وليدة فيها من كل شيء خرزة، قال فأخبرني عن أهل مصر قال: لقمة آكل، قال فأخبرني عن أهل الجزيرة قال كناسة بين مدينتين، قال فأخبرني عن أهل الشام قال جند أمير المؤمنين لا أقول فيهم شيئًا قال لتقولن. قال أطوع الناس لمخلوق وأعصاهم لخالق ولا يحسبون للسماء ساكنًا اهـ.

قول تابعي التابعين

ذكر قول عبد الله بن المبارك:

روي الدارمي والحاكم والبيهقي وغيرهم بأصح إسناد إلى على بن الحسن بن شقيق قال سمعت عبد الله بن المبارك يقول نعرف ربنا بأنه فوق سبع سموات على العرش استوى بائن من خلقه ولا نقول كما قالت الجهمية وفي لفظ آخر قلت كيف نعرف ربنا قال في السماء السابعة على عرشه ولا نقول كما قالت الجهمية.

وقال الدارمي: بسنده إلى ابن المبارك قال قيل له كيف نعرف ربنا قال بأنه فوق السماء السابعة على العرش بائن من خلقه.

قول الإمام عثمان بن سعيد الدارمي

قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي ومما يحقق قول ابن المبارك قول رسول الله ﷺ للجارية أين الله ليمتحن بذلك إيمانها فلما قالت في السماء قال أعتقها فإنها مؤمنة والآثار في ذلك عن رسول الله ﷺ كثيرة والحجج متظاهرة والحمد لله على ذلك ثم ساقها الدارمي.

وذكر بن خزيمة: عن ابن المبارك: أنه قال له رجل يا أبا عبد الرحمن قد خفت من كثرة ما أدعوا على الجهمية، قال لا تخف فإنهم يزعمون أن إلهك الذي في السماء ليس بشيء، وصح عن ابن المبارك أنه قال أنا نستطيع أن نحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية اهـ.

قول الأوزاعي: قال أبو عبد الله الحاكم أخبرني محمد بن على الجوهري وذكر سنده إلى **الأوزاعي أنه قال كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله تعالى ذكره فوق العرش ونؤمن بما وردت به السنة وهذا الأثر يدخل في حكاية مذهبه ومذهب التابعين فلذلك ذكرناه في الموضعين اهـ.**

قول حماد بن زيد: قال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة بسنده إلى حماد بن زيد أنه قال: الجهمية إنما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء شيء.

قال شيخ الإسلام: وهو الذي كانت الجهمية يحاولون قد صرح المتأخرون منهم وكان ظهور السنة وكثرة الأئمة في عصر أولئك يحول بينهم وبين التصريح به فلما بعد العهد وخفيت السنة وانقرضت الأئمة صرحت الجهمية النفاة بما كان سلفهم يحاولونه ولا يتمكنون من إظهاره اهـ.

قول سفيان الثوري: قال معدان سألت سفيان الثوري عن قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ قال علمه.

قول وهب بن جرير: قال الأثرم بسنده إلى وهب بن جرير يقول إنما تريد الجهمية أنه ليس في السماء شيء، قال وقلت لسليمان بن حرب أي شيء كان يقول حماد بن زيد في الجهمية فقال كان يقول إنما يريدون أنه ليس في السماء شيء اهـ.

ذكر أقوال الأئمة الأربعة

قول الإمام أبي حنيفة: قال البيهقي بسنده إلى نوح بن أبي مريم أبي عصمة يقول كنا عند أبي حنيفة أول ما ظهر إذ جاءته امرأة من ترمذ كانت تجالس جهمًا فدخلت الكوفة فقيل لها إن ههنا رجلاً قد نظر في المعقول يقال له أبو حنيفة فأتته فقالت أنت الذي تعلم الناس المسائل وقد تركت دينك أين إلهك الذي تعبده فسكت عنها ثم مكث سبعة أيام لا يجيبها ثم خرج إلينا وقد وضع كتابًا أن الله سبحانه وتعالى في السماء دون الأرض فقال له رجل أرأيت قول الله تعالى ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ قال هو كما تكتب للرجل أني معك وأنت عنه غائب قال البيهقي لقد أصاب أبو حنيفة فيما نفي عن الله تعالى وتقدس من الكون في الأرض وفيما ذكر من تأويل الآية وتبع مطلق السمع في قوله أن الله عز وجل في السماء. قال شيخ الإسلام وفي كتاب الفقه الأكبر المشهور عند أصحاب أبي حنيفة الذي رواه بإسناد عن أبي مطيع البلخي الحكم بن عبد الله قال سألت أبا حنيفة عن الفقه الأكبر قال: لا تكفر أحدًا بذنب ولا تنف أحدًا من الإيمان وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ولا تتبرأ من أحد من أصحاب

رسول الله ﷺ ولا توال أحدًا دون أحد وأن ترد أمر عثمان وعلى إلى الله تعالى. قال أبو حنيفة: «الفقه الأكبر في الدين خير من الفقه في العلم ولأن يتفقه الرجل كيف يعبد ربه عز وجل خير من أن يجمع العلم الكثير». قال أبو مطيع قلت فأخبرني عن فضل الفقه قال يتعلم الرجل الإيمان والشرائع والسنن والحدود واختلاف الأئمة.

وذكر مسائل في الإيمان ثم ذكر مسائل في القدر ثم قال فقلت فما تقول فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيتبعه على ذلك ناس فيخرج عن الجماعة هل ترى ذلك ؟ قال لا قلت ولم وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو فريضة واجبة ؟

فقال كذلك لكن ما يفسدون أكثر مما يصلحون من سفك الدماء واستحلال الحرام وذكر الكلام في قتال الخوارج والبغاة إلى أن قال:

قال أبو حنيفة: ومن قال لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فقد كفر لأن الله تعالى يقول: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ وعرشه فوق سبع سموات قلت فإن قال إنه على العرش ولكنه يقول لا أدري العرش في السماء أم في الأرض قال هو كافر لأنه أنكر أن يكون في السماء لأنه تعالى في أعلى عليين وأنه يدعي من أعلى لا من أسفل وفي لفظ سألت أبا حنيفة عمن يقول لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض قال فقد كفر لأن الله يقول: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ وعرشه فوق سبع سموات قال فإنه يقول على العرش استوى ولكنه لا يدري العرش في الأرض أو في السماء قال إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر ورووي هذا عن شيخ الإسلام أبي إسماعيل الأنصاري في كتابه الفاروق بإسناده قال شيخ الإسلام أبو العباس أحمد رحمه الله تعالى ففي هذا الكلام المشهور عن أبي حنيفة رحمه الله عند أصحابه أنه كفر الواقف الذي يقول لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فكيف يكون الجاحد النافي الذي يقول ليس في السماء ولا في الأرض واحتج على كفره بقوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ وقال وعرشه فوق سبع سموات وبين بهذا أن قوله: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ بين في أن الله عز وجل فوق السموات فوق العرش وأن الاستواء على العرش ثم أردف ذلك بكفر من توقف في كون العرش في السماء

أو في الأرض قال لأنه أنكر أن يكون في السماء وأن الله في أعلى عليين وأن الله يدعى من أعلى لا من أسفل واحتج بأن الله في أعلى عليين وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل وكل من هاتين الحجتين نظرية عقلية فإن القلوب مفطورة على الإقرار بأن الله عز وجل في العلو وعلى أنه يدعى من أعلى لا من أسفل وكذلك أصحابه من بعده كأبي يوسف، وهشام بن عبيد الله الرازي كما روي ابن أبي حاتم وشيخ الإسلام بأسانيدهما أن هشام بن عبيد الله الرازي صاحب محمد بن الحسن قاضي الري حبس رجلاً في التجهم فتاب فجيء به إلى هشام ليمتحنه فقال الحمد لله على التوبة فامتحنه هشام فقال أشهد أن الله على عرشه بائن من خلقه فقال أشهد أن الله على عرشه ولا أدري ما بائن من خلقه فقال ردوه إلى الحبس فإنه لم يتب وسيأتي قول الطحاوي عند أقوال أهل الحديث.

قول إمام دار الهجرة مالك بن أنس

ذكر أبو عمر ابن عبد البر في كتاب التمهيد بسنده إلى مالك بن أنس أنه قال: الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو منه مكان قال وقيل لمالك: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ كيف استوى فقال مالك رحمه الله تعالى الاستواء معقول وكيفيته مجهولة وسؤالك عن هذا بدعة وأراك رجل سوء.

وكذلك أئمة أصحاب مالك من بعده قال يحيى بن إبراهيم الطليطلي في كتاب سير الفقهاء وهو كتاب جليل غزير العلم بسنده إلى إبراهيم قال كانوا يكرهون قول الرجل: يا خيبة الدهر وكانوا يقولون الله هو الدهر وكانوا يكرهون قول الرجل رغم أنفي لله وإنما يرغم أنف الكافر وكانوا يكرهون قول لا والذي خاتمه على فمي وإنما يختم على فم الكافر وكانوا يكرهون قول الرجل والله حيث كان أو أن الله بكل مكان قال أصبغ وهو مستو على عرشه وبكل مكان علمه وإحاطته وأصبغ من أجل أصحاب مالك وأفقههم اهـ.

ذكر قول أبي عمرو الطلمنكي

قال في كتابه في الأصول أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله على عرشه بذاته وقال في هذا الكتاب أيضًا أجمع أهل السنة على أنه تعالى استوى على عرشه على الحقيقة

لا على المجاز ثم ساق بسنده عن مالك قوله الله في السماء وعلمه في كل مكان ثم قال في هذا الكتاب وأجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ ونحو ذلك من القرآن بأن ذلك علمه وأن الله فوق السموات بذاته مستو على عرشه كيف شاء وهذه القصة في كتابه اهـ.

قول الإمام الحافظ أبي عمر بن عبد البر إمام السنة في زمانه

قال في كتاب التمهيد في شرح الحديث الثامن لابن شهاب عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال ينزل ربنا في كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له هذا الحديث ثابت من جهة النقل صحيح الإسناد لا يختلف أهل الحديث في صحته وفيه دليل على أن الله عز وجل في السماء على عرشه من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة وهو حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم أن الله في كل مكان وليس على العرش والدليل على صحة ما قال أهل الحق في ذلك قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ إِذًا لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً ﴾ وقوله تبارك اسمه: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾. وقوله تعالى: ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ وهذا من العلو وكذلك قوله: ﴿ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ و ﴿ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾ و ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ ﴾ و ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ والجهمي يقول أنه أسفل وقوله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ وقوله: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ والعروج هو الصعود وقوله تعالى: ﴿ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ، مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ، تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ والعروج هو الصعود وأما قوله: ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء ﴾ فمعناه من على السماء

يعني على العرش وقد يكون في بمعنى على ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ ﴾ أي على الأرض وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ وما كان مثله مما تلونا من الآيات في هذا الباب وهذه الآيات كلها واضحات في بطلان أقوال المعتزلة. وأما ادعاؤهم المجاز في الاستواء وقولهم في تأويل استوى فلا معنى له لأنه غير ظاهر في اللغة ومعنى الاستيلاء في اللغة المغالبة والله تعالى لا يغالبه أحد وهو الواحد الصمد ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا تعالى الأعلى ذلك وإنما يوجه كلام الله عز وجل على الأشهر والأظهر من وجوهه ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبادات وجل الله أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب من معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين والاستواء معلوم في اللغة مفهوم وهو العلو والارتفاع على الشيء والاستقرار والتمكن فيه: قال أبو عبيدة في قوله: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ قال علا قال وتقول العرب استويت فوق الدابة واستويت فوق البيت، وقال غيره استوى أي استقر واحتج بقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ﴾ واستوى انتهى شبابه واستقر فلم يكن في شبابه مزيد. قال ابن عبد البر: الاستواء الاستقرار في العلو وبهذا خاطبنا الله تعالى في كتابه فقال: ﴿ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ﴾ وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ ﴾ وقال الشاعر:

فأوردتهم ماء بفيفاء قفرة ... وقد حلق النجم اليماني فاستوى

وهذا لا يجوز أن يتأول فيه أحد استولى لأن النجم لا يستولى وقد ذكر النضر بن شميل وكان ثقة مأمونًا جليلاً في علم الديانة واللغة قال حدثني الخليل وحسبك بالخليل، قال أتيت أبا ربيعة الأعرابي وكان من أعلم ما رأيت فإذا هو على سطح فسلمنا فرد علينا السلام وقال استووا فبقينا متحيرين ولم ندر ما قال، فقال لنا أعرابي إلى جانبه إنه أمركم أن ترتفعوا فقال الخليل هو من قول الله: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ فصعدنا إليه قال وأما من نازع منهم بحديث يرويه عبد الله بن داوود الواسطي بسنده إلى ابن عباس في قوله تعالى:

﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ قال استولى على جميع بريته فلا يخلو منه مكان: فالجواب أن هذا الحديث منكر ونقلته مجهولون وضعفاء فأما عبد الله بن داوود الواسطي وعبد الوهاب بن مجاهد فضعيفان وإبراهيم بن عبد الصمد مجهول لا يعرف وهم لا يقبلون أخبار الآحاد العدول فكيف يسوغ لهم الاحتجاج بمثل هذا الحديث لو عقلوا وأنصفوا أما سمعوا الله سبحانه حيث يقول: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا ﴾ فدل على أن موسى عليه الصلاة والسلام كان يقول إلهي في السماء وفرعون يظنه كاذبًا.

وقال الشاعر:

فسبحان من لا يقدر الخلق قدره ومن هو فوق العرش فرد موحد

مليك على عرش السماء مهيمن لعزته تعنوا الوجوه وتسجد

وهذا الشعر لأمية بن أبي الصلت وفيه يقول في وصف الملائكة:

وساجدهم لا يرفع الدهر رأسه يعظم ربا فوقه ويمجد

قال فإن احتجوا بقوله تعالى: ﴿ وهُوَ الَّذي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ ﴾ وبقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ ﴾ وبقوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ وزعموا أن الله سبحانه في كل مكان بنفسه وذاته تبارك وتعالى جده قيل لا خلاف بيننا وبينكم وبين سائر الأمة أنه ليس في الأرض دون السماء بذاته فوجب حمل هذه الآيات على المعنى الصحيح المجمع عليه وذلك أنه في السماء إله معبود من أهل السماء وفي الأرض إله معبود من أهل الأرض وكذا قال أهل العلم بالتفسير وظاهر هذا التنزيل يشهد أنه على العرش فالاختلاف في ذلك ساقط وأسعد الناس به من ساعده الظاهر وأما قوله في الآية الأخرى وفي الأرض إله فالإجماع والاتفاق قد بين أن المراد أنه معبود من أهل الأرض فتدبر هذا فإنه قاطع. ومن الحجة أيضًا في أنه عز وجل على العرش فوق السموات السبع أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم إذا كربهم أو نزلت بهم شدة رفعوا وجوههم إلى السماء ونصبوا أيديهم رافعين مشيرين بها إلى السماء ويستغيثون الله ربهم تبارك وتعالى وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيه

إلى أكثر من حكايته اضطراري وقد قال النبي ﷺ للأمة التي أراد مولاها عتقها إن كانت مؤمنة فاختبرها رسول الله ﷺ بأن قال لها أين الله فأشارت إلى السماء ثم قال لها من أنا قالت أنت رسول الله قال أعتقها فإنها مؤمنة فاكتفى رسول الله ﷺ منها برفع رأسها إلى السماء واستغنى بذلك عما سواه.

قال: وأما احتجاجهم بقوله تعالى: ﴿ **مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ** ﴾ فلا حجة لهم في ظاهر هذه الآية لأن علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل في القرآن قالوا في تأويل هذه الآية هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله وذكر سنيد عن مقاتل بن حيان عن الضحاك بن مزاحم في قوله تعالى: ﴿ **مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ** ﴾ قال هو على عرشه وعلمه معهم أينما كانوا قال وبلغني عن سفيان الثوري مثله.

قال سنيد بسنده عن ابن مسعود قال: الله فوق العرش وعلمه في كل مكان لا يخفى عليه شيء من أعمالكم ثم ساق من طريق يزيد بن هارون بسنده إلى ابن مسعود قال: ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء إلى الأخرى خمسمائة عام وما بين السماء السابعة إلى الكرسي مسيرة خمسمائة عام وما بين الكرسي إلى الماء مسيرة خمسمائة عام والعرش على الماء والله فوق العرش ويعلم أعمالكم وذكر هذا الكلام أو قريبًا منه في كتاب الاستذكار اهـ.

قول الإمام مالك الصغير

أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني قال: في خطبته برسالته المشهورة. باب ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة من واجب أمور الديانات ومن ذلك الإيمان بالقلب والنطق باللسان أن الله إله واحد لا إله غيره ولا شبيه له ولا نظير له ولا ولد له ولا صاحبة له ولا شريك له ليس لأوليته ابتداء ولا لآخريته انقضاء ولا يبلغ كنه صفته الواصفون ولا يحيط بأمره المتفكرون يعتبر المتفكرون بآياته ولا يتفكرون في ماهية ذاته ﴿ **وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** ﴾ وهو العليم الخبير المدبر القدير السميع البصير العلي الكبير وأنه فوق عرشه المجيد

بذاته وهو بكل مكان بعلمه وكذلك ذكر مثل هذا في نوادره وغيرها من كتبه وذكر في كتابه المفرد في السنة تقرير العلو واستواء الرب تعالى على عرشه بذاته أتم تقرير فقال:

فصل

فيما اجتمعت عليه الأمة من أمور الديانة من السنن التي خلافها بدعة وضلالة أن الله سبحانه وتعالى اسمه له الأسماء الحسنى والصفات العلى لم يزل موصوفًا بجميع صفاته وهو سبحانه موصوف بأن له علمًا وقدرة وإرادة ومشيئة أحاط علمًا بجميع ما بدا قبل كونه وفطر الأشياء بإرادته وقوله: ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ وأن كلامه صفة من صفاته ليس بمخلوق فيبيد ولا صفة لمخلوق فينفد وأن الله عز وجل كلم موسى عليه الصلاة والسلام بذاته وأسمعه كلامه لا كلامًا قام في غيره وأنه يسمع ويرى ويقبض ويبسط وأن يديه مبسوطتان ﴿ **وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ** ﴾ وأن يديه غير نعمته في ذلك وفي قوله سبحانه: ﴿ **مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾ وأنه يجيء يوم القيامة بعد أن لم يكن جائيًا والملك صفًا صفًا لعرض الأمم وحسابها وعقابها وثوابها فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وأنه يرضي ويحب التوابين ويسخط على من كفر به ويغضب فلا يقوم شيء لغضبه وأنه فوق سمواته على عرشه دون أرضه وأنه في كل مكان بعلمه وأن لله سبحانه كرسيًا كما قال عز وجل: ﴿ **وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ** ﴾ وكما جاءت به الأحاديث أن الله سبحانه يضع كرسيه يوم القيامة لفصل القضاء وقال مجاهد كانوا يقولون ما السموات والأرض في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض وأن الله سبحانه يراه أولياؤه في المعاد بأبصارهم ولا يضامون في رؤيته كما قال عز وجل في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ وقال رسول الله ﷺ في قول الله عز وجل: ﴿ **لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ** ﴾ هو النظر إلى وجهه الكريم وأنه يكلم عباده يوم القيامة ليس بينه وبينهم واسطة ولا ترجمان وأن الجنة والنار داران قد خلقتا أعدت الجنة للمؤمنين والنار للكافرين، الجاحدين ولا يفنيان والإيمان بالقدر خيره وشره وكل ذلك قد قدره ربنا سبحانه وتعالى وأحصاه علمه وأن مقادير الأمور بيده

ومصدرها عن قضائه تفضل على من أطاعه فوفقه وحبب الإيمان إليه وزينه في قلبه فيسره له وشرح له صدره ونور له قلبه ومن يهد الله فما له من مضل وخذل من عصاه وكفر به فأسلمه وأضله: ﴿ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ وكل ينتهي إلى سابق علمه لا تخصيص[1] لأحد عنه وأن الإيمان قول باللسان وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية نقصًا عن حقائق الكمال ولا قول إلا بعمل ولا عمل ولا قول إلا بنية ولا نية إلا بموافقة السنة وأنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب وإن كان كبيرًا ولا يحبط الإيمان غير الشرك بالله تعالى كما قال سبحانه: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء ﴾ وأن على العباد حفظة يكتبون أعمالهم كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ، كِرَامًا كَاتِبِينَ، يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ وأن ملك الموت يقبض الأرواح كلها بإذن الله تعالى متى شاء كما قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ وأن الخلق ميتون بآجالهم فأرواح أهل السعادة باقية منعمة إلى يوم القيامة وأرواح أهل الشقاء في سجين معذبة إلى يوم القيامة وأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون وأن عذاب القبر حق وإن المؤمنين يفتنون في قبورهم ويضغطون ويسألون ويثبت الله منطق من أحب تثبيته وأنه ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض والألسنة والأيدي والأرجل التي تشهد عليهم يوم القيامة على من تشهد عليه منهم وينصب الموازين لوزن أعمال العباد فأفلح من ثقلت موازينه وخاب وخسر من خفت موازينه ويؤتون صحائفهم فمن أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا ومن أوتي كتابه بشماله فأولئك يصلون سعيرًا وأن الصراط جسر مورود يجوزه العباد بقدر أعمالهم فناجون متفاوتون في سرعة النجاة عليه من نار جهنم وقوم أوبقتهم أعمالهم فيها يتساقطون وأنه يخرج من النار من في قلبه شيء من الإيمان وأن الشفاعة لأهل الكبائر من المؤمنين ويخرج من النار بشفاعة رسول الله ﷺ قوم من أمته بعد أن صاروا فيها حممًا يطرحون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل.

---

(١) كذا في الأصل ولعل الصواب لا محيص.

والإيمان بحوض رسول الله ﷺ ترده أمته لا يظمأ من شرب منه ويذاد عنه من غير وبدل والإيمان بما جاء من خبر الإسراء بالنبي ﷺ إلى السموات على ما صحت به الروايات وأنه ﷺ رأى من آيات ربه الكبرى وبما ثبت من خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام حكمًا عدلاً يقتل الدجال وبالآيات التي بين يدي الساعة من طلوع الشمس من المغرب وخروج الدابة وغير ذلك مما صحت به الروايات ونصدق بما جاءنا عن الله تعالى في كتابه وثبت عن رسول الله ﷺ وأخباره ونوجب العمل بحكمه ونؤمن ونقر بمشكله ومتشابهه ونكل ما غاب من حقيقة تفسيره إلى الله تعالى والله يعلم تأويل المتشابه من كتابه والراسخون في العلم يقولون آمنا به وكل ما غاب عنا من حقيقة تفسيره كل من عند ربنا. وقال بعض الناس الراسخون في العلم يعلمون مشكله ولكن الأول قول أهل المدينة وعليه يدل الكتاب وأن أفضل القرون قرن الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كما قال النبي ﷺ وأن أفضل الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم علي وقيل ثم عثمان وعلي ويكف عن التفضيل بينهما روي ذلك عن مالك وقال ما أدركت أحدًا أقتدي به يفضل أحدهما على صاحبه فرأى الكف عنهما وروي عنه القول الأول وهو قول أهل الحديث ثم بقية العشرة ثم أهل بدر من المهاجرين ومن الأنصار ومن جميع الصحابة على قدر الهجرة والسابقة والفضيلة وكل من صحبه ولو ساعة أو رآه ولو مرة، فهو بذلك أفضل من التابعين والكف عن ذكر أصحاب رسول الله ﷺ إلا بخير ما يذكرون به وأنهم أحق أن ننشر محاسنهم ونلتمس لهم أفضل مخارجهم ونظن بهم أحسن المذاهب قال النبي ﷺ لا تؤذوني في أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه قال ﷺ إذا ذكر أصحابي فأمسكوا قال أهل العلم لا يذكرون إلا بأحسن ذكر والسمع والطاعة لأئمة المسلمين وكل من ولي أمر المسلمين عن رضي أو غلبة واشتدت وطأته من بر أو فاجر فلا يخرج عليه جار أو عدل ونغزوا معه العدو ونحج معه البيت ودفع الصدقات إليهم مجزية إذا طلبوها ونصلي خلفهم الجمعة والعيدين قال غير واحد من العلماء وقال مالك لا نصلي خلف المبتدع منهم إلا أن نخافه فنصلي واختلف في الإعادة.

ولا بأس بقتال من دافعك من الخوارج واللصوص من المسلمين وأهل الذمة عن نفسك ومالك والتسليم لنصوص الكتاب والسنة لا تعارض برأي ولا تدافع بقياس وما تأوله منها السلف الصالح تأولناه وما عملوا به عملناه وما تركوا تركناه ويسعنا أن نمسك عما أمسكوا ونتبعهم فيما بينوا ونقتدي بهم فيما استنبطوه ورأوه في الحوادث ولا نخرج من جماعتهم فيما اختلفوا فيه وفي تأويله وكلما ذكر فهو قول أهل السنة وأئمة الناس في الفقه والحديث على ما بيناه وكله قول مالك فمنه منصوص من قوله ومنه معلوم من مذهبه. قال مالك قال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننًا الأخذ بها تصديق لكتاب الله تعالى واستكمال لطاعته وقوة على دين الله تعالى ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها ولا النظر فيما خالفها من اهتدى بها هدى ومن استنصر بها نصر ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا قال مالك: أعجبني عزم عمر ﵁ في ذلك وقال في مختصر المدونة وأنه تعالى فوق عرشه بذاته فوق سبع سمواته دون أرضه رحمه الله ما كان أصلبه في السنة وأقومه بها.

قول الإمام أبي بكر محمد بن وهب

المالكي شارح رسالة بن أبي زيد من المشهورين بالفقه والسنة قال في شرحه للرسالة ومعنى فوق وعلا واحد بين جميع العرب في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وتصديق ذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ ﴾ وقال تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ وقال تعالى في وصف خوف الملائكة ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ ونحو ذلك كثير. وقال رسول الله ﷺ للأعجمية أين الله فأشارت إلى السماء ووصف النبي ﷺ أنه عرج به من الأرض إلى السماء ثم من سماء إلى سماء إلى سدرة المنتهى ثم إلى ما فوقها حتى لقد قال سمعت صريف الأقلام. ولما فرضت الصلاة جعل كلما هبط من مكانه تلقاه موسى عليه السلام في بعض السموات وأمره بسؤال التخفيف عن أمته فرجع صاعدًا مرتفعًا إلى الله سبحانه وتعالى يسأله حتى انتهت إلى خمس صلوات وسنذكر تمام كلامه قريبًا إن شاء الله تعالى اهـ.

قول الإمام أبي القاسم عبد الله بن خلف المقرئ الأندلسي

قال في الجزء الأول من كتاب الاهتداء لأهل الحق والاقتداء من تصنيفه من شرح الملخص للشيخ أبي الحسن القابسي بسنده إلى أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له.

في الحديث دليل على أنه تعالى في السماء على العرش فوق سبع سموات كما قال أهل العلم ودليل قولهم أيضًا من القرآن قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ إِذًا لاَّبْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً ﴾ وقوله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ وقوله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ، مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ، تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ والعروج هو الصعود وقال مالك بن أنس: الله عز وجل في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو من علمه مكان يريد والله أعلم بقوله في السماء على السماء كما قال تعالى: ﴿ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ وكما قال تعالى: ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ ﴾ أي من على السماء يعني على العرش وكما قال تعالى: ﴿ فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ ﴾ أي على الأرض وقيل لمالك الرحمن على العرش استوى كيف استوى قال مالك لقائله استواؤه معقول وكيفيته مجهولة وسؤالك عن هذا بدعة وأراك رجل سوء. قال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ أي علا قال وتقول العرب استويت فوق الدابة وفوق البيت وكلما قدمت دليل واضح في إبطال قول من قال بالمجاز في الاستواء وإن استوى بمعنى استولى لأن الاستيلاء في اللغة المغالبة وأنه لا يغالبه أحد ومن حق الكلام أنه يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا سبحانه وتعالى الأعلى ذلك وإنما يوجه كلام الله تعالى على الأشهر والأظهر من وجوهه ما لم يمنع ذلك ما يوجب له التسليم ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبادات وجل

الله تعالى أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب من معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين والاستواء معلوم في اللغة وهو العلو والارتفاع والتمكن.

ومن الحجة أيضًا في أن الله سبحانه وتعالى على العرش فوق السموات السبع أن الموجودين أجمعين إذا كربهم أمر رفعوا وجوههم إلى السماء يستغيثون الله ربهم. وقوله ﷺ للأمة التي أراد مولاها أن يعتقها أين الله ؟ فأشارت إلى السماء ثم قال لها من أنا ؟ قالت: أنت رسول الله. قال أعتقها فإنها مؤمنة فاكتفى رسول الله ﷺ منها برفع رأسها إلى السماء ودل على ما قدمناه أنه على العرش والعرش فوق السموات السبع ودليل قولنا أيضًا. قول أمية بن أبي الصلت في وصف الملائكة ما نصه:

وساجدهم لا يرفع الدهر رأسه بعظم ربا فوقه ويمجد
فسبحان من لا يقدر الخلق قدره ومن هو فوق العرش فرد موحد
مليك على عرش السماء مهيمن لعزته تعنوا الوجوه وتسجد

وقوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ، أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى** ﴾ فدل على أن موسى عليه الصلاة والسلام كان يقول: إلهي في السماء وفرعون يظنه كاذبًا فإن احتج أحد علينا فيما قدمناه وقال لو كان كذلك لأشبه المخلوقات لأنه ما أحاطت به الأمكنة واحتوته فهو مخلوق فشيء لا يلزم ولا معنى له لأنه تعالى ليس كمثله شيء من خلقه ولا يقاس بشيء من بريته ولا يدرك بقياس ولا يقاس بالناس كان قبل الأمكنة وكذلك يكون بعدها لا إله إلا هو خالق كل شيء لا شريك له.

وقد اتفق المسلمون وكل ذي لب أنه لا يعقل كائن إلا في مكان وما ليس في مكان فهو عدم وقد صح في العقول وثبت بالدلائل أنه كان في الأزل لا في مكان وليس بعدم فكيف يقاس على شيء من خلقه أو يجري بينهم وبينه تمثيل أو تشبيه تعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

قول الإمام أبي عبد الله محمد بن أنيس المالكي المشهور بابن أبي زمنين

قال في كتابه الذي صنفه في أصول السنة. باب الإيمان بالعرش ومن قول أهل السنة أن الله عز وجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق ثم استوى عليه

كيف شاء كما أخبر عن نفسه في قوله عز وجل: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ وذكر حديث أبي رزين العقيلي وقد تقدم. ثم ذكر الآثار في ذلك إلى أن قال باب الإيمان بالحجب قال ومن أقوال أهل السنة أن الله تعالى بائن من خلقه محتجب عنهم بالحجب تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون إلا كذبًا إلى أن قال: باب الإيمان بالنزول قال ومن قول أهل السنة أن الله ينزل إلى سماء الدنيا وذكر حديث النزول ثم قال، وهذا الحديث يبين أن الله تعالى على عرشه في السماء دون الأرض وهو أيضًا بين في كتاب الله تعالى وتقدس وفي غير ما حديث عن رسول الله ﷺ قال الله عز وجل: ﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ وساق الآيات في العلو وذكر من طريق مالك قول النبي ﷺ أين الله ثم قال والحديث في مثل هذا كثير اهـ.

قول القاضي عبد الوهاب

إمام المالكية بالعراق من كبار أهل السنة صرح بأن الله سبحانه وتعالى استوى على عرشه بذاته نقله شيخ الإسلام عنه في غير موضع من كتبه ونقله عنه القرطبي في شرح الأسماء والصفات اهـ.

ذكر قول الإمام محمد بن إدريس الشافعي

قال الإمام ابن الإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي بسنده إلى أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي قال القول في السنة التي أنا عليها ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم وأخذت عنهم مثل سفيان ومالك وغيرهما: الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وأن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء وأن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كيف شاء قال عبد الرحمن « ثنا » يونس بن عبد الأعلى قال سمعت أبا عبد الله محمد بن إدريس الشافعي يقول وقد سئل عن صفات الله وما يؤمن به فقال لله تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر بها نبيه أمته لا يسع أحدًا من خلق الله

قامت عليه الحجة ردها لأن القرآن نزل بها وصح عن رسول الله القول بها فيما روي عنه العدول فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر أما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالرؤية والفكر ولا يكفر بالجهل بها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها. ونثبت هذه الصفات وننفي عنه التشبيه كما نفي التشبيه عن نفسه فقال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ وصح عن الشافعي أنه قال خلافة أبي بكر الصديق حق قضاها الله في سمائه وجمع عليها قلوب عباده ومعلوم أن المقضي في الأرض والقضاء فعله سبحانه وتعالى المتضمن لمشيئته وقدرته.

وقال في خطبة رسالته الحمد لله الذي هو كما وصف نفسه وفوق ما يصفه به خلقه فجعل صفاته سبحانه إنما تتلقى بالسمع.

وقال يونس بن عبد الأعلى قال محمد بن إدريس الشافعي، الأصل قرآن وسنة فإن لم يكن فقياس عليهما وإذا اتصل الحديث عن رسول الله ﷺ وصح الإسناد منه فهو سنة والإجماع أكبر من الخبر الفرد والحديث على ظاهره. وإذا احتمل المعاني فما أشبه منها ظاهره فهو أولاها به قال الخطيب في الكفاية بسنده إلى يونس بن عبد الأعلى فذكره. قول صاحبه إمام الشافعية في وقته أبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني في رسالته في السنة التي رواها أبو طاهر السلفي عنه بإسناده ونحن نسوقها كلها بلفظها.

بسم الله الرحمن الرحيم عصمنا الله وإياكم بالتقوى ووفقنا وإياكم لموافقة الهدى أما بعد:

فإنك سألتني أن أوضح لك من السنة أمرًا تقصر نفسك على التمسك به وتدرأ به عنك شبه الأقاويل وزيغ محدثات الضالين فقد شرحت لك منها منهاجًا موضحًا لم آل نفسي وإياك فيه نصحًا بدأت فيه بحمد الله ذي الرشد والتسديد الحمد لله أحق ما بدئ به وأولى من شكر وعليه أثنى وهو الواحد الصمد ليس له صاحبة ولا ولد جل عن المثل ولا شبيه له ولا عديل السميع البصير العليم الخبير المنيع الرفيع عال على عرشه وهو دان بعلمه من خلقه أحاط علمه بالأمور ونفذ في خلقه سابق المقدور ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور فالخلق عاملون بسابق علمه ونافذون لما خلقهم له من خير وشر لا يملكون لأنفسهم نفعًا من الطاعات ولا يجدون إلى صرف المعصية عنها دفعًا خلق الخلق بمشيئته

من غير حاجة كانت به فخلق الملائكة جميعًا لطاعته وجبلهم على عبادته فمنهم ملائكة بقدرته للعرش حاملون وطائفة منهم حول عرشه يسبحون وآخرون بحمده يقدسون واصطفى منهم رسلاً، إلى رسله وبعض مدبرون لأمره ثم خلق آدم بيده وأسكنه جنته وقبل ذلك للأرض خلقه ونهاه عن شجرة قد نفذ قضاؤه عليه بالأكل منها ثم ابتلاه بما نهاه عنه منها ثم سلط عليه عدوه فأغواه عليها وجعل أكله إلى الأرض سببًا فما وجد إلى ترك الأكل منها سبيلاً ولا عنه لها مذهبًا ثم خلق للجنة من ذريته أهلاً فهم بأعمالها بمشيئته عاملون وبقدرته وبإرادته ينفذون وخلق من ذريته للنار أهلاً فخلق لهم أعينًا لا يبصرون بها وآذانًا لا يسمعون بها وقلوبًا لا يفقهون بها فهم بذلك عن الهدى محجوبون وهم بأعمال أهل النار لسابق قدره يعملون والإيمان قول وعمل وهما شيئان ونظامان وقرينان لا يفرق بينهما. لا إيمان إلا بعمل ولا عمل إلا بإيمان والمؤمنون في إيمان متفاضلون وبصالح الأعمال هم متزايدون ولا يخرجون من الإيمان بالذنوب ولا يكفرون بركوب كبيرة ولا عصيان ولا يوجب لمحسنهم غير ما أوجب له النبي ﷺ ولا يشهد على مسيئهم بالنار. والقرآن كلام الله عز وجل ومن الله وليس بمخلوق فيبيد وقدرة الله ونعمته وصفاته كلها غير مخلوقات دائمات أزلية ليست بمحدثات فتبيد ولا كان ربنا ناقصًا فيزيد جلت صفاته عن شبه المخلوقين وقصرت عنه أنظار الواصفين قريب بالإجابة عند السؤال بعيد بالبعد لا ينال عال على عرشه بائن من خلقه موجود ليس بمعدوم ولا مفقود، والخلق ميتون بآجالهم عند نفاد أرزاقهم وانقطاع آثارهم ثم هم بعد الضغط في القبور مسؤولون وبعد البلى منشورون ويوم القيامة إلى ربهم محشورون وعند العرض عليه محاسبون بحضرة الموازين ونشر صحف الدواوين أحصاه الله ونسوه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فالله يلي الحكم بينهم بعدله بمقدار القائلة [1]في الدنيا وهو أسرع الحاسبين كما بدا لهم شقاوة وسعادة يومئذ يعودون فريق في الجنة، وفريق في السعير، وأهل الجنة يومئذ يتنعمون وبصنوف اللذات يتلذذون وبأفضل الكرامة يحبرون فهم حينئذ إلى ربهم ينظرون لا يمارون في النظر إليه ولا يشكون فوجوههم بكرامته ناضرة وأعينهم بفضله إليه ناظرة في نعيم مقيم لا يمسهم

---

(١) أي من الصباح إلى نصف النهار.

فيها نصب وما هم منها بمخرجين. أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار. وأهل الجحد عن ربهم يومئذ لمحجوبون وفي النار لمسجرون لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها إلا من شاء الله إخراجه من الموحدين منها والطاعة لأولي الأمر فيما كان عند الله عز وجل مرضيًا واجتناب ما كان مسخطًا وترك الخروج عند تعديهم وجورهم والتوبة إلى الله عز وجل كيما يعطف بهم على رعيتهم والإمساك عن تكفير أهل القبلة والبراءة منهم فيما أحدثوا ما لم يبتدعوا ضلالة فمن ابتدع منهم ضلالة كان على أهل القبلة خارجًا ومن الدين مارقًا ويتقرب إلى الله بالبراءة منه ويهجر ويتجنب يقال بفضل خليفة رسول الله ﷺ ثم عمر فهما وزيرا رسول الله ﷺ وضجيعاه ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين ثم الباقين من العشرة الذين أوجب لهم رسول الله ﷺ الجنة ويخلص لكل واحد منهم من المحبة بقدر الذي أوجبه له رسول الله ﷺ من يوم التفضيل لسائر أصحابه من بعده.

ويقال بفضلهم ويذكرون بمحاسن أفعالهم ويمسك عن الخوض فيما شجر بينهم وهم خيار أهل الأرض بعد نبيهم اختارهم الله عز وجل وجعلهم أنصارًا لدينه فهم أئمة الدين وأعلام المسلمين ولا تترك حضور صلاة الجمعة وصلاة مع بر هذه الأمة وفاجرها ما كان من البدعة بريًا والجهاد مع كل إمام عدل أو جائر والحج وإقصار الصلاة في الأسفار والتخيير فيه بين الصيام والإفطار هذه مقالات اجتمع عليها الماضون الأولون من أئمة الهدى وبتوفيق الله اعتصم بها التابعون قدوة ورضا وجانبوا التكلف فيما كفوا فسددوا بعون الله ووفقوا لم يرغبوا عن الاتباع فيقصروا ولم يجاوزوا فيعتدوا فنحن بالله واثقون وعليه متوكلون وإليه في اتباع آثارهم راغبون اهـ المقصود منه بلفظه.

قول إمام الشافعية في وقته: أبي العباس بن سريج

قال رحمه الله تعالى: حرام على العقول أن تمثل الله سبحانه وتعالى وعلى الأوهام أن تحده وعلى الظنون أن تقع عليه وعلى الضمائر أن تتعمق وعلى النفوس أن تفكر وعلى الأفكار أن تحيط وعلى الألباب أن تصف إلا ما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ

وقد صح وتقرر واتضح عند جميع أهل الديانات والسنة والجماعة من السلف الماضين والصحابة والتابعين من الأئمة المهديين الراشدين المشهورين إلى زماننا هذا أن جميع الآي الواردة عن الله تعالى في ذاته وصفاته والأخبار الصادقة الصادرة عن رسول الله ﷺ في الله وفي صفاته التي صححها أهل النقل وقبلها النقاد الأثبات يجب على المرء المسلم المؤمن الموفق الإيمان بكل واحد منها كما ورد، وتسليم أمره إلى الله سبحانه وتعالى كما أمر، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ** ﴾ ونظائرها مما نطق به القرآن كالفوقية والنفس واليدين والسمع والبصر والكلام والعين والنظر والإرادة والغضب والمحبة والكراهة والعناية والقرب والبعد والسخط والاستحياء والدنو كقاب قوسين أو أدنى وصعود الكلام الطيب إليه وعروج الملائكة والروح إليه ونزول القرآن منه ونداته الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقوله للملائكة وقبضه وبسطه وعلمه ووحدانيته وقدرته ومشيئته وصمدانيته وفردانيته وأوليته وآخريته وظاهريته وباطنيته وحياته وبقائه وأزليته وأبديته ونوره وتجليه والوجه وخلق آدم عليه السلام بيده ونحو قوله تعالى: ﴿ **ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ** ﴾ وسماعه من غيره وغيره منه وغير ذلك من صفاته المتعلقة به المذكورة في الكتاب المنزل على نبيه ﷺ وجميع ما لفظ به المصطفى ﷺ من صفاته كغرسه جنته الفردوس بيده وشجرة طوبى بيده وخط التوراة بيده والضحك والتعجب ووضعه القوم على النار فتقول قط قط وذكر الأصابع والنزول كل ليلة إلى سماء الدنيا وليلة الجمعة وليلة النصف من شعبان وليلة القدر وكغيرته وفرحه بتوبة العبد واحتجابه بالنور وبرداء الكبرياء وأنه ليس بأعور وأنه يعرض عما يكره ولا ينظر إليه، وأن كلتا يديه يمين واختيار آدم قبضة اليمنى وحديث القبضة وله كل يوم كذا وكذا نظرة في اللوح المحفوظ وأنه يوم القيامة يحثو ثلاث حثيات من جهنم فيدخلهم الجنة ولما خلق آدم عليه الصلاة والسلام مسح ظهره بيمينه فقبض قبضة فقال هؤلاء للجنة ولا أبالي أصحاب اليمين وقبض قبضة أخرى

وقال هذه للنار ولا أبالي أصحاب الشمال ثم ردهم في صلب آدم وحديث القبضة التي يخرج بها من النار قومًا لم يعملوا خيرًا قط عادوا حمما فيلقون في نهر من الجنة يقال له نهر الحياة وحديث خلق آدم على صورته وقوله لا تقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن وإثبات الكلام بالحرف والصوت وباللغات وبالكلمات وبالسور وكلامه تعالى لجبريل والملائكة ولملك الأرحام وللرحم ولملك الموت ولرضوان ولمالك ولآدم ولموسى ولمحمد ﷺ وللشهداء وللمؤمنين عند الحساب وفي الجنة ونزول القرآن إلى سماء الدنيا وكون القرآن في المصاحف وما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن وقوله الله أشد أذنًا لقارئ القرآن من صاحب القينة إلى قينته وأن الله سبحانه يحب العطاس ويكره التثاؤب وفرغ الله من الرزق والأجل وحديث ذبح الموت ومباهات الله تعالى وصعود الأقوال والأرواح إليه وحديث معراج الرسول ﷺ ببدنه وبيان نفسه ونظره إلى الجنة والنار وبلوغه العرش إلى أن لم يكن بينه وبين الله تعالى إلا حجاب العزة وعرض الأنبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام وعرض أعمال الأمة عليه وغير هذا مما صح عنه ﷺ من الأخبار المتشابهة الواردة في صفات الله سبحانه ما بلغنا وما لم يبلغنا مما صح عنه اعتقادنا فيه وفي الآي المتشابهة في القرآن أن نقبلها ولا نردها ولا نتأولها بتأويل المخالفين ولا نحملها على تشبيه المشبهين ولا نزيد عليها ولا ننقص منها ولا نفسرها ولا نكيفها ولا نترجم عن صفاته بلغة غير العربية ولا نشير إليها بخواطر القلوب ولا بحركات الجوارح بل نطلق ما أطلقه الله عز وجل ونفسر ما فسره النبي ﷺ وأصحابه والتابعون والأئمة المرضيون من السلف المعروفين بالدين والأمانة ونجمع على ما أجمعوا عليه ونمسك عن ما أمسكوا عنه ونسلم الخبر الظاهر والآية الظاهرة تنزيلها لا نقول بتأويل المعتزلة والأشعرية والجهمية والملحدة والمجسمة والمشبهة والكرامية والمكيفة بل نقبلها بلا تأويل ونؤمن بها بلا تمثيل ونقول الإيمان بها واجب والقول بها سنة وابتغاء تأويلها بدعة اهـ.

قول الإمام حجة الإسلام

أبي أحمد بن الحسين الشافعي المعروف بابن الحداد في عقيدته

قال رحمه الله: إنه سبحانه مستو على عرشه وفوق جميع خلقه كما أخبر في كتابه وعلى ألسنة رسله من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف ولا تأويل وكذلك كلما جاء من الصفات نمره كما جاء من غير مزيد عليه ونقتدي في ذلك بعلماء السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

قول الإمام إسماعيل بن محمد الفضل التيمي

صاحب كتاب الترغيب والترهيب وكتاب الحجة في المحجة ومذهب أهل السنة وكان إمامًا للشافعية في وقته رحمه الله تعالى، وجمع له أبو موسى المديني مناقب لجلالته.

قال في كتاب الحجة باب في بيان استواء الله سبحانه وتعالى على عرشه قال الله تعالى: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ وقال في آية أخرى ﴿ **وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ** ﴾ وقال: ﴿ **الْعَلِّي الْحَكِيمُ** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى** ﴾ قال أهل السنة. فوق السموات لا يعلوه خلق من خلقه ومن الدليل على ذلك أن الخلق يشيرون إلى السماء بأصابعهم ويدعونه ويرفعون إليه رؤوسهم وأبصارهم وقال تعالى: ﴿ **وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ** ﴾. وقال تعالى: ﴿ **ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ، أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ** ﴾ والدليل على ذلك من النصوص التي فيها نزول الرحمن.

فصل

في بيان أن العرش فوق السموات وأن الله سبحانه وتعالى فوق العرش ثم ذكر حديث أبي هريرة الذي في البخاري لما قضي الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش أن رحمتي غلبت غضبي وبسط الاستدلال على ذلك بالسنة ثم قال. قال علماء السنة أن الله عز وجل على عرشه بائن من خلقه وقالت المعتزلة هو بذاته في كل مكان وقالت الأشعرية الاستواء عائد إلى العرش قال ولو كان كما قالوا: لكانت القراءة برفع العرش فلما كانت

بخفض العرش دل على أنه عائد إلى الله سبحانه وتعالى قال. وقال بعضهم استوى بمعنى استولى قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

والاستيلاء لا يوصف به إلا من قدر على الشيء بعد العجز عنه والله تعالى لم يزل قادرًا على الأشياء ومستوليًا عليها ألا ترى أنه لا يوصف بشر بالاستيلاء على العراق إلا وهو عاجز عنه قبل ذلك ثم حكي أبو القاسم عن ذي النون المصري أنه قيل له ما أراد الله سبحانه بخلق العرش قال أراد أن لا يتيه قلوب العارفين، قال وروي عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿ **مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ** ﴾ قال هو على عرشه وعلمه في كل مكان ثم ساق الاحتجاج بالآثار إلى أن قال وزعم هؤلاء أن معنى، الرحمن على العرش استوى، أي ملكه وأنه لا اختصاص له بالعرش أكثر مما له بالأمكنة وهذا إلغاء لتخصيص العرش وتشريفه.

وقال أهل السنة:

خلق الله تعالى السموات وكان عرشه مخلوقًا قبل خلق السموات والأرض ثم استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض ما ورد به النص وليس معناه المماسة بل هو مستو على عرشه بلا كيف كما أخبر عن نفسه.

قال وزعم هؤلاء أنه لا يجوز الإشارة إلى الله سبحانه بالرؤوس والأصابع إلى فوق فإن ذلك يوجب التحديد.

وقد أجمع المسلمون أن الله هو العلي الأعلى ونطق بذلك القرآن فزعم هؤلاء أن ذلك بمعنى علو الغلبة لا علو الذات وعند المسلمين أن لله عز وجل علو الغلبة والعلو من سائر وجوه العلو لأن العلو صفة مدح فنثبت أن لله تعالى علو الذات وعلو الصفات وعلو القهر والغلبة وفي منعهم الإشارة إلى الله سبحانه وتعالى من جهة الفوق خلاف منهم لسائر الملل لأن جماهير المسلمين وسائر الملل قد وقع منهم الإجماع على الإشارة إلى الله سبحانه وتعالى من جهة الفوق في الدعاء والسؤال واتفاقهم بأجمعهم على ذلك حجة ولم يستجز أحد الإشارة إليه من جهة الأسفل ولا من سائر الجهات سوى جهة الفوق وقال تعالى:

﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ وقال تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ وقال تعالى: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ وأخبر تعالى عن فرعون أنه قال: ﴿ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ، أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ﴾ فكان فرعون قد فهم من موسى عليه الصلاة والسلام أنه يثبت إلهًا فوق السماء حتى رام بصرحه أن يطلع إليه واتهم موسى عليه الصلاة والسلام بالكذب في ذلك. والجهمية لا تعلم أن الله فوقها بوجود ذاته فهم أعجز فهمًا من فرعون بل أضل وقد صح عن النبي ﷺ أنه سأل الجارية التي أراد مولاها عتقها أين الله ؟ قالت في السماء وأشارت برأسها إلى السماء، وقال من أنا ؟ فقالت أنت رسول الله فقال اعتقها فإنها مؤمنة، فحكم النبي ﷺ بإيمانها حين قالت: إن الله في السماء وحكم الجهمي بكفر من يقول ذلك هذا كله كلام أبي القاسم رحمه الله تعالى اهـ.

قول الإمام أبي عمرو عثمان ابن أبي الحسن بن الحسين السهروردي الفقيه المحدث من أئمة أصحاب الشافعي من أقران البيهقي وأبي عثمان الصابوني وطبقتهما، له كتاب في أصول الدين قال في أوله الحمد لله الذي اصطفى الإسلام على الأديان وزين أهله بزينة الإيمان وجعل السنة عصمة أهل الهداية ومجانبتها أمارة أهل الغواية وأعز أهلها بالاستقامة ووصل عزهم بالقيامة وصل الله على محمد وسلم وعلى آله أجمعين وبعد.

فإن الله تعالى لما جعل الإسلام ركن الهدى والسنة سبب النجاة من الردى ولم يجعل لمن ابتغى غير الإسلام دينًا هاديًا، ولا من انتحل غير السنة نحلة ناجيًا جمعت أصول السنة الناجي أهلها التي لا يسع الجاهل نكرها ولا العالم جهلها ومن سلك غيرها من المسالك فهو في أودية البدع هالك إلى أن قال ودعاني إلى جمع هذا المختصر في اعتقاد السنة على مذهب الشافعي وأصحاب الحديث إذ هم أمراء العلم وأئمة الإسلام قول النبي ﷺ تكون البدع في آخر الزمان محنة فإذا كان كذلك فمن كان عنده علم فليظهره فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على نبيه محمد ﷺ ثم ساق الكلام في الصفات إلى أن قال فصل: ومن صفاته تبارك وتعالى فوقيته واستواؤه على عرشه بذاته كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ بلا كيف ودليله قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ ﴾ وقوله تعالى في خمسة مواضع ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾

وقوله تعالى في قصة عيسى عليه السلام ﴿ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ وساق آيات العلو ثم قال وعلماء الأمة وأعيان الأمة من السلف لم يختلفوا في أن الله سبحانه مستو على عرشه وعرشه فوق سبع سمواته ثم ذكر كلام عبد الله بن المبارك نعرف ربنا بأنه فوق سبع سمواته على عرشه بائن من خلقه وساق قول ابن خزيمة من لم يقر بأن الله تعالى فوق عرشه قد استوى فوق سبع سمواته فهو كافر اهـ. بإسناده من كتاب معرفة علوم الحديث ومن كتاب تاريخ نيسابور للحاكم ثم قال وإمامنا في الأصول والفروع أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى احتج في كتابه المبسوط على المخالف في مسألة إعتاق الرقبة المؤمنة في الكفارة وأن الرقبة الكافرة لا يصح التكفير بها بخبر معاوية بن الحكم السلمي وأنه أراد أن يعتق الجارية السوداء عن الكفارة وسأل النبي ﷺ ليعرف أنها مؤمنة أم لا فقال لها أين ربك فأشارت إلى السماء إذ كانت أعجمية فقال لها من أنا ؟ فأشارت إليه وإلى السماء تعني أنك رسول الله الذي في السماء فقال أعتقها فإنها مؤمنة، فحكم رسول الله ﷺ بإسلامها وإيمانها لما أقرت بأن ربها في السماء وعرفت ربها بصفة العلو والفوقية هذا لفظه اهـ.

قول إمام الشافعية في وقته

الإمام أبي بكر محمد بن محمود بن سورة التميمي فقيه نيسابور

قال رحمه الله تعالى لا أصلي خلف من ينكر الصفات ولا يقر بأن الله تعالى فوق عرشه بائن من خلقه اهـ.

ذكر أقوال جماعة من أتباع الأئمة الأربعة ممن يقتدي بأقوالهم سوى ما تقدم

قال أبو بكر محمد بن وهب المالكي شارح رسالة ابن أبي زيد:

قد تقدم ذكره عند ذكر أصحاب مالك وحكينا بعض كلامه في شرحه ونحن نسوقه بعبارته.

قال وأما قوله أنه فوق عرشه المجيد بذاته فإن معنى فوق وعلا عند جميع العرب واحد وفي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تصديق ذلك ثم ساق الآيات في إثبات العلو وحديث الجارية إلى أن قال: وقد تأتي « في » في لغة العرب بمعنى فوق وعلى ذلك قوله تعالى:

﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴾ يريد فوقها وعليه وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ يريد عليها وقال تعالى: ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ ﴾ الآيات قال أهل التأويل العالمون بلغة العرب يريد فوقها وهو قول مالك مما فهمه عن جماعة ممن أدرك من التابعين مما فهموه عن النبي ﷺ أن الله في السماء بمعنى فوقها وعليها فلذلك قال الشيخ أبو محمد أنه فوق عرشه المجيد بذاته ثم بين أن علوه على عرشه إنما هو بذاته لأنه بائن عن جميع خلقه بلا كيف وهو في كل مكان من الأمكنة المخلوقة بعلمه لا بذاته إذ لا تحويه الأماكن لأنه أعظم منها وقد كان ولا مكان ولم يحل بصفاته عما كان إذ لا تجري عليه الأحوال لكن علوه في استوائه على عرشه هو عندنا بخلاف ما كان قبل أن يستوي على العرش لأنه قال ثم استوى على العرش وثم أبدا لا يكون إلا لاستئناف فعل يصير بينه وبين ما قبله فسحة إلى أن قال وقوله ﴿ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ فإنما معناه عند أهل السنة على غير الاستيلاء والقهر والغلبة والملك الذي ظنته المعتزلة ومن قال بقولهم أنه بمعنى الاستيلاء وبعضهم يقول أنه على المجاز دون الحقيقة.

قال ويبين سوء تأويلهم في استوائه على عرشه على غير ما تأولوه من الاستيلاء وغيره ما قد علمه أهل العقول أنه لم يزل مستوليًا على جميع مخلوقاته بعد اختراعه لها وكان العرش وغيره في ذلك سواء فلا معنى لتأويلهم بإفراد العرش بالاستواء الذي هو في تأويلهم الفاسد استيلاء وملك وقهر وغلبة.

قال: وكذلك بين أيضًا أنه على الحقيقة بقوله عز وجل: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلاً ﴾ فلما رأى المنصفون إفراد ذكره بالاستواء على عرشه بعد خلق سمواته وأرضه وتخصيصه بصفة الاستواء علموا أن الاستواء هنا غير الاستيلاء ونحوه فأقروا بصفة الاستواء على عرشه وأنه على الحقيقة لا على المجاز لأنه الصادق في قيله ووقفوا عن تكييف ذلك إذ ليس كمثله شيء من الأشياء وقد تقدم قول القاضي عبد الوهاب إمام المالكية بالعراق أن الاستواء استواء الذات على العرش وأنه قول أبي الطيب الأشعري حكاه عنه عبد الوهاب نصًا وأنه قول الأشعري بنفسه صرح به في بعض كتبه وأنه قول الخطابي وغيره من الفقهاء والمحدثين ذكر ذلك كله الإمام أبو بكر الحضرمي في رسالته التي سماها بالإيماء إلى مسألة

الاستواء فمن أراد الوقوف عليها فليقرأها وقد تقدم قول أبي عمر بن عبد البر وعلماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله تعالى: ﴿ **مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ** ﴾ أنه على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله وأهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وهم أئمة الجماعة اهـ

قول شيخ الإسلام

موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد المقدسي الذي اتفقت الطوائف على قبوله وتعظيمه وإمامته خلا جهمي ومعطل قال في كتاب إثبات صفة العلو أما بعد: فإن الله تعالى وصف نفسه بالعلو في السماء ووصفه بذلك رسوله خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام وأجمع على ذلك جميع العلماء من الصحابة الأتقياء والأئمة من الفقهاء وتواترت الأخبار في ذلك على وجه حصل به اليقين وجمع الله عز وجل عليه قلوب المسلمين وجعله مغروزًا في طبائع الخلق أجمعين فنراهم عند نزول الكرب يلحظون السماء بأعينهم ويرفعون عندها للدعاء أيديهم وينتظرون مجيء الفرج من ربهم سبحانه وينطقون بذلك بألسنتهم لا ينكر ذلك إلا مبتدع غال في بدعته أو مفتون بتقليده وأتباعه على ضلالته.

وقال في عقيدته ومن السنة قول النبي ﷺ ينزل ربنا إلى سماء الدنيا وقوله ﷺ لله أفرح بتوبة عبده وقوله ﷺ يعجب ربك إلى أن قال فهذا وما أشبهه مما صح سنده وعدلت روايته نؤمن به ولا نرده ولا نجحده ولا نعتقد فيه تشبيهه بصفات المخلوقين ولا سمات المحدثين بل نؤمن بلفظه ونترك التعرض لمعناه قراءته تفسيره ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء** ﴾ وقول النبي ﷺ ربنا الله الذي في السماء وقوله للجارية أين الله ؟ قالت في السماء قال أعتقها إنها مؤمنة رواه مالك بن أنس وغيره من الأئمة وروي أبو داوود في سننه أن النبي ﷺ قال إن بين سماء إلى سماء مسيرة كذا وكذا وذكر الحديث إلى أن قال وفوق ذلك العرش والله تعالى فوق ذلك نؤمن بذلك

ونتلقاه بالقبول من غير رد له ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تأويل ولا نتعرض له بكيف ولما سئل مالك بن أنس فقيل له: يا أبا عبد الله ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ كيف استوى ؟ فقال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ثم أمر بالرجل فأخرج اهـ.

قول إمام الشافعية:

في وقته بل هو الشافعي الثاني أبي حامد الأسفراييني كان من كبار أئمة السنة المثبتين للصفات قال مذهبي ومذهب الشافعي وجميع علماء الأمصار أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر وأن جبرائيل عليه السلام سمعه من الله عز وجل وحمله إلى محمد ﷺ وسمعه النبي ﷺ من جبرائيل وسمعه الصحابة من محمد ﷺ وأن كل حرف منه كالباء والتاء كلام الله عز وجل ليس بمخلوق ذكره في كتابه في أصول الفقه ذكره عنه شيخ الإسلام في الأجوبة المصرية.

قال شيخ الإسلام وكان الشيخ أبو حامد يصرح بمخالفة القاضي أبي بكر بن الطيب في مسألة القرآن.

قال إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة إمام السنة نؤمن بخبر الله سبحانه أن خالقنا مستو على عرشه لا نبدل كلام الله ولا نقول غير الذي قيل لنا كما قالت الجهمية المعطلة أنه استولى على عرشه لا استوى فبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم.

وقال في كتاب التوحيد باب ذكر استواء خالقنا العلي الأعلى الفعال لما يشاء على عرشه وكان فوقه فوق كل شيء عاليًا ثم ساق الأدلة على ذلك من القرآن والسنة ثم قال باب الدليل على أن الإقرار بأن الله فوق السماء من الإيمان ثم ساق حديث الجارية اهـ.

قول إمام الشافعية:

في وقته سعد بن على الزنجاني صرح بالفوقية بالذات فقال وهو على عرشه بوجود ذاته هذا لفظه وهو إمام في السنة له قصيدة فيها معروفة أولها:

تمسك بحبل الله واتبع الأثر ... ودع عنك رأيًا لا يلائمه خبر

وقال في شرح هذه القصيدة والصواب عند أهل الحق أن الله تعالى خلق السموات والأرض وكان عرشه على الماء مخلوقًا قبل خلق السموات والأرض ثم استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض على ما ورد به النص ونطق به القرآن وليس معنى استوائه أنه ملكه واستولى عليه لأنه كان مستوليًا عليه قبل ذلك وهو أحدثه لأنه مالك جميع الخلائق ومستول عليها وليس، معنى الاستواء أيضًا أنه ماس العرش أو اعتمد عليه أو طابقه فإن كل ذلك ممتنع في صفته جل ذكره ولكنه مستو بذاته على عرشه بلا كيف كما أخبر عن نفسه وقد أجمع المسلمون على أن الله هو العلي الأعلى ونطق بذلك القرآن بقوله تعالى ﴿ **سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى** ﴾ وأن لله علو الغلبة والعلو الأعلى من سائر وجوه العلو لأن العلو صفة مدح عند كل عاقل فثبت بذلك أن لله علو الذات وعلو الصفات وعلو القهر والغلبة وجماهير المسلمين وسائر الملل قد وقع منهم الإجماع على الإشارة إلى الله جل ثناؤه من جهة الفوق في الدعاء والسؤال فاتفاقهم بأجمعهم على الإشارة إلى الله سبحانه من جهة الفوق حجة ولم يستجز أحد الإشارة إليه من جهة الأسفل ولا من سائر الجهات سوى جهة الفوق. وقال تعالى: ﴿ **يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ** ﴾ وأخبر عن فرعون أنه قال: ﴿ **يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ، أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا** ﴾ وكان فرعون قد فهم من موسى أنه يثبت إلهًا فوق السماء حتى رام بصرحه أن يطلع إليه واتهم موسى بالكذب في ذلك ومخالفنا ليس يعلم أن الله فوقه بوجود ذاته فهو أعجز فهما من فرعون. وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه سأل الجارية التي أراد مولاها عتقها أين الله ؟ قالت: في السماء وأشارت برأسها وقال: من أنا ؟ قالت أنت رسول الله. فقال: أعتقها فإنها مؤمنة فحكم النبي ﷺ بإيمانها حين قالت أن الله في السماء وقال عز وجل: ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ** ﴾ وذكر النبي ﷺ ما بين كل سماء إلى سماء وما بين السماء السابعة وبين العرش ثم قال الله فوق ذلك وله أجوبة سئل عنها في السنة فأجاب عنها بأجوبة أئمة السنة وصدرها بجواب إمام وقته أبي العباس بن سريج اهـ.

قول الإمام أبي جعفر:

محمد بن جرير الطبري الإمام في الفقه والتفسير والحديث والتاريخ واللغة والنحو والقرآن قال في كتاب صريح السنة وحسب المرء أن يعلم أن ربه هو الذي على العرش استوى فمن تجاوز إلى غير ذلك فقد خاب وخسر وقال في تفسيره الكبير في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ قال علا وارتفع وقال في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء ﴾ عن الربيع بن أنس أنه يعني ارتفع. وقال في قوله تعالى: ﴿ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ قال يجلسه معه على العرش وقال في قوله عز وجل: ﴿ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ، أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا ﴾ يقول وإني لأظن موسى كاذبًا فيما يقول ويدعى أن له ربًا في السماء أرسله إلينا.

وقال في كتاب التبصير في معالم الدين القول فيما إدراكه بيان وعلمه خبر من الصفات وذلك نحو إخباره أنه سميع بصير وأن له يدين بقوله: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ وأن له وجهًا بقوله تعالى: ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ وأن له قدمًا لقول النبي ﷺ: « حتى يضع رب العزة فيها قدمه»، وأنه يضحك لقوله لقي الله وهو يضحك إليه، وأنه يهبط إلى سماء الدنيا بخبر النبي ﷺ بذلك، وأن له إصبعًا بقول النبي ﷺ ما قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن فإن هذه المعاني التي وضعت ونظائرها ما وصف الله به نفسه ورسوله مما لا يثبت حقيقة علمه بالذكر والرؤية لا يكفر بالجهل بها أحد إلا بعد انتهائها إليه فيجب عليه قبولها ذكر هذا عنه أبو يعلي في كتاب إبطال التأويل.

قال الخطيب كان (ج) أحد العلماء يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره وكان عارفًا بالقرآن بصيرًا بالمعاني فقيهًا في أحكام القرآن عالمًا بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها عارفًا بأقوال الصحابة والتابعين في الأحكام والحلال والحرام.

قال أبو حامد الأسفراييني لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل له كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن كثيرًا.

وقال ابن خزيمة: ما أعلم على أديم الأرض أعلم من (ج).

وقال الخطيب: سمعت علي بن عبد الله اللغوي يحكي أن (ج) مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة قلت وكان له مذهب مستقل له أصحاب عدة أبو الفرج المعافي بن زكريا منهم ومن أراد معرفة أقوال الصحابة والتابعين في هذا الباب فليطالع ما قاله عنهم في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ ﴾ وقوله: ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ﴾ وقوله: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ يتبين له أي الفريقين أولى بالله ورسوله الجهمية المعطلة أو أهل السنة والإثبات والله المستعان اهـ.

قول الإمام أبي القاسم الطبري اللالكائي أحد أئمة أصحاب الشافعي في كتابه في السنة. وهو من أجل الكتب، سياق ما جاء في قوله عز وجل: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ وأن الله عز وجل على عرشه في السماء ثم ذكر قول من هذا قوله من الصحابة والتابعين والأئمة قال هو قول عمر وعبد الله بن مسعود وأحمد بن حنبل وعد جماعة يطول ذكرهم ثم ساق الآثار في ذلك عن عمر، وعلي، وابن مسعود، وعائشة، وابن عباس، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمر وغيرهم اهـ.

قول الإمام محيي السنة الحسين بن مسعود البغوي قال في تفسيره الذي هو شجي في حلوق الجهمية والمعطلة في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ قال الكلبي ومقاتل استقر وقال أبو عبيدة صعد قال وأولت المعتزلة، الاستواء بالاستيلاء قال وأما أهل السنة فيقولون الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف يجب على الرجل أن يؤمن بذلك ويكل العلم فيه إلى الله تعالى. ثم حكي قول مالك الاستواء غير مجهول، ومراد السلف بقولهم بلا كيف هو نفي للتأويل فإنه التكييف الذي يزعمه أهل التأويل فإنهم هم الذين يثبتون كيفية تخالف الحقيقة فيقعون في ثلاثة محاذير نفي الحقيقة وإثبات التكييف بالتأويل وتعطيل الرب تعالى عن صفته التي أثبتها لنفسه وأما أهل الإثبات فليس أحد منهم يكيف ما أثبته الله تعالى لنفسه ويقول كيفية كذا وكذا حتى يكون قول السلف بلا كيف ردًا عليه وإنما ردوا على أهل التأويل الذي يتضمن التحريف والتعطيل تحريف اللفظ وتعطيل معناه اهـ.

فصل في ذكر قول الإمام أحمد بن حنبل وأصحابه رحمهم الله تعالى

قال الخلال في كتاب السنة بسنده إلى عبد الله بن أحمد قال قيل لأبي ربنا تبارك وتعالى فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه وقدرته وعلمه بكل مكان قال نعم لا يخلو شيء من علمه.

قال الخلال وأخبرني عبد الملك بن عبد الحميد الميموني قال سألت أبا عبد الله أحمد عن من قال أن الله تعالى ليس على العرش فقال كلامهم كله يدور على الكفر.

وروي الطبري الشافعي في كتاب السنة له بإسناده عن حنبل قال قيل لأبي عبد الله معنى قوله تعالى: ﴿ **مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ** ﴾ قال علمه محيط بالكل وربنا على العرش بلا حد ولا صفة وسع كرسيه السموات والأرض.

وقال أبو طالب: سألت أحمد بن حنبل قال أن الله معنا وتلا قوله تعالى: ﴿ **مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ** ﴾ قال يأخذون بآخر الآية ويدعون أولها هلا قرأت عليه: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ** ﴾ بالعلم معهم، وقال في قوله تعالى: ﴿ **وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ** ﴾.

وقال المروزي: قلت لأبي عبد الله أن رجلاً قال أقول كما قال الله تعالى: ﴿ **مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ** ﴾ أقول هذا ولا أجاوزه إلى غيره فقال أبو عبد الله هذا كلام الجهمية، فقلت له فكيف نقول: ﴿ **مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ** ﴾ قال علمه في كل مكان وعلمه معهم قال أول الآية يدل على أنه علمه وقال في موضع آخر: وإن الله عز وجل على فوق السماء السابعة يعلم ما تحت الأرض السفلى وأنه غير مماس لشيء من خلقه هو تبارك وتعالى بائن من خلقه وخلقه بائنون منه.

وقال في كتاب الرد على الجهمية الذي رواه عنه الخلال من طريق ابنه عبد الله قال باب بيان ما أنكرت الجهمية أن يكون الله تعالى على العرش وقال تعالى: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ قلنا لهم ما أنكرتم أن يكون الله تعالى على العرش وقد قال تعالى: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى**

﴿ الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ فقالوا هو تحت الأرض السابعة كما هو على العرش وفي السموات والأرض وفي كل مكان وتلا: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ ﴾ قال أحمد فقلنا قد عرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها من ذات الرب شيء أجسامكم وأجوافكم والحشوش والأماكن القذرة ليس فيها من ذات الرب تعالى شيء وقد أخبرنا الله عز وجل أنه في السماء فقال: ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ، أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾. ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾. ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾. ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾. ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ ذكر هذا الكلام كله أبو بكر الخلال في كتاب السنة الذي جمع فيه نصوص أحمد وكلامه وعلى منواله جمع البيهقي في كتابه الذي سماه جامع النصوص من كلام الشافعي وهما كتابان جليلان لا يستغنى عنهما عالم وخطبة كتاب أحمد بن حنبل الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسول عليهم الصلاة والسلام بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ويصبرون منهم على الأذى يحيون بكتاب الله الموتى ويبصرون بنور الله تعالى أهل العمى فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه وكم من ضال تائه قد هدوه فما أحسن أثرهم على الناس وما أقبح أثر الناس عليهم ينفون عن كتاب الله تعالى تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة وأطلقوا عنان الفتنة فهم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب مجمعون على مخالفة الكتاب يقولون على الله تعالى وفي الله تعالى وفي كتاب الله تعالى بغير علم يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون الجهال بما يشبهون عليهم فنعوذ بالله من فتن المضلين. ثم قال باب بيان ما ضلت فيه الجهمية الزنادقة من متشابه القرآن ثم تكلم على قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ قال قالت الزنادقة فما بال جلودهم التي عصت قد احترقت وأبدلهم الله جلودًا غيرها فلا نرى إلا أن الله عز وجل يعذب جلودًا بلا ذنب يقول جلودًا غيرها فشكوا في القرآن وزعموا أنه متناقض فقلنا أن قول الله عز وجل بدلناهم جلودًا غيرها ليس يعني جلودا أخرى غير جلودهم وإنما يعني بتبديلها تجديدها لأن جلودهم إذا نضجت جددها الله ثم تكلم على آيات من مشكل القرآن ثم قال وإن مما أنكرت الجهمية الضلال أن الله عز وجل على العرش استوى وقد

قال تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾ ثم ساق أدلة القرآن ثم قال ووجدنا كل شيء أسفل مذمومًا قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلاَّنَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ ﴾ ثم قال ومعنى قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ يقول هو إله من في السموات وإله من في الأرض وهو على العرش وقد أحاط علمه بما دون العرش لا يخلو من علمه مكان ولا يكون علم الله تعالى في مكان دون مكان وذلك من قوله: ﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾.

قال الإمام أحمد: ومن الاعتبار في ذلك لو أن رجلاً كان في يده قدح من قوارير وفيه شيء كان نظر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم في القدح فالله سبحانه وله المثل الأعلى قد أحاط بجميع ما خلق وقد علم كيف هو وما هو من غير أن يكون في شيء مما خلق قال: وخصلة أخرى لو أن رجلاً بنى دارًا بجميع مرافقها ثم أغلق بابها كان لا يخفى عليه كم بيتًا في داره وكم سعة كل بيت من غير أن يكون صاحب الدار في جوف الدار فالله سبحانه قد أحاط بجميع ما خلق وقد علم كيف هو وما هو وله المثل الأعلى وليس هو في شيء مما خلق.

قال الإمام أحمد: ومما تأولت الجهمية من قول الله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ فقالوا أن الله معنا وفينا فقلنا لهم لم قطعتم الخبر من أوله ؟ إن الله تعالى يقول: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ يعني علمه فيهم أينما كانوا ﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ففتح الخبر بعلمه وختمه بعلمه قال الإمام أحمد وإذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله سبحانه وتعالى حين زعم أنه في كل مكان ولا يكون في مكان دون مكان فقل له فحين خلق الشيء خلقه في نفسه أو خارجًا عن نفسه فإنه يصير إلى أحد ثلاثة أقاويل أن زعم الله تعالى خلق الخلق في نفسه كفر حين زعم أن الجن والإنس والشياطين وإبليس في نفسه وإن قال

خلقهم خارجًا عن نفسه ثم دخل فيهم كفر أيضًا حين زعم أنه دخل في كل مكان وحش وقذر وإن قال خلقهم خارجًا عن نفسه ثم لم يدخل فيهم رجع عن قوله كله أجمع وهو قول أهل السنة.

قال أحمد: بيان ما ذكر في القرآن ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ على وجوه قوله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ يقول في الدفع عنكما وقال: ﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ يعني في الدفع عنا وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ يعني في النصرة لهم على عدوهم وقوله تعالى: ﴿ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ ﴾ يعني في النصرة لكم على عدوكم وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ ﴾ يعني يقول بعلمه فيهم وقوله تعالى: ﴿ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ يقول بالعون على فرعون فلما ظهرت الحجة على الجهمي بما ادعى على الله سبحانه أنه مع خلقه قال هو في كل شيء غير مماس لشيء ولا مباينًا له فقلنا له فإذا كان غير مباين للشيء أهو مماس له ؟ قال لا قلنا فكيف يكون في كل شيء غير مماس لشيء ولا مباينًا لشيء فلم يحسن الجواب فقال بلا كيف ليخدع الجهال بهذه الكلمة ويموه عليهم ثم قلنا لهم إذا كان يوم القيامة أليس إنما تكون الجنة والنار والعرش والهواء فقال بلى فقلنا وأين يكون ربنا ؟ قال يكون في كل شيء كما كان حيث كانت الدنيا قلنا ففي مذهبكم أن ما كان من الله تعالى على العرش فهو على العرش وما كان من الله تعالى في الجنة فهو في الجنة وما كان من الله تعالى في النار فهو في النار وما كان منه في الهواء فهو في الهواء فعند ذلك تبين للناس كذبهم على الله.

قال أحمد: وقلنا للجهمية حين زعمتم أن الله تعالى في كل مكان قلنا أخبرونا عن قول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ ﴾ كان في الجبل بزعمكم فلو كان فيه كما تزعمون لم يكن تجلى له بل كان سبحانه على العرش فتجلى لشيء لم يكن فيه ورأى الجبل شيئًا لم يكن رآه قط قبل ذلك.

قال أحمد: وقلنا للجهمية الله نور فقالوا هو نور كله.

فقلنا لهم قال الله عز وجل: ﴿ وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ فقد أخبر جل ثناؤه

أن له نورًا وقلنا لهم أخبرونا حين زعمتم أن الله سبحانه في كل مكان وهو نور فلم لم يضيء البيت المظلم بلا سراج وما بال السراج إذا دخل البيت المظلم يضيء فعند ذلك تبين للناس كذبهم على الله تعالى.

قال الإمام أحمد: كان جهم وشيعته كذلك دعوا الناس إلى المتشابه من القرآن والحديث فضلوا وأضلوا بكلامهم كثيرًا وكان فيما بلغنا عن الجهم عدو الله أنه كان من أهل خرسان وكان صاحب خصومات وشر وكلام وكان أكثر كلامه في الله تعالى فلقي أناسًا من الكفار يقال لهم السمنية فعرفوا الجهم فقالوا له: نكلمك فإن ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا وإن ظهرت حجتك علينا دخلنا في دينك فكان مما كلموا به جهمًا قالوا: ألست تزعم أن لك إلهًا؟ قال الجهم: نعم قالوا: له فهل رأت عينك إلهك؟ قال: لا قالوا: فهل شممت له رائحة؟ قال: لا قالوا: فهل وجدت له حسا؟ قال: لا قالوا: فهل وجدت له مجسا؟ قال: لا قالوا: فما يدريك أنه إله؟ قال: فتحير الجهم ولم يدر أربعين يومًا ثم إنه استدرك حجة من جنس حجة زنادقة النصارى لعنهم الله وذلك أن زنادقة النصارى لعنهم الله تعالى زعموا أن الروح التي في عيسى بن مريم روح الله من ذات الله فإذا أراد أن يحدث أمرًا دخل في بعض خلقه فتكلم على لسانه فيأمر بما يشاء وينهي عما يشاء وهو روح غائب عن الأبصار فاستدرك الجهم حجة مثل هذه الحجة فقال للسمني. تزعم أن فيك روحًا قال نعم قال فهل رأيت روحك ؟ قال لا قال فهل سمعت كلامه ؟ قال لا قال فهل وجدت له مجسًا أو حسًا ؟ قال لا قال فكذلك الله لا يرى له وجه ولا يسمع له صوت ولا يشم له رائحة وهو غائب عن الأبصار ولا يكون في مكان دون مكان ووجد ثلاث آيات في القرآن من المتشابه قوله تعالى: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾. ﴿ **وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ** ﴾ ﴿ **لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ** ﴾ فبني أصل كلامه على هؤلاء الآيات وتأول القرآن على غير تأويله وكذب بأحاديث النبي ﷺ وزعم أن من وصف الله تعالى بشيء مما وصف به نفسه في كتابه أو حدث عنه النبي ﷺ كان كافرًا أو كان من المشبهة فأضل بشرًا كثيرًا وتبعه على قوله رجال من أصحاب عمرو بن عبيد وأصحاب فلان ووضع دين الجهمية فإذا سألهم الناس عن قوله تعالى: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ ما تفسيره ؟ يقولون ليس كمثله شيء من الأشياء

هو تحت الأرض السابعة كما هو على العرش لا يخلو منه مكان ولا هو في مكان دون مكان ولا يتكلم ولا يكلم ولا ينظر إليه أحد لا في الدنيا ولا في الآخرة ولا يوصف ولا يعرف بصفة ولا له غاية ولا منتهى ولا يدرك بعقل وهو وجه كله وهو علم كله وهو سمع كله وهو بصر كله وهو نور كله وهو قدرة كله لا يوصف بوصفين مختلفين وليس بمعلوم ولا معقول وكلما خطر بقلبك أنه شيء تعرفه فهو على خلافه فقلنا لهم فمن تعبدون ؟ قالوا نعبد من يدبر أمر هذا الخلق قلنا فالذي يدبر أمر هذا الخلق لا يعرف بصفته قالوا نعم قلنا قد عرف المسلمون أنكم لا تثبتون شيئًا إنما تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرون ثم قلنا لهم هذا الذي يدبر هو الذي كلم موسى قالوا لم يتكلم ولا يتكلم لأن الكلام لا يكون إلا بجارحة والجوارح منفية عن الله سبحانه وتعالى فإذا سمع الجاهل قولهم ظن أنهم من أشد الناس تعظيمًا لله سبحانه ولم يعلم أن كلامهم إنما يؤول إلى ضلالة وكفر قال الخلال كتب هذا الكتاب من خط عبد الله وكتبه عبد الله من خط أبيه وصححه شيخ الإسلام ومضى إلى أن قال فإنه امتحن بالجهمية وجميع المتقدمين من أصحابه على مثل منهاجه في ذلك وإن كان بعض المتأخرين منهم من يدخل في نوع من البدعة التي أنكرها الإمام أحمد ولكن الرعيل الأول من أصحابه كلهم وجميع أئمة الحديث قولهم قوله اهـ.

أقوال أئمة أهل الحديث

الذين رفع الله تعالى منارهم في العالمين وجعل لهم لسان صدق في الآخرين

ذكر قول إمامهم: وشيخهم الذي روي له كل محدث أبو هريرة روي الدارمي عنه في كتاب النقض بإسناد جيد قال لما ألقى إبراهيم في النار قال اللهم إنك في السماء واحد وأنا في الأرض واحد أعبدك اهـ.

ذكر قول إمام الشام في وقته أحد أئمة الدنيا الأربعة أبي عمرو الأوزاعي.

روي البيهقي عنه في الصفات أنه قال كنا والتابعون متوافرون نقول أن الله عز وجل فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته وقد تقدم حكاية ذلك عنه.

قول إمام أهل الدنيا في وقته عبد الله بن المبارك وقد صح عنه صحة قريبة من التواتر أنه قيل له بماذا نعرف ربنا ؟ قال بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه ذكره البيهقي

وقبله الحاكم وقبله الدارمي عثمان وقد تقدم اهـ.

قول حماد بن زيد إمام وقته تقدم عنه قوله الجهمية إنما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء شيء وكان من أشد الناس على الجهمية.

قول يزيد بن هارون: قال عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب السنة بسنده إلى يزيد بن هارون قال من زعم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف ما تقرر في قلوب العامة فهو جهمي. قال شيخ الإسلام والذي تقرر في قلوب العامة هو ما فطر الله تعالى عليه الخليقة من توجهها إلى ربها تعالى عند النوازل والشدائد والدعاء والرغبات إليه تعالى نحو العلو لا يلتفتون يمنة ولا يسرة من غير موقف وقفهم عليه ولكن فطرة الله التي فطر الناس عليها وما من مولود إلا وهو يولد على هذه الفطرة حتى يجهمه وينقله إلى التعطيل من يقيض له اهـ.

قول عبد الرحمن بن مهدي: وروي عنه غير واحد بإسناد صحيح أنه قال أن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن الله كلم موسى وأن يكون على العرش أرى أن يستتابوا فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم.

قال على بن المديني: لو حلفت لحلفت بين الركن والمقام أني ما رأيت أعلم من عبد الرحمن بن مهدي. قول سعيد بن عامر الضبعي إمام أهل البصرة على رأس المائتين روي ابن أبي حاتم عنه في كتاب السنة أنه ذكر عنده الجهمية فقال هم شر قولاً من اليهود والنصارى وقد أجمع أهل الأديان مع المسلمين على أن الله على العرش وقالوا هم ليس على العرش شيء اهـ.

قول عباد بن العوام: أحد أئمة الحديث بواسط قال كلمت بشرًا المريسي وأصحابه فرأيت آخر كلامهم يقولون ليس في السماء شيء، أرى والله أنه لا يناكحون ولا يوارثون اهـ.

قول عبد الله بن مسلمة القعنبي: شيخ البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى قال بيان بن أحمد كنا عند القعنبي فسمع رجلاً من الجهمية يقول: الرحمن على العرش استولى فقال القعنبي من لا يؤمن أن الرحمن على العرش استوى كما تقرر في قلوب العامة فهو جهمي.

قال البخاري محمد بن إسماعيل في كتاب خلق أفعال العباد عن يزيد بن هارون مثله سواء وقد تقدم اهـ.

قول على بن عاصم: شيخ الإمام أحمد رحمهما الله تعالى صح عنه أنه قال ما الذين قالوا أن لله سبحانه ولدا أكفر من الذين قالوا إن الله سبحانه لم يتكلم وقال احذروا من المريسي وأصحابه فإن كلامهم الزندقة وأنا كلمت أستاذهم فلم يثبت أن في السماء إلهًا حكاه عنه غير واحد ممن صنف في السنة وقال يحيى بن على بن عاصم كنت عند أبي فاستأذن عليه المريسي فقلت له، يا أبت مثل هذا يدخل عليك فقال وما له ؟ فقلت أنه يقول أن القرآن مخلوق ويزعم أن الله معه في الأرض وكلامًا ذكرته فما رأيته اشتد عليه مثل ما اشتد عليه قوله أن القرآن مخلوق وقوله أن الله معه في الأرض ذكر هذين الأثرين عنه عبد الرحمن بن أبي حاتم في كتاب الرد على الجهمية اهـ.

قول وهب بن جرير: رحمه الله تعالى صح عنه أنه قال إياكم ورأي جهم فإنهم يحاولون أن ليس في السماء شيء وما هو إلا من وحي إبليس وما هو إلا الكفر، حكاه محمد بن عثمان الحافظ في رسالته في السنة.

وقال البخاري: رحمه الله تعالى في كتاب خلق أفعال العباد وقال وهب بن جرير الجهمية الزنادقة إنما يريدون أنه ليس على العرش استوى اهـ.

قول عاصم: بن على شيخ البخاري أحد الأئمة الحفاظ الثقات حدث عن شعبة وابن أبي ذئب والليث رحمهم الله تعالى قال الخطيب وجه المعتصم من يحزر مجلسه في جامع الرصافة وكان عاصم يجلس على سطح الرحبة ويجلس الناس في الرحبة وما يليها فعظم الجمع مرة جدًا حتى قال أربع عشرة مرة حدثنا الليث بن سعد والناس لا يسمعون لكثرتهم فحزر المجلس فكان عشرين ومائة ألف رجل.

قال يحيى بن معين فيه هو سيد المسلمين قال عاصم ناظر – جهميًا فتبين من كلامه أنه اعتقد أن ليس في السماء رب.

قال شيخ الإسلام كان الجهمية يدورون على ذلك ولم يكونوا يصرحون به لوفور السلف والأئمة وكثرة أهل السنة فلما بعد العهد وانقرض الأئمة صرح أتباعهم بما كان

أولئك يشيرون إليه ويدورون حوله قال وهكذا ظهرت البدع كلما طال الأمر وبعد العهد اشتد أمرها وتغلظت قال وأول بدعة ظهرت في الإسلام بدعة القدر والإرجاء ثم بدعة التشيع إلى أن انتهى الأمر إلى الاتحاد والحلول وأمثالهما.

قول الإمام عبد العزيز بن يحيى الكناني صاحب الشافعي رحمهما الله تعالى له كتاب في الرد على الجهمية قال فيه باب قول الجهمية أن معنى استوى استولى من قول العرب استوى الفاطمي على مصر يريدون استولى عليها قال فيقال له هل يكون خلق من خلق الله أتت عليه مدة ليس بمستول عليه ؟ فإذا قال لا قيل له فمن زعم ذلك فهو كافر فيقال له يلزمك أن تقول أن العرش أتت عليه مدة ليس الله بمستول عليه وذلك لأنه أخبر أنه سبحانه خلق العرش قبل السموات والأرض ثم استوى عليه بعد خلقهن فيلزمك أن تقول المدة التي كان العرش قبل خلق السموات والأرض ليس الله تعالى بمستول عليه فيها ثم ذكر كلامًا طويلاً في تقرير العلو والاحتجاج عليه اهـ.

ذكر قول جرير بن عبد الحميد شيخ إسحاق بن راهوية وغيره من الأئمة قال كلام الجهمية أوله عسل وآخره سم وإنما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء إله رواه ابن أبي حاتم في كتاب الرد على الجهمية اهـ.

ذكر قول عبد الله بن الزبير الحميدي أحد شيوخ النبل شيخ البخاري إمام أهل الحديث والفقه في وقته وهو أول رجل افتتح به البخاري صحيحه قال وما نطق به القرآن والحديث مثل قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** ﴾ ومثل قوله تعالى: ﴿ **وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ** ﴾ وما أشبه هذا من القرآن والحديث لا نزيد فيه ولا نفسره ونقف على ما وقف عليه القرآن والسنة ونقول الرحمن على العرش استوى ومن غير هذا فهو مبطل جهمي وليس مقصود السلف بأن من أنكر لفظ القرآن يكون جهميًا مبتدعًا فإنه يكون كافرًا زنديقًا وإنما مقصودهم من أنكر معناه وحقيقته.

قول نعيم بن حماد الخزاعي أحد شيوخ النبل شيخ البخاري قال في قوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ** ﴾ معناه لا يخفى عليه خافية بعلمه قال البخاري سمعته يقول من شبه الله تعالى بخلقه

فقد كفر ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس ما وصف الله تعالى به نفسه ولا رسوله ﷺ تشبيهًا اهـ.

قول عبد الله بن أبي جعفر الرازي قال صالح بن الضريس جعل عبد الله بن أبي جعفر الرازي يضرب قرابة له بالنعل على رأسه يرى رأى جهم ويقول لا حتى يقول الرحمن على العرش استوى بائن من خلقه ذكره عبد الرحمن بن أبي حاتم في كتاب الرد على الجهمية اهـ

قول الحافظ أبي معمر القطعي رحمه الله ذكر ابن أبي حاتم عنه أنه قال آخر كلام الجهمي أنه ليس في السماء إله اهـ.

قول بشر بن الوليد وأبي يوسف رحمهما الله تعالى روي ابن أبي حاتم قال جاء بشر بن الوليد إلى أبي يوسف فقال له تنهاني عن كلام بشر المريسي وعلى الأحول وفلان يتكلمون فقال وما يقولون قال يقولون أن الله في كل مكان فبعث أبو يوسف وقال على بهم فانتهوا إليه وقد قال بشر فجيء بعلي الأحول والشيخ الآخر فنظر أبو يوسف إلى الشيخ وقال: لو أن فيك موضع أدب لأوجعتك وأمر به إلى الحبس وضرب على الأحول وطوف به وقد استتاب أبو يوسف بشرًا المريسي لما أنكر أن يكون الله فوق عرشه وهي قصة مشهورة ذكرها عبد الرحمن بن أبي حاتم وغيره وأصحاب أبي حنيفة المتقدمون على هذا.

قال محمد بن الحسن: اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاءت بها الثقات عن الرسول ﷺ في صفات الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه فمن فسر شيئًا من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن آمنوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة لأنه وصفه بصفة لا شيء.

وقال محمد رحمه الله تعالى أيضًا في الأحاديث التي جاءت أن الله تعالى يهبط إلى سماء الدنيا ونحو هذا هذه الأحاديث قد رواها الثقات فنحن نرويها ونؤمن بها ولا نفسرها ذكر ذلك عنه أبو القاسم اللالكائي وهذا تصريح منه بأن من قال بقول جهم فقد فارق جماعة المسلمين وقد ذكر الطحاوي في اعتقاد أبي حنيفة وصاحبيه رحمهم الله تعالى ما يوافق هذا

وأنهم أبرأ الناس من التعطيل والتجهم وقال في عقيدته المعروفة وأنه تعالى محيط بكل شيء وفوقه وقد أعجز عن الإحاطة خلقه اهـ.

قول سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى ذكر الثعلبي عنه في تفسيره قال ابن عيينة ثم استوى على العرش صعد اهـ.

قول خالد بن سليمان أبي معاذ البلخي أحد الأئمة رحمه الله تعالى روي عبد الرحمن بن أبي حاتم عنه بإسناده قال كان جهم على معبر ترمذ وكان فصيح اللسان لم يكن له علم ولا مجالسة أهل العلم فكلمه السمنية فقالوا صف لنا ربك الذي تعبده فدخل البيت لا يخرج ثم خرج إليهم بعد أيام فقال هو هذا الهواء مع كل شيء وفي كل شيء ولا يخلو منه شيء قال أبو معاذ كذب عدو الله أن الله في السماء على العرش كما وصف نفسه وهذا صحيح عنه وأول من عرف عنه في هذه الأمة أنه نفي أن يكون الله في سمواته على عرشه هو جهم بن صفوان وقبله الجعد بن درهم ولكن الجهم هو الذي دعا إلى هذه المقالة وقررها وعنه أخذت فروي ابن أبي حاتم وعبد الله بن أحمد في كتابيهما في السنة عن شجاع بن أبي نصر أبي نعيم البلخي وكان قد أدرك جهمًا قال كان لجهم صاحب يكرمه ويقدمه على غيره فإذا هو قد وقع به فصيح به وبدر به وقيل له لقد كان يكرمك فقال إنه قد جاء منه ما لا يحتمل بينما هو يقرأ طه والمصحف في حجره فلما أتى على هذه الآية: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ فقال لو وجدت السبيل إلى أن أحكها من المصحف لفعلت فاحتملت هذه ثم أنه بينما هو يقرأ آية إذ قال ما أظرف محمدًا حين قالها ثم بينما هو يقرأ طسم القصص والمصحف في حجره إذ مر بذكر موسى عليه الصلاة والسلام فدفع المصحف بيديه ورجليه وقال أي شيء هذا ذكره هاهنا فلم يتم ذكره فهذا شيخ النافين لعلو الرب على عرشه ومباينته من خلقه وذكر ابن أبي حاتم عنه بإسناده عن الأصمعي قال: قدمت امرأة جهم فقال رجل عندها: الله على عرشه فقالت: محدود على محدود فقال الأصمعي: هي كافرة بهذه المقالة أما هذا الرجل وامرأته فما أولاه بأن يصلي نارًا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب اهـ.

قول إسحاق بن راهوية: إمام أهل المشرق نظير أحمد رحمهما الله تعالى قال حرب بن إسماعيل الكرماني صاحب أحمد قلت لإسحاق بن راهوية قول الله عز وجل: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ كيف تقول فيه قال حيث ما كنت فهو أقرب إليك من حبل الوريد وهو بائن من خلقه ثم قال وأعلى كل شيء من ذلك وأثبته قول الله عز وجل ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾.

وقال الخلال في كتاب السنة بسنده إلى إسحاق بن راهوية قال الله عز وجل: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ إجماع أهل العلم أنه فوق العرش استوى ويعلم كل شيء أسفل الأرض السابعة وفي قعور البحار ورؤوس الجبال وبطون الأودية وفي كل موضع كما يعلم ما في السموات السبع وما دون العرش أحاط بكل شيء علمًا ولا يسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض إلا قد عرف ذلك كله وأحصاه لا يعجزه معرفة شيء عن معرفة غيره.

وقال السراج سمعت إسحاق ابن راهوية يقول دخلت يومًا على طاهر بن عبد الله وعنده منصور بن طلحة فقال لي منصور يا أبا يعقوب تقول أن الله ينزل كل ليلة قلت له ونؤمن به إذا أنت لا تؤمن أن الله في السماء لا تحتاج أن تسألني فقال طاهر ألم أنهك عن هذا الشيخ.

ذكر قول حافظ الإسلام يحيى بن معين رحمه الله تعالى: روي ابن بطة عنه في الإبانة بإسناده قال إذا قال لك الجهمى كيف ينزل فقل كيف يصعد اهـ.

قول الإمام حافظ أهل المشرق وشيخ الأئمة عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله قال فيه أبو الفضل الفرات ما رأيت مثل عثمان بن سعيد الدارمي ولا رأى عثمان مثل نفسه أخذ الأدب عن ابن الأعرابي والفقه عن البويطي والحديث عن يحيي بن معين وعلي ابن المديني وأثني عليه أهل العلم صاحب كتاب الرد على الجهمية والنقض على بشر المريسي وقال في كتابه النقض على بشر وقد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله تعالى فوق عرشه فوق سمواته لا ينزل قبل يوم القيامة إلى الأرض ولم يشكوا أنه ينزل يوم القيامة ليفصل بين عباده ويحاسبهم ويثيبهم وتشقق السموات يومئذ لنزوله وينزل الملائكة تنزيلاً ويحمل عرش ربك

فوقهم يومئذ ثمانية كما قـال الله بـه سـبحانه ورسـوله ﷺ فلمـا لم يشـك المسـلمون أن الله لا ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة لشيء من أمور الدنيا علموا يقينًا أن ما يأتي الناس مـن العقوبات إنما هو أمره وعذابه فقوله: ﴿ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ ﴾ إنما هو أمره وعذابه.

وقال علمه بهم محيط وبصره فيهم نافذ وهـو بكمالـه فـوق عرشـه والسـموات ومسـافة بينهن وبينه وبين خلقه في الأرض فهو كذلك معهم، خامسهم وسادسهم وإنما يعرف فضـل الربوبية وعظم القدرة بأن الله من فوق عرشه ومع بعد المسافة بينه وبين الأرض يعلم مـا في الأرض وقال في موضع آخر من الكتاب والقرآن كلام الله وصفة من صفاته خرج منه كمـا شاء أن يخرج والله بكلامه وعلمه وقدرته وسلطانه وجميع صفاته غـير مخلـوق وهـو بكمالـه على عرشه وقال في موضع آخر وذكر حـديث الـبراء بـن عـازب الطويـل في شـأن الـروح وقبضها ونعيمها وعذابها وفيه فيصـعد بروحـه حتـى ينتهـي بهـا إلى السـماء الـتي فيهـا الله عز وجل فيقول الله عز وجل اكتبـوا كتـاب عبـدي في علـيين في السـماء السـابعة وأعيـدوه إلى الأرض وذكر الحديث ثم قال وفي قوله: ﴿ لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء ﴾ دلالة ظاهرة أن الله تعالى فوق السموات لأنه لو لم يكن فوق السماء لما عرج بالأرواح والأعمال إلى السـماء ولما غلقت أبواب السماء عن قوم وفتحت لآخرين وقال في موضع آخر وقد بلغنـا أن حملـة العرش حين حملوا العـرش وفوقـه الجبـار جـل جلالـه في عزتـه وبهائـه ضـعفوا عـن حملـه واستكانوا وجثوا على ركبهم حتى لقنوا لا حول ولا قوة إلا بـالله فاسـتقلوا بـه بقـدرة الله وإرادته ثم ساق بإسناده عن معاوية بن صالح أول ما خلق الله حين كان عرشـه علـى المـاء حملة العرش فقالوا ربنا لم خلقتنا. فقال خلقتكم لحمل عرشي فقالوا ربنا ومـن يقـوى علـى حمل عرشك وعليه جلالك وعظمتك ووقارك فقال لهم إني خلقتكم لذلك قال فيقول ذلك مرارًا قال فقولوا لا حول ولا قوة إلا بالله وقـال في موضـع آخـر ولكنـا نقـول رب عظـيم وملك كبير نور السموات والأرض وإله السموات والأرض على عرش عظيم مخلوق فـوق السماء السابعة دون ما سواها من الأماكن من لم يعرفه بذلك كان كافرًا به وبعرشه وقال في موضع آخر في حديث حصين كم تعبد ؟ فلم ينكر النبي ﷺ علـى حصـين إذ عـرف أن إلـه العالمين في السماء كما قال النبي ﷺ فحصين قبل إسلامه كان أعلم بالله الجليل من المريسـي

وأصحابه مع ما ينتحلون من الإسلام إذ ميز بين الإله الخالق الذي في السماء وبين الآلهة والأصنام المخلوقة التي في الأرض قال وقد اتفقت الكلمة من المسلمين والكافرين أن الله سبحانه في السماء وعرفوه بذلك إلا المريسي وأصحابه حتى الصبيان الذين لم يبلغوا الحنث وقال في قول رسول الله ﷺ للأمة أين الله ؟ تكذيب لمن يقول هو في كل مكان وأن الله لا يوصف بأين بل يستحيل أن يقال أين هو ؟ والله فوق سمواته بائن من خلقه فمن لم يعرفه بذلك لم يعرف إلهه الذي يعبده. وكتاباه من أجل الكتب المصنفة في السنة وأنفعها وينبغي لكل طالب سنة مراده الوقوف على ما كان عليه الصحابة والتابعون والأئمة أن يقرأ كتابية وكان شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله يوصي بهذين الكتابين أشد الوصية ويعظمهما جدًا وفيهما من تقرير التوحيد والأسماء والصفات بالعقل والنقل ما ليس في غيرهما اهـ.

قول قتيبة بن سعيد الإمام الحافظ أحد أئمة الإسلام وحفاظ الحديث من شيوخ الأئمة الذين تحملوا بالحديث عنه قال أبو العباس السراج سمعت قتيبة بن سعيد يقول هذا قول الأئمة في الإسلام والسنة والجماعة نعرف ربنا سبحانه بأنه في السماء السابعة على عرشه كما قال تعالى: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ وقال موسى بن هارون حدثنا قتيبة بن سعيد قال نعرف ربنا في السماء السابعة على عرشه كما قال تعالى: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ اهـ.

قول عبد الله الوراق أحد الأئمة الحفاظ أثنى عليه الأئمة وقيل للإمام أحمد رحمه الله من نسأل بعدك فقال عبد الوهاب وهو من شيوخ النبل قال عبد الوهاب وقد روي حديث ابن عباس ما بين السماء السابعة إلى كرسيه سبعة آلاف نور وهو فوق ذلك ومن زعم أن الله هاهنا فهو جهمي خبيث أن الله فوق العرش وعلمه محيط بالدنيا والآخرة صح ذلك عنه حكاه عنه محمد بن عثمان في رسالته في الفوقية وقال ثقة حافظ عنه روى أبو داود (ت) (ن) مات سنة خمسين ومائتين اهـ.

قول خارجة بن مصعب رحمه الله تعالى:

قال عبد الله بن أحمد في كتاب السنة بسنده إلى خارجة بن مصعب يقول الجهمية كفار أبلغ نساءهم أنهن طوالق لا يحللن لهم لا تعودوا مرضاهم ولا تشهدوا جنائزهم ثم تلا طه

إلى قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ اهـ.

قول إمامي أهل الحديث أبي زرعة وأبي حاتم رحمهما الله تعالى.

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم سألت أبي وأبا زرعة عن مذهب أهل السنة في أصول الدين وما أدركا عليه أئمة العلم في ذلك فقالا أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازًا وعراقًا وشامًا ويمنًا فكان من مذهبهم الإيمان قول وعمل يزيد وينقص والقرآن كلام الله تعالى غير مخلوق بجميع جهاته والقدر خيره وشره من الله عز وجل وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم على بن أبي طالب وأن الله عز وجل على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ بلا كيف أحاط بكل شيء علمًا ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. وأنه سبحانه يرى في الآخرة يراه أهل الجنة بأبصارهم ويسمعون كلامه كيف شاء وكما شاء والجنة حق والنار حق وهما مخلوقتان لا يفنيان أبدًا ومن زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم كفرًا ينقل عن الملة ومن شك في كفره ممن يفهم ولا يجهله فهو كافر ومن وقف في القرآن فهو جهمي ومن قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي قال أبو حاتم والقرآن كلام الله وعلمه وأسماؤه وصفاته وأمره ونهيه ليس بمخلوق بجهة من الجهات ونقول أن الله على عرشه بائن من خلقه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ثم ذكر عن أبي زرعة رحمه الله تعالى أنه سئل عن تفسير قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ فغضب وقال تفسيرها كما تقرأ هو على العرش استوى وعلمه في كل مكان ومن قال غير ذلك فعليه لعنة الله وهذان الإمامان إماما أهل الدين وهما من نظراء الإمام « حم » (خ) رحمهم الله تعالى اهـ.

قول حرب الكرماني صاحب أحمد وإسحاق رحمهم الله تعالى وله مسائل جليلة عنهما قال يحيى بن عمار بسنده إلى حرب بن إسماعيل قال والماء فوق السماء السابعة والعرش على الماء والله على العرش.

قلت هذا لفظه في مسائله وحكاه إجماعًا لأهل السنة من سائر أهل الإعصار اهـ.

قول إمام أهل الحديث على بن المديني شيخ البخاري بل شيخ الإسلام رحمه الله تعالى.

قال (خ) على ابن المديني سيد المسلمين قيل له ما قول الجماعة في الاعتقاد ؟ قال:

يثبتون الكلام والرؤية ويقولون أن الله تعالى على العرش استوى، فقيل له ما تقول في قوله تعالى: ﴿ **مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ** ﴾ فقال اقرؤوا أول الآية يعني بالعلم لأن أول الآية ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ** ﴾ قاله (خ) في كتاب خلق أفعال العباد وقال ابن المديني: القرآن كلام الله غير مخلوق من قال أنه مخلوق فهو كافر لا يصلي خلفه.

قول سنيد بن داود شيخ البخاري رحمهما الله تعالى.

قال أبو حاتم الرازي عن موسى الطرطوشي قال قلت لسنيد بن داود وهو على عرشه بائن من خلقه ؟ قال نعم ألم تسمع قوله تعالى: ﴿ **وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ** ﴾ اهـ.

قول إمام أهل الإسلام محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله تعالى.

قال في كتاب التوحيد من صحيحه باب قول الله عز وجل: ﴿ **وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء** ﴾. ﴿ **وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ** ﴾ قال أبو العالية استوى إلى السماء ارتفع فسواهن خلقهن وقال مجاهد استوى علا على العرش ثم ساق (خ) حديث زينب بنت جحش أنها كانت تفتخر على نساء رسول الله ﷺ فتقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات.

ثم قال باب قول الله تعالى: ﴿ **وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء** ﴾ ثم ذكر بعض أحاديث الفوقية ثم قررها بترجمة أخرى فقال باب قول الله تعالى: ﴿ **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ** ﴾ ثم ساق في ذلك أحاديث في إثبات صفة الفوقية ثم قال باب قوله تعالى: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ ثم ذكر الأحاديث الدالة على إثبات الرؤية في الآخرة ثم قال باب قوله تعالى: ﴿ **وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ** ﴾ قال (خ) رحمه الله ولم يقولوا ماذا خلق ربكم؟ ثم ذكر حديث أبي سعيد فينادي بصوت وحديث عبد الله بن أنيس وعلقمة فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان ومقصوده أن هذا **النداء يستحيل أن يكون مخلوقًا فإن المخلوق لا يقول أنا الملك أنا الديان فالمنادي بذلك** هو الله عز وجل القائل أنا الملك أنا الديان اهـ.

قول مسلم بن الحجاج يعرف قوله في السنة من سياق الأحاديث التي ذكرها ولم يتأولها ولم يذكر لها تراجم كما فعل (خ) ولكن سردها بلا أبواب ولكن تعرف التراجم من ذكره للشيء مع نظيره فذكر في كتاب الإيمان كثيرًا من أحاديث الصفات كحديث الإتيان يوم القيامة وما فيه من التجلي وكلام الرب لعباده ورؤيتهم إياه وذكر حديث الجارية وأحاديث النزول وذكر حديث أن الله يمسك السموات على أصبع والأرضين على إصبع وحديث يأخذ الجبار سمواته وأرضه بيده وأحاديث الرؤية وحديث حتى وضع الجبار فيها قدمه وحديث المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين وحديث ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء ؟ وغيرها من أحاديث الصفات محتجًا بها وغير مؤول لها ولو لم يكن معتقدًا لمضمونها لفعل بها ما فعل المتأولون حين ذكرها.

قول حماد بن هناد البوشنجي الحافظ أحد أئمة الحديث في وقته ذكر شيخ الإسلام الأنصاري فقال قرأت على أحمد بن منصور أخبركم جدكم بسنده إلى حماد بن هناد البوشنجي قال هذا ما رأينا عليه أهل الأمصار وما دلت عليه مذاهبهم فيه وإيضاح منهاج العلماء وطرق الخلفاء وصفة السنة وأهلها أن الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه وعلمه وقدرته وسلطانه بكل مكان فقال نعم.

قال أبي عيسى الترمذي قال في جامعه لما ذكر حديث أبي هريرة لو أدلى أحدكم بحبل لهبط على الله قال معناه لهبط على علم الله قال وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه وقال في حديث أبي هريرة أن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبهه من الصفات ونزول الرب تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا قالوا قد ثبتت الروايات في هذا ونؤمن به ولا نؤوله ولا نقول كيف هكذا روي عن مالك وابن عيينة وابن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث أمروها بلا كيف قال وهذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا هذا تشبيه وقد ذكر الله تعالى في غير موضع من كتابه اليد والسمع والبصر فتأولت الجهمية هذه الآيات وفسروها على غير ما فسر أهل العلم وقالوا إن الله لم يخلق آدم بيده وإنما معنى اليد ههنا القوة، فقال إسحاق بن راهوية إنما يكون

التشبيه إذا قال يد كيدي ومثل يدي أو سمع كسمعي فهذا تشبيه وأما إذا قال كما قال يد وسمع وبصر فلا يقول كيف ولا يقول مثل سمع ولا كسمعي فهذا لا يكون تشبيهًا عنده قال الله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ هذا كله كلامه وقد ذكره عنه شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري في كتابه الفاروق بإسناده وكذلك من تأمل تبويب ابن ماجه في السنة والرد على الجهمية في أول كتابه وتبويب أبي داود فيما ذكر في الجهمية والقدرية وسائر أئمة أهل الحديث علم مضمون قولهم وأنهم كلهم على طريقة واحدة وقول واحد ولكن بعضهم بوب وترجم ولم يزد على الحديث غير التراجم والأبواب وبعضهم زاد التقرير وإبطال قول المخالف وبعضهم سرد الأحاديث ولم يترجم لها وليس فيهم من أبطل حقائقها وحرفها عن مواضعها وسمي تحريفها تأويلاً كما فعلته الجهمية بل الذي بين أهل الحديث والجهمية من الحرب أعظم مما بين عسكر الكفر، وعسكر الإسلام و (د) قال في أول سننه باب ما أنكرت الجهمية ثم روي أحاديث الرؤية وحديث أين كان ربنا وحديث جابر بينما أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور من فوقهم وحديث الأوعال الذي فيه والعرش فوق ذلك والله فوق العرش وحديث أن الله ليضحك إلى ثلاثة وغيرها من الأحاديث اهـ.

قول الحافظ أبي بكر الأجري إمام عصره في الحديث والفقه قال في كتابه الشريف باب التحذير من مذهب الحلولية، الذي يذهب إليه أهل العلم أن الله على عرشه فوق سمواته وعلمه محيط بكل شيء قد أحاط بجميع ما خلق في السموات العلى وبجميع ما خلق في سبع أرضين ترفع إليه أعمال العباد فإن قال قائل فما معنى قوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ قيل له علمه معهم والله عز وجل على عرشه وعلمه محيط بهم كذا فسره أهل العلم والآية تدل أولها وآخرها على أنه العلم وهو على عرشه هذا قول المسلمين اهـ.

قول الحافظ: أبي الشيخ عبيد الله بن محمد بن حبان الأصبهاني قال في كتاب العظمة ذكر عرش الرب تبارك وتعالى وكرسيه وعظمة خلقهما وعلو الرب جل جلاله فوق عرشه ثم ساق كثيرًا من أحاديث هذا الباب بإسناده.

قول الحافظ: زكريا ابن يحيى الساجي إمام أهل البصرة قال أبو عبد الله بن بطة حدثنا أبو الحسن أحمد بن زكريا بن يحيى الساجي قال: قال أبي القول في السنة التي رأيت عليها أصحابنا أهل الحديث الذين لقيناهم أن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء ثم ذكر بقية الاعتقاد ذكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في طبقات الفقهاء وقال أخذ عن الربيع والمزني وله كتاب اختلاف الفقهاء وكتاب علل الحديث وهو شيخ أبي الحسن الأشعري في الفقه والحديث. ذكر ما حكاه أبو نصر السجزي عن أهل الحديث قال وأئمتنا كالثوري ومالك وابن عيينة وحماد بن زيد والفضيل وأحمد وإسحاق متفقون على أن الله فوق العرش بذاته وأن علمه بكل مكان.

قول الإمام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني إمام أهل الحديث والفقه في وقته قال في رسالته المشهورة في السنة وأن الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه ثم ساق بإسناده عن ابن المبارك أنه قال نعرف ربنا تبارك وتعالى بأنه فوق سبع سمواته على عرشه بائن من خلقه ولا نقول كما قالت الجهمية أنه ههنا في الأرض ثم قال بسنده إلى ابن خزيمة قال من لم يقر بأن الله على عرشه فوق سبع سمواته فهو كافر بربه حلال الدم يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه وألقي على بعض المزابل حتى لا يتأذى به المسلمون ولا المعاهدون بنتن رائحة جيفته وكان ما له فيئا ولا يرثه أحد من المسلمين إذ المسلم لا يرث الكافر ولا الكافر يرث المسلم اهـ.

قول عبد الله بن مسعود: قال (خ) في كتاب خلق أفعال العباد قال ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ** ﴾ قال العرش على الماء والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه اهـ.

قول مجاهد وأبي العالية: روي البيهقي من طريق شبل عن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿ **وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا** ﴾ قال بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب فما زال يقرب موسى حتى صار بينه وبينه حجاب فلما رأى مكانه وسمع صريف القلم قال رب أرني أنظر إليك وقال (خ) في صحيحه قال أبو العالية استوى إلى السماء ارتفع وقال مجاهد استوى علا على العرش وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿ **فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا**

الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ﴾ قال هم في هذه الأمة يتراكبون كما تتراكب الحمر والأنعام في الطرق ولا يستحيون في الأرض ولا يخافون الله في السماء رواه ابن الهيثم بن خلف الدوري في كتاب تحريم اللواط اهـ.

قول قتادة: روي عثمان الدارمي عنه في كتاب النقض قالت بنوا إسرائيل يارب أنت في السماء ونحن في الأرض فكيف لنا أن نعرف رضاك وغضبك قال إذا رضيت عنكم استعملت عليكم خياركم وإذا غضبت عليكم استعملت عليكم شراركم.

قول سعيد بن جبير: روي عنه من طرق قال قحط الناس في زمن ملك من ملوك بني إسرائيل فقال الملك ليرسلن الله علينا السماء أو لنؤذينه فقال جلساؤه فكيف تقدر وهو في السماء ؟ فقال أقتل أولياءه فأرسل الله عليهم السماء.

قول الحسن البصري: ذكر الشيخ موفق الدين ابن قدامة المقدسي في كتابه إثبات صفة العلو عنه بإسناد صحيح قال سمع يونس عليه السلام تسبيح الحصا والحيتان فجعل يسبح وكان يقول في دعائه يا سيدي في السماء مسكنك وفي الأرض قدرتك وعجائبك إلهي في الظلمات الثلاث حبستني فلما كان تمام الأربعين وأصابه الغم فنادى في الظلمات: ﴿ **أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ اهـ.

قول بشر بن عمر شيخ إسحاق عن جملة ممن لقيهم من المفسرين قال إسحاق بن راهوية أخبرنا بشر بن عمر قال سمعت غير واحد من المفسرين يقول الرحمن على العرش استوى ارتفع اهـ.

قول عباس القمي وإن لم يكن من المشهورين بالتفسير روي ابن أبي شيبة في كتاب العرش بإسناد صحيح عنه قال بلغني أن داوود كان يقول في دعائه اللهم أنت ربي تعاليت فوق عرشك وجعلت خشيتك على من في السموات والأرض اهـ.

قول محمد بن إسحاق: الإمام في الحديث والتفسير والمغازي قال بعث الله ملكًا من الملائكة إلى بختنصر قال هل تعلم يا عدو الله كم بين السماء والأرض قال لا قال بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة وغلظها مثل ذلك وذكر الحديث إلى أن ذكر حملة العرش قال: وفوقهم العرش عليه ملك الملوك تبارك وتعالى أي عدو الله فأنت تطلع إلى ذلك

ثم بعث الله عليه البعوضة فقتلته رواه أبو الشيخ في كتاب العظمة بإسناد جيد إلى ابن إسحاق اهـ.

قول أبي عبد الله القرطبي المالكي صاحب التفسير المشهور قال في قوله تعالى: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ هذه مسألة الاستواء وللعلماء فيها كلام وذكر قول المتكلمين الذين يقولون إذا وجب تنزيه الباري عن الحيز فمن ضرورة ذلك تنزيهه عن الجهة فليس بجهة فوق عندهم لما يلزم من الحيز والمكان من الحركة والسكون والتغيير والحدوث قال هذا قول المتكلمين ثم قال وقد كان السلف الأول لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك بل نطقوا هم والعامة بإثباتها لله كما نطق كتابه وأخبرت به رسله ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تعلم حقيقته كما قال مالك الاستواء معلوم يعني في اللغة والكيف مجهول والسؤال عن هذا بدعة هذا لفظه اهـ.

أقوال أئمة اللغة العربية الذين يحتج بقولهم فيها ذكر قول أبي عبيدة معمر بن المثني.

ذكر البغوي عنه في معالم التنزيل في قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ** ﴾ قال أبو عبيدة صعد وحكاه عنه (ج) عند قوله تعالى: ﴿ **ثُمَ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ** ﴾.

قول يحيى بن زياد الفراء إمام أهل الكوفة قال في قوله تعالى: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ أي صعد قاله بن عباس قال فهو كقول الرجل كان قاعدًا فاستوى قائمًا وكان قائمًا فاستوى قاعدًا ذكره البيهقي عنه في الأسماء والصفات قلت مراد الفراء اعتدال القائم والقاعد في صعوده على الأرض اهـ.

قول أبي العباس ثعلب روي الدارقطني عن إسحاق الكلابي قال سمعت أبا العباس ثعلبًا يقول استوى على العرش علا واستوى الوجه اتصل واستوى الفم امتلأ واستوى زيد وعمرو تشابهًا إلى السماء أقبل هذا الذي نعرف من كلام العرب اهـ.

قول أبي عبد الله محمد بن الأعرابي قال ابن عرفة في كتاب الرد على الجهمية حدثنا داوود بن على قال كنا عند ابن الأعرابي فأتاه رجل فقال ما معنى قوله تعالى: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ قال هو على عرشه كما أخبر فقال يا أبا عبد الله إنما معناه استولى

فقال اسكت لا يقال استولى على الشيء ويكون له مصادفًا إلا إذا غلب أحدهما قيل استولى كما قال النابغة:

ألا لمثلك أو من أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمد

قال محمد بن النضر سمعت ابن الأعرابي صاحب اللغة يقول أرادني ابن أبي داوود أن أطلب له في بعض لغات العرب ومعانيها ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ بمعنى استولى فقلت له والله ما يكون هذا ولا وجدته.

قول الخليل بن أحمد شيخ سيبويه ذكر أبو عمر بن عبد البر في التمهيد قال الخليل بن أحمد استوى إلى السماء ارتفع إلى السماء اهـ.

قول إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي المعروف بنفطويه له كتاب في الرد على الجهمية أنكر فيه أن يكون استوى بمعنى استولى وحكي فيه عن ابن الأعرابي ما قدمنا حكايته عنه ثم قال وسمعت داوود بن على يقول كان المريسي يقول سبحان ربي الأسفل وهذا جهل من قائله ورد لنص الكتاب إذ يقول الله ﴿ **ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء** ﴾ ورحمه الله لقد لين القول في المريسي صاحب هذا التسبيح لقد كان جديرًا بما هو أليق به من التجهم.

أقوال الزهاد والصوفية أهل الاتباع وسلفهم

قول ثابت البناني شيخ الزهاد قال محمد بن عثمان في رسالته صح عنه أنه قال، كان داوود يطيل الصلاة ثم يركع ثم يرفع رأسه إلى السماء ثم يقول إليك رفعت رأسي نظر العبيد إلى أربابها يا ساكن السماء ورواه اللالكائي بإسناد صحيح عنه ورواه الإمام (حم) أيضًا في كتاب الزهد فهذا الرفع إن كان في الصلاة فهو منسوخ في شرعنا وإن كان بعد الصلاة فهو جائز كرفع اليدين في الدعاء إلى الله عز وجل اهـ.

قول الفضيل بن عياض: قال الأثرم في كتاب السنة بسنده إلى الفضيل بن عياض قال ليس لنا أن نتوهم في الله كيف وكيف لأن الله وصف نفسه فأبلغ فقال: ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾ فلا صفة أبلغ مما وصف الله به نفسه وكذا النزول والضحك والمباهاة والاطلاع كما شاء أن ينزل وكما شاء أن يباهي وكما شاء أن يطلع وكما شاء أن يضحك فليس لنا أن نتوهم كيف وكيف وإذا قال لك الجهمي أنا

أكفر برب ينزل عن مكانه فقل أنت أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء وقد ذكر هذا الكلام الأخير عن الفضيل (خ) في كتاب خلق الأفعال فقال وقال الفضيل بن عياض إذا قال لك الجهمي فذكر قول يحيى بن معاذ الرازي قال الله تعالى على العرش بائن من خلقه قد أحاط بكل شيء علمًا وأحصى كل شيء عددًا ولا يشك في هذه المقالة إلا جهمي ردى ضليل وهالك مرتاب يقول يمزج الله بخلقه ويخلط الذات بالأقذار والانتان.

قول عطاء السلمي: ثبت أنه كان لا يرفع رأسه إلى السماء حياء من الله عز وجل ومن هذا نهى النبي ﷺ المصلى عن رفع بصره إلى السماء تأدبًا مع الله عز وجل وإطراقًا بين يديه وإجلالاً له كما يقف العبيد بين يدي الملوك ولا يرفعون رؤوسهم إليهم إجلالاً لهم وإذا ضم هذا إلى رفع الأيدي في الرغبات والرهبات وتوجه القلوب إلى العلو دون اليمنة واليسرة والخلف والأمام أفاد العلم بأن هذا فطرة الله التي فطر الناس عليها اهـ.

قول أبي عبيدة الخواص: ذكر أبو نعيم وابن الجوزي عنه أنه مكث كذا وكذا سنة لم يرفع رأسه إلى السماء حياء من الله اهـ.

قول ذي النون المصري: روي أبو الشيخ في كتاب العظمة بإسناده عنه قال أشرقت لنوره السموات وأنار بوجهه الظلمات وحجب جلاله عن العيون وناجاه على عرشه ألسنة الصدور.

قول الحارث بن أسد المحاسبي: قال وأما قوله ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾. ﴿ **وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ** ﴾. ﴿ **أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء** ﴾. ﴿ **إِذًا لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً** ﴾ فهذه وغيرها مثل قوله: ﴿ **تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ** ﴾ ﴿ **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ** ﴾ توجب أنه فوق العرش فوق الأشياء كلها متنزه عن الدخول في خلقه لا يخفى عليه منهم خافية لأنه أبان في هذه الآيات أنه أراد به نفسه فوق عباده لأنه قال: ﴿ **أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ** ﴾ يعني فوق العرش والعرش على السماء لأن من كان فوق كل شيء على السماء في السماء وقد قال: ﴿ **فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ** ﴾ أي على الأرض لا يريد الدخول في جوفها اهـ.

قول أبي جعفر الهمداني: الصوفي ذكر محمد بن طاهر المقدسي محدث الصوفية في كتابه

عنه أنه حضر مجلس أبي المعالي الجويني وهو يقول كان الله ولا عرش وهو الآن على ما كان عليه وكلامًا من هذا المعنى، فقال يا شيخ دعنا من ذكر العرش أخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا فإنه ما قال عارف قط يا الله إلا وجد من قلبه ضرورة بطلب العلو ولا يلتفت يمنة ولا يسرة فكيف ندفع هذه الضرورة عن قلوبنا ؟ قال فصرخ أبو المعالي ولطم على رأسه وقال حيرني الهمداني حيرني الهمداني اهـ.

قول الإمام العارف معمر بن أحمد الأصبهاني شيخ الصوفية في أواخر المائة الرابعة قال في رسالته أحببت أن أوصي أصحابي بوصية من السنة وموعظة من الحكمة وأجمع ما كان عليه أهل الحديث والأثر وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين قال فيها وإن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل والاستواء معقول والكيف مجهول وأنه عز وجل بائن من خلقه والخلق بائنون منه بلا حلول ولا ممازجة ولا اختلاط ولا ملاصقة لأنه الفرد البائن من الخلق الواحد الغني عن الخلق وأن الله سميع بصير عليم خبير يتكلم ويرضى ويسخط ويضحك ويعجب ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكًا وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف شاء فيقول هل من داع فأستجيب له ؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ حتى يطلع الفجر، ونزول الرب إلى السماء بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل فمن أنكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال اهـ.

قول الشيخ الإمام العارف قدوة العارفين عبد القادر الجيلاني: قال في كتاب تحفة المتقين وسبيل العارفين في باب اختلاف المذاهب في صفة الله عز وجل وفي ذكر اختلاف الناس في الوقف عند قوله: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ إلى أن قال والله تعالى بذاته على العرش علمه محيط بكل مكان والوقف عند أهل الحق على قوله إلا الله وقد روي ذلك عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ وهذا الوقف حسن لمن اعتقد أن الله بذاته على العرش ويعلم ما في السموات والأرض إلى أن قال ووقف جماعة من منكري استواء الرب عز وجل على قوله: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ وابتدؤوا بقوله استوى له ما في السموات وما في الأرض يريدون بذلك نفي الاستواء الذي وصف به نفسه وهذا خطأ منهم لأن الله تعالى استوى على العرش بذاته وقال في كتابه الغنية أما معرفة الصانع بالآيات والدلالات على وجه

الاختصار فهو أن تعرف وتتيقن أن الله واحد أحد. إلى أن قال وهو بجهة العلو مستو على العرش محتو على الملك محيط علمه بالأشياء إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴿ **يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ** ﴾ ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان بل يقال إنه في السماء على العرش استوى قال الله تعالى: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ وساق آيات وأحاديث ثم قال: وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل وأنه استواء الذات على العرش ثم قال وكونه على العرش مذكور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل بلا كيف هذا نص كلامه في الغنية اهـ.

قول شيخ الإسلام أبي إسماعيل عبد الله الأنصاري: صاحب كتاب منازل السائرين والفاروق وذم الكلام وغيره صرح في كتابه بلفظ الذات في العلو وأنه استوى بذاته على عرشه قال ولم تزل أئمة السلف تصرح بذلك ومن أراد معرفة صلابته في السنة والإثبات فليطالع كتابيه الفاروق وذم الكلام اهـ.

قول شيخ الصوفية والمحدثين أبي نعيم صاحب كتاب حلية الأولياء قال في عقيدته: وأن الله سميع بصير عليم خبير يتكلم ويرضى ويسخط ويضحك ويعجب ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكًا وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف يشاء فيقول هل من داع فأستجيب له هل من مستغفر فأغفر له هل من تائب فأتوب عليه حتى يطلع الفجر ونزول الرب تعالى إلى سماء الدنيا بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل فمن أنكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال وسائر الصفوة العارفين على هذا ثم قال وأن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل فالاستواء معقول والكيف مجهول وانه سبحانه بائن من خلقه بائنون منه بلا حلول ولا ممازجة ولا اختلاط ولا ملاصقة لأنه البائن الفرد من الخلق والواحد الغني عن الخلق وقال أيضًا طريقنا طريق السلف المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة وساق ذكر اعتقادهم ثم قال ومما اعتقدوه أن الله في سمائه دون أرضه وساق بقيته اهـ.

أقوال أئمة الكلام من أهل الإثبات المخالفين للجهمية والمعتزلة والمعطلة

قول الإمام أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب إمام الطائفة كان من أعظم أهل الإثبات للصفات والفوقية وعلو الله على عرشه منكر لقول الجهمية وهو أول من عرف عنه إنكار قيام الأفعال الاختيارية بذات الرب تعالى وأن القرآن معنى قائم بالذات وهو أربع معان ونصر طريقته أبو العباس القلانسي، وأبو الحسن الأشعري وخالفه في بعض الأشياء ولكنه على طريقته في إثبات الصفات والفوقية وعلو الله على عرشه كما سيأتي حكاية كلامه بألفاظه قال ابن كلاب في بعض كتبه وأخرج من الأثر والنظر من قال أن الله سبحانه لا داخل العالم ولا خارجه حكاه عنه شيخ الإسلام في عامة كتبه وحكي عنه أبو الحسن الأشعري أنه كان يقول أن الله مستو على عرشه كما قال وأنه فوق كل شيء هذا لفظ حكاية الأشعري عنه وحكي عنه أبو بكر بن فورك فيما جمعه من مقالاته في كتاب المجرد وأخرج من النظر والخبر قول من قال لا هو في العالم ولا خارجه فنفاه نفيًا مستويًا لأنه لو قيل له صفه بالعدم ما قدر أن يقول أكثر من هذا ورد أخبار الله نصًا وقال في ذلك ما لا يجوز في نص ولا معقول وزعم أن هذا هو التوحيد الخالص والنفي الخالص عندهم هو الإثبات الخالص وهم عند أنفسهم قياسيون قال وإن قالوا هذا إفصاح منكم بخلو الأماكن منه وانفراد العرش به قيل إن كنتم تعنون خلو الأماكن من تدبيره وأنه غير عالم بها فلا، وإن كنتم تريدون خلوه من استوائه عليها كما استوى على العرش فنحن لا نحتشم أن نقول استوى الله على العرش ونحتشم أن نقول استوى على الأرض واستوى على الجدار وفي صدر البيت قال بن كلاب يقال لهم أهو فوق ما خلق ؟ فإن قالوا نعم قيل لهم ما تعنون بقولكم فوق ما خلق ؟ فإن قالوا بالقدرة والعزة قيل لهم ليس هذا سؤالنا وإن قالوا المسألة خطأ قيل لهم أفليس هو فوق فإن قالوا نعم ليس هو فوق قيل لهم وليس هو تحت ؟ فإن قالوا لا فوق ولا تحت أعدموه لأن ما كان لا تحت ولا فوق عدم وإن قالوا هو تحت وهو فوق قيل لهم فيلزم أن يكون تحت وفوق ثم بسط الكلام في استحالة نفي المباينة والمماسة عنه بالعقل وإن ذلك يلحقه بالعدم المحض ثم قال ورسول الله ﷺ وهو صفوة الله من خلقه وخيرته من بريته أعلمهم بالأين واستصوب قول القائل أنه في السماء وشهد بالإيمان عند

ذلك وجهم بن صفوان وأصحابه لا يجيزون الأين بزعمهم ويحيلون القول به قال ولو كان خطأ لكان رسول الله ﷺ أحق بالإنكار له وكان ينبغي أن يقول لها لا تقولي ذلك فتوهمي أنه محدود وأنه في مكان دون مكان ولكن قولي أنه في كل مكان لأنه هو الصواب دون ما قلت كلا فلقد أجازه رسول الله ﷺ مع علمه بما فيه وأنه من الإيمان بل الأمر الذي يجب به الإيمان لقائله ومن أجله شهد لها بالإيمان حين قالته وكيف يكون الحق في خلاف ذلك والكتاب ناطق بذلك وشاهد له ولو لم يشهد لصحة مذهب الجماعة في هذا خاصة إلا ما ذكرناه من هذه الأمور لكان فيه ما يكفي كيف وقد غرس في نيته الفطرة ومعارف الأميين من ذلك ما لا شيء أبين منه ولا أوكد لأنك لا تسأل أحدًا من الناس عربيًا ولا عجميًا ولا مؤمنًا ولا كافرًا فتقول أين ربك إلا قال في السماء أفصح أو أومأ بيده أو أشار بطرفه إن كان لا يفصح ولا يشير إلى غير ذلك من أرض ولا سهل ولا جبل ولا رأينا أحدًا إذا عن له دعاء إلا رافعًا يديه إلى السماء ولا وجدنا أحدًا غير الجهمية، يسأل عن ربه فيقول في كل مكان كما يقولون وهم يدعون أنهم أفضل الناس كلهم فتاهت العقول وسقطت الأخبار واهتدى جهم وخمسون رجلاً مع نعوذ بالله من مضلاة الفتن هذا آخر كلامه اهـ.

قول أبي الحسن على بن إسماعيل الأشعري إمام الطائفة الأشعرية: نذكر كلامه فيما وقفنا عليه من كتبه كالموجز والإبانة والمقالات وما نقله عنه أعظم الناس انتصارًا له الحافظ أبو القاسم بن عساكر في الكتاب الذي سماه، تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري ذكر قوله في كتاب الإبانة في أصول الديانة قال أبو القاسم ابن عساكر: إذا كان أبو الحسن مستصوب المذهب عند أهل العلم بالمعرفة والانتقاد فوافقه في أكثر ما يذهب إليه أكابر العباد ولا يقدح في معتقده غير أهل الجهل والعناد فلابد أن نحكي عنه معتقده على وجهه بالأمانة ونجتنب أن نزيد فيه أو ننقص منه تركًا للخيانة لتعلم حقيقة حاله في صحة عقيدته في أصول الديانة فاسمع ما ذكره في كتابه الذي سماه بالإبانة فإنه قال الحمد لله الأوحد الواحد العزيز الماجد المتفرد بالتوحيد المتمجد بالتمجيد الذي لا تبلغه صفات العبيد وليس له مثل ولا نديد وهو المبدئ المعيد جل عن اتخاذ الصاحبة والأبناء وتقدس

عن ملامسة النساء فليس له عزة تنال ولا حد تضرب فيه الأمثال لم يزل بصفاته أولاً قديرًا ولا يزال عالمًا خبيرًا سبق الأشياء علمه ونفذت فيها إرادته فلم تعزب عنه خفيات الأمور ولم يغيره سوالف وصرف الدهور ولم يلحقه في خلق شيء مما خلق كلال ولا تعب ولا مسه لغوب ولا نصب خلق الأشياء لقدرته ودبرها بمشيئته وقهرها بجبروته وذللها بعزته فذل لعظمته المتكبرون واستكان لعظم ربوبيته المتعظمون وانقطع دون الرسوخ في علمه الممترون وذلت له الرقاب وحارت في ملكوته فطر ذوي الألباب وقامت بكلمته السموات السبع واستقرت الأرض المهاد وثبتت الجبال الرواسي وجرت الرياح اللواقح وسار في جو السماء السحاب وقامت على حدودها البحار وهو إله قاهر يخضع له المتعززون ويخشع له المترفعون ويدين طوعًا وكرهًا له العالمون نحمده كما حمد نفسه وكما هو عند ربنا له أهل ونستعينه استعانة من فوض إليه أمره وأقر أنه لا ملجأ ولا منجي منه إلا إليه ونستغفره استغفار مقر بذنبه معترف بخطيئته ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقرارًا بوحدانيته وإخلاصًا لربوبيته وأنه العالم بما تبطنه الضمائر وتنطوي عليه السرائر وما تخفيه النفوس وما تجري به البحار وما تواري الأسرار وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار وساق خطبته الطويلة بين فيها مخالفة المعتزلة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الصحابة إلى أن قال فيها ودفعوا أن يكون لله وجه مع قوله: ﴿ **وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ** ﴾، وأنكروا أن يكون لله يدان مع قوله تعالى: ﴿ **لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾ وأنكروا أن يكون لله عينان مع قوله: ﴿ **تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا** ﴾ وكقوله: ﴿ **وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي** ﴾ نفوا ما روي عنه النبي ﷺ من قوله أن الله ينزل إلى السماء الدنيا إلخ وأنا ذاكر ذلك إن شاء الله تعالى بابًا بابا وبه المعونة والتأييد ومنه التوفيق والتسديد فإن قال قائل قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذي تقولون وديانتكم التي بها تدينون قيل له قولنا الذي به نقول وديانتنا التي بها ندين التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون وبما كان عليه أحمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون ولمن خالف قوله مخالفون لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال وأوضح به المنهاج وقمع به بدع

المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين فرحمة الله عليه من إمام مقدم وكبير معظم وعلى جميع أئمة المسلمين.

وجملة كقولنا أن نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا نرد من ذلك شيئًا وأن الله سبحانه وتعالى إله واحد أحد فرد صمد لا إله غيره لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وأن محمدًا عبده ورسوله وأن الجنة حق والنار حق والساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور. وأن الله تعالى مستو على عرشه كما قال تعالى: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ وأن له وجهًا كما قال تعالى: ﴿ **وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ** ﴾ وأن له يدين كما قال تعالى: ﴿ **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** ﴾ وكما قال تعالى: ﴿ **لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾ وأن له عينين بلا كيف كما قال تعالى: ﴿ **تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا** ﴾ وأن من زعم أن اسم الله غيره كان ضالاً وأن لله علمًا كما قال تعالى: ﴿ **أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ** ﴾ وكما قال تعالى: ﴿ **وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ** ﴾ ونثبت لله قوة كما قال تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً** ﴾ ونثبت لله السمع والبصر ولا ننفي ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية ونقول أن القرآن كلام الله غير مخلوق وأنه لم يخلق شيئًا إلا وقد قال له كن فيكون وأنه لا يكون في الأرض شيء من خير وشر إلا ما شاء الله وأن الأشياء تكون بمشيئة الله سبحانه وأن أحدًا لا يستطيع أن يفعل شيئًا قبل أن يفعله وأن لا يستغني عن الله ولا نقدر عن الخروج من علم الله وأنه لا خالق إلا الله وأن أعمال العباد مخلوقة لله مقدورة له كما قال تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئًا وهم يخلقون كما قال تعالى: ﴿ **هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ** ﴾ وكما قال تعالى: ﴿ **لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ** ﴾ وكما قال تعالى: ﴿ **أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ** ﴾ وكما قال تعالى: ﴿ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ** ﴾ وهذا في كتاب الله كثير وأن الله وفق المؤمنين لطاعته ولطف بهم ونظر لهم وأصلحهم وهداهم وأضل الكافرين ولم يلطف بهم ولم يهدهم بالإيمان كما زعم أهل الزيغ والطغيان ولو لطف بهم وأصلح كانوا صالحين ولو هداهم كانوا مهتدين كما قال تعالى: ﴿ **مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ وأن الله يقدر أن يصلح الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين

ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم وأنه خذلهم وطبع على قلوبهم وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره وأنا نؤمن بقضاء الله وقدره وخيره وشره وحلوه ومره ونعلم أنما أصابنا لم يكن ليخطئنا وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا وأنا لا نملك لأنفسنا نفعًا ولا ضرًا إلا ما شاء الله وإنا لنلجيء أمورنا إلى الله ونثبت الحاجة والفقر في كل وقت إليه ونقول أن القرآن كلام الله غير مخلوق وأن من قال بخلق القرآن كان كافرًا وندين أن الله يرى بالأبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر ويراه المؤمنون كما جاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ ونقول أن الكافرين إذا رآه المؤمنون محجوبون كما قال تعالى: ﴿ **كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ** ﴾ وأن موسى عليه السلام سأل الله عز وجل الرؤية في الدنيا وأن الله تجلى للجبل فجعله دكا وخر موسى صعقا وأعلم بذلك موسى أنه لا يراه في الدنيا ونرى أن لا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب يرتكبه كالزنا والسرقة وشرب الخمر كما دانت بذلك الخوارج وزعموا أنهم بذلك كافرون ونقول أن من عمل كبيرة من الكبائر وما أشبهها مستحلاً لها كان كافرًا إذا كان غير معتقد لتحريمها ونقول أن الإسلام أوسع من الإيمان وليس كل إسلام إيمانًا وتدين بأن الله تعالى يقلب القلوب وأن القلوب بين الإصبعين من أصابعه وأنه يضع السموات على إصبع والأرضين على إصبع كما جاءت الرواية عن رسول الله ﷺ وندين بأن لا ننزل أحد من الموحدين المتمسكين بالإيمان جنة ولا نارًا إلا من شهد له رسول الله ﷺ بالجنة ونرجوا الجنة للمذنبين ونخاف عليهم أن يكونوا من أهل النار معذبين ونقول أن الله يخرج من النار قومًا بعد ما امتحشوا بشفاعة محمد ﷺ ونؤمن بعذاب القبر ونقول إن الحوض والميزان حق والصراط حق والبعث بعد الموت حق وأن الله يوقف العباد بالموقف ويحاسب المؤمنين وأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ونسلم للروايات الصحيحة في ذلك عن رسول الله ﷺ التي رواها الثقات عدلاً عن عدل حتى انتهى الرواية إلى رسول الله ﷺ وندين بحب السلف الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ونثني عليهم بما أثنى الله عليهم ونتولاهم ونقول أن الإمام بعد رسول الله أبو بكر وأن الله أعز به الدين وأظهره على المرتدين وقدمه المسلمون للإمامة كما قدمه رسول الله ﷺ للصلاة ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان نضر الله وجهه قتلوه ظلمًا وعدوانًا

ثم على بن أبي طالب فهؤلاء الأئمة بعد رسول الله ﷺ خلافتهم خلافة النبوة ونشهد للعشرة بالجنة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ ونتولى سائر أصحاب رسول الله ﷺ ونكف عما شجر بينهم وندين الله أن الأئمة الأربعة راشدون مهديون فضلاء لا يوازنهم غيرهم في الفضل ونصدق جميع الروايات التي رواها أهل النقل من النزول إلى السماء الدنيا وأن الرب تعالى يقول هل من سائل هل من مستغفر. وسائر ما نقلوه وأثبتوه خلافًا لما قاله أهل الزيغ والتعطيل ونعول فيما اختلفنا فيه على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع المسلمين وما كان في معناه فلا نبتدع في دين الله بدعة لم يأذن الله بها ولا نقول على الله ما لا نعلم ونقول أن الله يجئ يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿ **وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا** ﴾ وأن الله يقرب من عباده كيف شاء كما قال تعالى: ﴿ **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ** ﴾ وكما قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى** ﴾ ومن ديننا أن نصلي الجمعة والأعياد خلف كل بر وفاجر وغيره. وكذلك بشروط الصلوات الخمس بالجماعات كما روي عن عبد الله بن عمر أنه كان يصلي خلف الحجاج. وأن المسح على الخفين في الحضر والسفر خلافًا لمن أنكر ذلك. ونرى الدعاء للأئمة المسلمين بالصلاح والإقرار بإمامتهم وتضليل من رأى الخروج عليهم إذا ظهر منهم ترك الاستقامة وندين بترك الخروج عليهم وترك القتال في الفتنة. ونقر بخروج الدجال كما جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ. ونؤمن بعذاب القبر ومنكر ونكير ومساءلتهما للمدفونين في قبورهم. ونصدق بحديث المعراج ونصحح كثيرًا من الروايات في المنام وأن لذلك تأثيرًا. ونرى الصدقة عن موتى المسلمين المؤمنين والدعاء لهم. ونؤمن أن الله ينفعهم بذلك ونصدق بأن في الدنيا سحرة وأن السحر كائن موجود في الدنيا. وندين بالصلاة على من مات من أهل القبلة مؤمنهم وفاجرهم وتوارثهم. ونقر أن الجنة والنار مخلوقتان وأن من مات أو قتل فبأجله مات أو قتل وأن الأرزاق من قبل الله عز وجل يرزقها الله عباده حلالا وحراما وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويشككه ويخبطه خلافًا لقول المعتزلة والجهمية كما قال الله عز وجل: ﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ** ﴾ وكما قال تعالى: ﴿ **مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ، الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ** ﴾ ونقول أن الصالحين يجوز أن يخصهم الله

بآيات يظهرها عليهم. وقولنا في أطفال المشركين أن الله يؤجج نارًا في الآخرة ثم يقول لهم اقتحموها كما جاءت الرواية بذلك. وندين بأن الله تعالى يعلم ما العباد عاملوه وإلى ما هم صائرون وما يكون وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون وبطاعة الأئمة ونصيحة المسلمين. ونرى مفارقة كل داعية لبدعة ومجانبة أهل الأهواء. وسنحتج لما ذكرناه من قولنا وما بقي منه وما لم نذكره بابًا بابا قلت ثم ذكر الأبواب إلى أن قال باب الاستواء وإن قال قائل ما تقولون في الاستواء قيل له أن الله مستو على عرشه كما قال تعالى: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ** ﴾. وقال تعالى: ﴿ **بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ** ﴾ وقال تعالى حكاية عن فرعون: ﴿ **يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ، أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا** ﴾ كذب موسى في قوله أن الله فوق السموات وقال الله عز وجل: ﴿ **أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ** ﴾ فالسموات فوقها العرش فلما كان العرش فوق السموات وكان كلما علا فهو سماء وليس إذا قال أأمنتم من في السماء يعني جميع السموات وإنما أراد العرش الذي هو على السموات أنه ذكر السموات فقال وجعل القمر فيهن نورًا ولم يرد أنه يملأهن جميعًا ورأينا المسلمين جميعًا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء لأن الله تعالى مستو على العرش الذي هو فوق السموات فلولا أن الله تعالى على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش. ثم قال ومن دعاء أهل الإسلام إذا هم رغبوا إلى الله تعالى يقولون يا ساكن العرش ومن خلفهم يقولون لا والذي احتجب بسبع وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية أن معنى استوى استولى وملك وقهر وأن الله في كل مكان وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل الحق وذهبوا في الاستواء إلى القدرة فلو كان كما قالوا كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة لأن الله قادر على كل شيء والأرض فالله قادر عليها وعلى الحشوش فلو كان مستويًا على العرش بمعنى الاستيلاء لجاز أن يقال أن الله مستو على الأشياء كلها ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول أن الله مستو على الحشوش والأخلية فبطل أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء ثم بسط الأدلة على هذه المسألة من الكتاب والسنة والعقل ولولا خشية الإطالة لسقناها بألفاظها.

وقال الأشعري: في كتاب الأمالي باب القول في الأماكن زعمت المعطلة أن الله بكل مكان على معنى الصنع والتدبير. واختلف أصحاب ةالصفات في ذلك فقال أبو محمد عبد الله بن كلاب أن الله لم يزل لا في مكان وهو اليوم لا في مكان. وقال آخرون منهم أنه مستو على عرشه بمعنى أنه عال عليه كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ فامتدح نفسه بأنه على العرش استوى بمعنى أنه علا عليه وعلمنا أنه لم يزل عاليًا رفيعًا قبل خلق الأشياء وقبل خلق العرش الذي هو عال عليه سبحانه وبحمده ذكر كلامه في كتابه الكبير في إثبات الصفات وقد ذكر ترجمة هذا الكتاب في كتابه الذي سماه العمدة في الرؤية فقال وألفنا كتابًا كبيرًا في الصفات تكلمنا على أصناف المعتزلة والجهمية المخالفين لنا في نفيهم علم الله تعالى وقدرته وسائر صفاته وعلى أبي الهذيل ومعمر النظام وفي فنون كثيرة من فنون الصفات في إثبات الوجه واليدين وفي إثبات استواء الرب سبحانه على العرش ثم ساق مضمونه اهـ.

قول القاضي أبي بكر الطيب الباقلاني الأشعري قال في كتاب التمهيد في أصول الدين وهو من أشهر كتبه فإن قال قائل فهل تقولون أن الله في كل مكان قيل معاذ الله بل هو مستو على العرش كما أخبر في كتابه فقال عز وجل: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ وقال تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ وقال: ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ ﴾ ولو كان في كل مكان لكان في جوف الإنسان وفي فمه وفي الحشوش وفي المواضع التي يرغب عن ذكرها تعالى عن ذلك ولو كان في كل مكان لوجب أن يزيد بزيادة الأمكنة إذا خلق منها ما لم يكن خلقه. وينقص بنقصانها إذا بطل منها ما كان واضحًا وأن يرغب إليه نحو الأرض وإلى وراء ظهورنا وعن أيماننا وعن شمائلنا وهذا قد أجمع المسلمون على خلافه وتخطئة قائله ثم قال في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ ﴾ المراد أنه إله عند أهل السماء وإله عند أهل الأرض كما تقول العرب فلان نبيل مطاع في المصرين أي عند أهلهما وليس يعنون أن ذات المذكور بالحجاز والعراق موجودة. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ يعني بالحفظ والنصر والتأييد ولم يرد أن ذاته معهم تعالى وقوله تعالى: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ محمول على

هذا التأويل وقوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ يعني أنه عالم بهم وبما خفي من سرهم ونجواهم وهذا إنما يستعمل كما ورد به القرآن فلذلك لا يجوز أن يقاس على هذا أن الله بمدينة السلام ودمشق، وأنه مع الثور والحمار وأنه مع الفساق ومع المتوجهين إلى حلوان قياسًا على قوله أن الله مع الذين اتقوا فوجب أن يكون التأويل على ما وصفناه ولا يجوز أن يكون معنى استوائه على العرش هو استيلاؤه كما قال الشاعر: قد استوى بشر على العراق لأن الاستيلاء القدرة والله تعالى لم يزل قادرًا قاهرًا مقتدرًا وقوله ثم استوى يقتضي استفتاح هذا الوصف بعد أن لم يكن قبل ما قالوه.

ثم قال باب فإن قال قائل ففصلوا لي صفات ذاته من صفات أفعاله لأعرف ذلك قيل له صفات ذاته هي التي لم يزل ولا يزال موصوفًا بها وهي الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة والبقاء والوجه واليدان والعينان والغضب والرضى وصفات أفعاله هي الخلق والرزق والعدل والإحسان والفضل والإنعام والثواب والعقاب والحشر والنشر وكل صفة لم تكن قبل فعله لها موجودة ثم ساق الكلام في الصفات اهـ.

قول الحسين بن أحمد الأشعري المتكلم من متكلمي أهل الحديث صاحب جامع الكبير والصغير في أصول الدين: قال في جامعه الصغير فإن قيل ما الدليل على أن الله على العرش بذاته قلنا قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ ﴾ فإن قالوا فإن العرب يقولون استوى فلان على بلد كذا وكذا استولى عليه وقهر هنا، قلنا لأصحابنا عن هذا أجوبة أحدها لو كان استوى بمعنى استولى لم يكن لتخصيصه العرش بالاستواء معنى لأنه مستول على كل شيء غيره فكان يجوز أن يقال الرحمن على الجبل استوى وهذا باطل.

« الثاني »: أن العرب لا تدخل ثم إلا لمستقبل سيكون والله تعالى لم يزل قاهرًا قادرًا مستوليًا على الأشياء فلم يكن بزعمهم لقوله ثم استوى على العرش معنى. الثالث: أن الاستواء بمعنى الاستيلاء لا يكون عند العرب إلا بعد أن يكون ثم مغالب يغالبه فإذا غلبه وقهره قيل قد استولى عليه فلما لم يكن مع الله مغالب لم يكن معنى استوائه على العرش استيلاء وغلبة وصح أن استواءه عليه هو علوه وارتفاعه عليه بلا حد ولا كيف ولا تشبيه ثم ذكر الخليل بن أحمد وابن الأعرابي أن الاستواء في اللغة هو العلو والرفعة لأنهم يقولون

استوت الشمس إذا تعالت واستوى الرجل على ظهر دابته إذا علا عليها وقوله تعالى: ﴿ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ﴾ أي ارتفعت عليه وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ﴾ ارتفع عن حال النقصان إلى حال الكمال وقولهم استوى أمر فلان أي ارتفع وعلا عن الحال التي كان عليها من الضعف وسوء الحال وساق الكلام اهـ.

ذكر قول الإمام فخر الدين الرازي في آخر كتابه وهو كتاب « أقسام اللذات » الذي صنفه في آخر عمره وهو كتاب مفيد ذكر فيه أقسام اللذات وبين أنها ثلاثة أقسام كالأكل والشرب والنكاح واللباس واللذة الحالية الوهمية كلذة الرئاسة والأمر والنهي والترفع ونحوها واللذة العقلية كلذة العلوم والمعارف وتكلم على كل واحد من هذه الأقسام إلى أن قال. وأما اللذة العقلية فلا سبيل إلى الوصول إليها والتعلق بها فلهذا السبب نقول يا ليتنا بقينا على العدم الأول وليتنا ما شهدنا هذا العالم وليت النفس لم تتعلق بهذا البدن وفي هذا المعنى قلت:

نهاية أقدام العقول عقال ... وأكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وكم قد رأينا من رجال ودولة ... فبادوا جميعًا مسرعين وزالوا

وكم من جبال قد علت شرفاتها ... رجال فزالوا والجبال جبال

واعلم أن بعد التوغل في المضائق والتعمق في الاستكشاف عن أسرار هذه الحقائق رأيت الأصوب الأصح في هذا الباب طريقة القرآن العظيم والفرقان الكريم وهو ترك التعمق والاستدلال بأقسام أجسام السموات والأرضين على وجود رب العالمين ثم المبالغة في التعظيم من غير خوض في التفاصيل فأقرأ في التنزيل قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء ﴾ وقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وأقرأ في الإثبات قوله: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ وقوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ وعلى هذا القانون فقس وختم الكتاب اهـ.

قول متكلم السنة إمام الصوفية في وقته أبي العباس أحمد بن محمد المظفري المختار الرازي صاحب كتاب فرع الصفات في تقريع نفات الصفات وهو على صغر حجمه كتاب جليل غزير العلم قال فيه بعد حكاية مذاهب الناس وقالت الحنابلة وأصحاب الظواهر والسلف من أهل الحديث أن الله على العرش ثم قال أما حجة المثبتين فمن حيث الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والمعقول ثم ذكر حجج القرآن والسنة ثم حكي كلام الصحابة إلى أن قال ثم إن الصحابة اختلفوا في النبي ﷺ هل رأى ربه ليلة المعراج أم لا ؟ واختلافهم في الرؤية في تلك الليلة اتفاق منهم على أن الله على العرش لأن المخالفين لا يفرقون بين الأرض والسماء بالنسبة إلى ذاته وهم فرقوا حيث اختلفوا في إحداهما دون الأخرى.

قلت مراده أنهم إنما اختلفوا في رؤيته لربه ليلة أسري به فجاوز السبع الطباق ولولا أنه على العرش لكان لا فرق في الرؤية نفيًا ولا إثباتًا بين تلك الليلة وغيرها ثم قال وأما المعقول فمن وجوه خمسة أحدها إطباق الناس كافة وإجماع الخلق عامة من الماضين والغابرين والمؤمنين والكافرين على رفع الأيدي إلى السماء عند السؤال والدعاء بخلاف السجود فإنه تواضع متعارف بخلاف التوجه إلى الكعبة فإنه تعبد غير معقول أما رفع الأيدي بالسؤال نحو المسؤول فأمر معقول متعارف قال ومن نظر في قصص الأنبياء وأخبار الأوائل القدماء وأبناء الأمم الماضية والقرون الخالية اتضحت له هذه المعاني واستحكمت له هذه المباني ثم أقر العلو وساق شبه النفاة ونقضها نقض من يقلع غروسها كل القلع رحمه الله تعالى اهـ.

قول ابن رشد الحفيد في علو الله تعالى:

قال ابن القيم في الجيوش الإسلامية ص١٣٠ ما نصه:

قال في كتابه منهاج الأدلة القول في الجهمية وأما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة في أول الأمر يثبتونها لله سبحانه حتى نفتها المعتزلة ثم تبعهم على نفيها متأخروا الأشعرية كأبي المعالي ومن اقتدى بقوله فظواهر الشرع كلها تقتضي إثباتها لله تعالى مثل قوله سبحانه: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾

وقوله تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات التي إن سلط التأويل عليها عاد الشرع كله متأولاً وإن قيل فيها إنها من المتشابهات عاد الشرع كله متشابهًا لأن الشرائع كلها مبنية على أن الله في السماء وأن منها تنزيل الملائكة بالوحي إلى النبيين وأن من السماء نزلت الكتب وإليها كان الإسراء بالنبي ﷺ حتى قرب من سدرة المنتهى.

قال وجميع الحكماء قد اتفقوا على أن الله والملائكة في السماء كما اتفقت جميع الشرائع على ذلك والشبهة التي قادت نفاة الجهة إلى نفيها هي أنهم اعتقدوا أن إثبات الجهة يوجب إثبات المكان وإثبات المكان يوجب إثبات الجسمية.

قال ونحن نقول أن هذا كله غير لازم فالجهة غير المكان.

قال محمد تقي الدين: ثم شرح ابن رشد ذلك بكلام طويل لا يفهمه عامة القراء ثم قال فهذا كله يظهر للعلماء الراسخين في العلم.

قال فقد ظهر لك من هذا أن إثبات الجهة واجب بالشرع والعقل وأنه الذي جاء به الشرع وأثنى عليه فإن إبطال هذه القاعدة إبطال للشرائع ثم ساق تقرير ذلك إلى آخره فهذا كلام فيلسوف الإسلام الذي هو أخبر بمقالات الفلاسفة والحكماء وأكثر اطلاعًا عليها من ابن سينا ونقلاً لمذاهب الحكماء وكان لا يرضى بنقل ابن سينا ويخالفه نقلا وبحثًا.

فصل

قال محمد تقي الدين: قد أطلت في هذا الباب لأنه أهم أبواب آيات الصفات فإن كل من اعتقد علو الله تعالى واستواءه على عرشه وبينونته من خلقه لا يرد شيئًا من الصفات ومن سوء الحظ أن نفي هذه الصفة الكريمة قد شاع في بلاد المسلمين منذ أزمنة متطاولة فعامتهم يقولون الله في كل مكان بذاته وخاصتهم تقول لا داخل العالم ولا خارجه ولا في أي جهة من الجهات الست لأن المعتزلة والخوارج والمتأخرين من الأشعرية نجحوا في تضليل الناس وإبعادهم عن الإيمان بعلو الله تعالى وكونه فوق خلقه. فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

سورة التوبة

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [الآية: ٦].

قال (ك): يقول تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه: ﴿ **وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ** ﴾ من الذين أمرتك بقتالهم وأحللت له استباحة نفوسهم وأموالهم ﴿ **اسْتَجَارَكَ** ﴾ أي استأمنك فأجبه إلى طلبه حتى يسمع كلام الله أي القرآن تقرأه عليه وتذكر له شيئًا من أمر الدين تقيم به عليه حجة الله ﴿ **ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ** ﴾ أي وهو آمن مستمر الأمان حتى يرجع إلى بلاده وداره ومأمنه ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ** ﴾ أي إنما شرعنا أمان مثل هؤلاء ليعلموا دين الله وتنتشر دعوة الله في عباده.

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في تفسير هذه الآية قال إنسان يأتيك ليسمع ما تقول وما أنزل عليك فهو آمن حتى يأتيك فتسمعه كلام الله وحتى يبلغ مأمنه حيث جاء.

ولهذا كان رسول الله ﷺ يعطي الأمان من جاءه مسترشدًا أو في رسالة، كما جاء يوم الحديبية جماعة من الرسل من قريش منهم عروة بن مسعود ومكرز بن حفص وسهيل بن عمرو وغيرهم واحدًا بعد واحد يترددون في القضية بينه وبين المشركين فرأوا من أعظام المسلمين رسول الله ﷺ ما بهرهم وما لم يشاهده عند ملك ولا قيصر فرجعوا إلى قومهم وأخبروهم بذلك وكان ذلك وأمثاله من أكبر أسباب هداية أكثرهم ولهذا أيضًا لما قدم رسول مسيلمة الكذاب على رسول الله ﷺ قال: أتشهد أن مسيلمة رسول الله ؟ قال: نعم، فقال رسول الله ﷺ لولا أن الرسل لا تقتل لضربت عنقك، وقد قيض الله له ضرب العنق في إمارة بن مسعود على الكوفة، وكان يقال له ابن النواحة ظهر عنه في زمان بن مسعود أنه يشهد لمسيلمة بالرسالة فأرسل إليه ابن مسعود فقال له: إنك الآن لست في رسالة وأمر به فضربت عنقه لا رحمه الله ولعنه، والغرض أن من قدم من دار الحرب إلى دار الإسلام في أداء رسالة أو تجارة أو طلب صلح أو مهادنة أو حمل جزية أو نحو ذلك من الأسباب وطلب

من الإمام أو نائبه أمانًا أعطي أمانًا ما دام مترددًا في دار الإسلام، وحتى يرجع إلى مأمنه ووطنه ؛ لكن قال العلماء لا يجوز أن يمكن من الإقامة في دار الإسلام سنة ويجوز أن يمكن من إقامة أربعة أشهر، وفيما بين ذلك فيما زاد على أربعة أشهر ونقص عن سنة قولان عن الإمام الشافعي وغيره من العلماء رحمهم الله اهـ.

قال القاسمي في تفسيره:

استدل بهذه الآية من ذهب إلى أن كلام الله بحرف وصوت قديمين وهم الحنابلة ومن وافقهم قالوا: لأن منطوق الآية يدل على أن كلام الله يسمعه الكافر والمؤمن والزنديق والصديق، والذي يسمعه جمهور الخلق ليس إلا هذه الحروف والأصوات فدل ذلك على أن كلام الله ليس إلا هذه الحروف والأصوات، والقول بأن كلام الله شيء مغاير لها باطل، لأن رسول الله ﷺ ما كان يشير بقوله: « كلام الله » إلا لها، وقد اعترف الرازي بقوة هذا، لإلزام من خالف فيه، وقد مضى لنا في قوله تعالى: ﴿ **وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا** ﴾.

وقال في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿ **وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا** ﴾ أي في السور المكية: ﴿ **وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ** ﴾ أي لم نسمعهم لك في القرآن وقد احصى بعض المدققين أنبياء اليهود والنصارى ورسلهم فوجد عددهم لا يتجاوز الخمسين وروي في عدتهم أحاديث تكلم في أسانيدها، منها حديث أبي ذر: أن الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، والرسل ثلاثمائة، وثلاثة عشر، صححه ابن حبان، وخالفه ابن الجوزي فذكره في « موضوعاته » واتهم به إبراهيم ابن هشام، وقد تكلم فيه غير واحد: ﴿ **وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا** ﴾ يعني خاطبه مخاطبة من غير واسطة، لأن تأكيد (كلم) بالمصدر يدل على تحقيق الكلام، وأن موسى عليه السلام سمع كلام الله بلا شك، لأن أفعال المجاز لا تؤكد بالمصادر، فلا يقال: أراد الحائط [1]إرادة قال الفراء العرب تسمي كل ما يوصل إلى الإنسان كلامًا، بأي طريق وصل، لكن لا تحققه بالمصدر، وإذا حقق بالمصدر لم يكن إلا حقيقة الكلام، فدل قوله تعالى تكليمًا على أن موسى قد سمع كلام الله حقيقة من غير واسطة قال بعضهم: كما أن الله تعالى

(١) وهذا رد على من يقول: أن الله خلق كلامًا في محل فسمع موسى ذلك الكلام.

خص موسى عليه السلام بالتكليم وشرفه به ولم يكن ذلك قادحًا في نبوة غيره من الأنبياء، فكذلك إنزال التوراة عليه جملة واحدة لم يكن قادحًا في نبوة من أنزل عليه كتابه منجمًا من الأنبياء، كذا في « اللباب ».

تنبيه: يحسن في هذا المقام إيراد عقيدة السلف الكرام في مسألة الكلام فإنها من أعظم مسائل الدين، وقد تحيرت فيها آراء أهل الأهواء من المتقدمين والمتأخرين، واضطربت فيها الأقوال، وكثرت بسببها الأهواء، وأثارت فتنًا وجلبت محنًا، وكم سجنت إمامًا وبكت أقوامًا وتشعبت فيها المذاهب، واختلفت فيها المشارب، ولم يثبت إلا قول أهل السنة والجماعة، المقتفون لأثر الرسول ﷺ وصحابته الكرام، فنقول قال شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية عليه رحمة الرحيم السلام في كتابه إلى جماعة العارف عدي بن مسافر ما نصه:

فصل

ومن ذلك الاقتصاد في السنة واتباعها كما جاءت بلا زيادة ولا نقصان، مثل الكلام في القرآن وسائر الصفات. فإن مذهب سلف الأمة وأهل السنة: أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، هكذا قال غير واحد من السلف روي عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار وكان من التابعين الأعيان قال: ما زلت أسمع الناس يقولون ذلك، القرآن الذي أنزله الله على رسوله هو هذا القرآن الذي يقرؤه المسلمون ويكتبونه في مصاحفهم وهو كلام الله لا كلام غيره. وإن تلاه العباد وبلغوه بحركاتهم وأصواتهم فإن الكلام لمن قاله مبتدئًا، لا لمن قاله مبلغًا مؤديًا، قال الله تعالى: ﴿ **وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ** ﴾ وهو القرآن في المصاحف، كما قال تعالى: ﴿ **بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ، فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ** ﴾. وقال تعالى: ﴿ **يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً، فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ** ﴾، وقال: ﴿ **إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ، فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ** ﴾، والقرآن كلام الله بحروفه ونظمه ومعانيه، كل ذلك يدخل في القرآن وفي كلام الله، وإعراب الحروف هو من تمام الحروف، كما قال النبي ﷺ من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات، وقال أبو بكر وعمر حفظ إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه.

ثم قال رحمه الله: والتصديق بما ثبت عن النبي ﷺ أن الله يتكلم بصوت وينادي آدم عليه السلام بصوت، إلى أمثال ذلك من الحديث، فهذه الجملة كان عليها سلف الأمة وأئمة السنة وقال أئمة السنة: القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق، حيث تلى، وحيث كتب فلا يقال لتلاوة العبد القرآن أنها مخلقة، لأن ذلك يدخل فيه القرآن المنزل، ولا يقال غير مخلوقة لأن ذلك يدخل فيه أفعال العباد ولم يقل قط أحد من أئمة السلف: أن أصوات العباد بالقرآن قديمة، وبه أنكروا على من قال: « لفظ العبد بالقرآن غير مخلوق » وأما من قال: إن المداد قديم - فهذا من أجهل الناس وأبعدهم عن السنة. قال الله تعالى: ﴿ **قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا** ﴾، فأخبر أن المداد يكتب به كلماته، وكذلك من قال: « ليس القرآن في المصحف، وإنما في المصحف مداد وورق وحكاية وعبارة » فهو مبتدع ضلال، بل القرآن الذي أنزله الله على محمد ﷺ هو ما بين الدفتين، والكلام في المصحف على الوجه الذي يعرفه الناس، له خاصة يمتاز بها عن سائر الأشياء، وكذلك من زاد على السنة فقال إن ألفاظ العباد وأصواتهم قديمة، فهو مبتدع وضال، كمن قال: إن الله لا يتكلم بحرف ولا صوت فإنه أيضًا مبتدع منكر للسنة، وكذلك من زاد وقال: إن المداد قديم — فهو ضال، كمن قال: ليس في المصاحف كلام الله، وأما من زاد على ذلك من الجهال الذين يقولون: إن الورق والجلد والوتد وقطعة من الحائط، كلام الله - فهو بمنزلة من يقول، ما تكلم الله بالقرآن ولا هو كلامه، هذا الغلو من جانب الإثبات يقابل التكذيب من جانب النفي، وكلاهما خارج من السنة والجماعة، وكذلك إفراد الكلام في النقطة والشكل بدعة، نفيًا وإثباتًا، وإنما حدثت هذه البدعة من مائة سنة أو أكثر بقليل، فإن من قال أن المداد الذي تنقط به الحروف وتشكل به، قديم — فهو ضال جاهل. ومن قال: إن إعراب حروف القرآن ليس من القرآن فهو ضال مبتدع، بل الواجب أن يقال، هذا القرآن العربي هو كلام الله وقد دخل في ذلك حروفه وإعرابه، كما دخلت معانيه ويقال وما بين اللوحين جميعه كلام الله، فإن كان المصحف منقوطًا مشكولاً أطلق على ما بين اللوحين جميعه أنه كلام الله، وإن كان غير منقوط ولا مشكول، كالمصاحف القديمة التي كتبها الصحابة، كان أيضًا ما بين اللوحين هو كلام الله فلا يجوز أن تلقي الفتنة بين المسلمين

بأمر محدث ونزاع لفظي لا حقيقة له، ولا يجوز أن يحدث في الدين ما ليس منه.

وسئل رحمه الله تعالى عن رجلين تباحثا فقال أحدهما: القرآن حروف وصوت، وقال الآخر: ليس ذلك من القرآن. فما الصواب في ذلك ؟ فأجاب:

الحمد لله رب العالمين، هذه المسألة يتنازع فيها كثير من الناس، ويخلطون الحق بالباطل، فالذي قال: إن القرآن حرف وصوت، أي اراد بذلك أن هذا القرآن الذي يقرؤه المسلمون هو كلام الله، الذي نزل به الروح الأمين على محمد خاتم النبيين والمرسلين، وأن جبرائيل سمعه من الله، والنبي ﷺ سمعه من جبرائيل والمسلمون سمعوه من النبي ﷺ كما قال تعالى: ﴿ **قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ** ﴾ وقال: ﴿ **وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ** ﴾ فقد أصاب في ذلك ؟

فإن هذا مذهب سلف الأمة وأئمتها، والدلائل على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة والإجماع، ومن قال: إن القرآن العربي لم يتكلم الله به وإنما هو كلام جبرائيل أو غيره، عبر به عن المعنى القائم بذات الله كما يقول ذلك بن كلاب والأشعري ومن وافقهما — فهو قول باطل من وجوه كثيرة، فإن هؤلاء يقولون إنه معنى واحد قائم بالذات، وإن معنى التوراة والإنجيل والقرآن واحد، وأنه لا يتعدد ولا يتبعض، وأنه إن عبر عنه بالعربية كان قرآنًا، وبالعبرانية كان توراة وبالسريانية كان إنجيلاً، فيجعلون معنى آية الكرسي وآية الدين، وقل هو الله أحد، وتبت يدا أبي لهب، والتوراة والإنجيل وغيرهما — معنى واحدًا، وهذا قول فاسد بالعقل والشرع، وهو قول أحدثه بن كلاب، لم يسبقه إليه غيره من السلف، وأن أراد قائل بالحرف والصوت، أن الأصوات المسموعة من القرآن، والمداد الذي في المصاحف قديم أزلي — أخطأ وابتدع، وقال ما يخالف العقل والشرع فإن النبي ﷺ قال: « زينوا القرآن بأصواتكم ».

فبين أن الصوت صوت القارئ والكلام كلام الباري، كما قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ** ﴾ فالقرآن الذي يقرؤه المسلمون كلام الله لا كلام غيره، كما ذكر الله ذلك. وفي السنن عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ كان يعرض نفسه على الناس في الموقف فقال: ألا رجل يحملني إلى قومه ؟

فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي.

قالوا لأبي بكر الصديق لما قرأ عليهم: ﴿ الم، غُلِبَتِ الرُّومُ ﴾ هذا كلامك أم كلام صاحبك ؟ فقال: ليس بكلامي ولا كلام صاحبي، ولكنه كلام الله تعالى.

والناس إذا بلغوا كلام النبي ﷺ كقوله إنما الأعمال بالنيات – يعلمون أن الحديث الذي يسمعونه حديث النبي ﷺ تكلم به بصوته وبحروفه ومعانيه، والمحدث بلغه عنه بصوت نفسه لا بصوت النبي ﷺ فالقرآن أولى أن يكون كلام الله، إذا بلغته الرسل عنه، وقرأه الناس بأصواتهم، والله تكلم بالقرآن بحروفه ومعانيه بصوت نفسه، ونادى موسى بصوت نفسه، كما ثبت بالكتاب والسنة وإجماع السلف، وصوت العبد ليس هو صوت الرب، ولا مثل صوته، فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، وقد نص أئمة الإسلام أحمد ومن قبله من الأئمة على ما نطق به الكتاب والسنة: من أن الله ينادي بصوت، وأن القرآن كلامه تكلم بحرف وصوت، ليس منه شيء كلامًا لغيره لا جبرائيل ولا غيره، وأن العباد يقولونه بأصوات أنفسهم وأفعالهم، فالصوت المسموع من العبد صوت القارئ. والكلام كلام الباري، وكثير الخائضين في هذه المسألة لا يميز بين صوت العبد وصوت الرب، بل يجعل هذا هو هذا، فينفيهما جميعًا، ويثبتهما جميعًا، فإذا نفي الحرف والصوت نفي أن يكون القرآن العربي كلام الله، وأن يكون مناديًا لعباده بصوته، وأن يكون القرآن الذي يقرؤه المسلمون كلام الله، كما نفي أن يكون صوت العبد صفة الله، ثم جعل كلام الله المتنوع شيئًا واحدًا، لا فرق بين القديم والحادث وهذا مصيب في هذا الفرق دون ذلك الثاني الذي فيه نوع من الإلحاد والتعطيل حيث جعل كلام الله المتنوع شيئًا واحدًا لا حقيقة له عند التحقيق وإذا أثبت جعل صوت الرب هو صوت العبد أو سكت عن التمييز بينهما مع قوله: أن الحروف متعاقبة في الوجود مقترنة في الذات، قديمة أزلية الأعيان، فجعل عين صفة الرب تحل في العبد، ويتحد بصفته، فقال في نوع من الحلول والاتحاد يفضي إلى نوع من التعطيل وقد علم أن نفي الفرق والمباينة، بين الخالق وصفاته والمخلوق وصفاته خطأ وضلال لم يذهب إليه أحد من سلف الأمة وأئمتها، بل هم متفقون على التمييز بين صوت الرب وصوت العبد، ومتفقون أن الله تكلم بالقرآن الذي أنزله

على نبيه محمد ﷺ حروفه ومعانيه، وأنه ينادي عباده بصوته، ومتفقون على أن الأصوات المسموعة من القراء أصوات العباد، وعلى أن مداد المصاحف ليس قديمًا، بل القرآن مكتوب في مصاحف المسلمين، مقروء بألسنتهم، محفوظ بقلوبهم، وهو كلام الله. والصحابة كتبوا المصاحف لما كتبوها بغير شكل ولا نقط، لأنهم كانوا عربًا لا يلحنون، ثم لما حدث اللحن نقط الناس المصاحف وشكلوها، فإن كتبت بلا شكل ولا نقط جاز، وإن كتبت بنقط وشكل جاز، ولم يكره، في أظهر قولي العلماء وهو إحدى الروايتين عن أحمد، وحكم النقط والشكل حكم الحروف فإن الشكل يبين إعراب القرآن، كما يبين النقط الحروف، والمداد الذي يكتب به الحروف ويكتب به الشكل والنقط مخلوق وكلام الله العربي الذي أنزله وكتب في المصاحف بالشكل والنقط، وبغير شكل ونقط، ليس بمخلوق، وحكم الإعراب حكم الحروف لكن الإعراب لا يستقل بنفسه، بل هو تابع للحروف المنقوطة والشكل والنقط لا يستقل بنفسه، بل هو تابع للحروف المرسومة فلهذا لا يحتاج لتجريدهما وإفرادهما بالكلام، بل القرآن الذي يقرؤه المسلمون هو كلام الله، معانيه وحروفه وإعرابه، والله تكلم بالقرآن العربي الذي أنزله على محمد ﷺ والناس يقرؤونه بأفواههم واصواتهم، والمكتوب في مصاحف المسلمين هو كلام الله وهو القرآن العربي الذي أنزله على نبيه، سواء كتب بشكل ونقط، أو بغير شكل ونقط، والمداد الذي كتب به القرآن ليس بقديم بل هو مخلوق، والقرآن الذي كتب في المصحف بالمداد هو كلام الله منزل، غير مخلوق، والمصاحف يجب احترامها باتفاق المسلمين، لأن كلام الله مكتوب فيها، واحترام النقط والشكل، إذا كتب في المصاحف مشكلاً منقوطًا، كاحترام الحروف باتفاق علماء المسلمين، كما أن حرمة إعراب القرآن كحرمة حروفه المنقوطة باتفاق المسلمين، ولهذا قال أبو بكر وعمر: حفظ إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه والله تكلم بالقرآن بحروفه ومعانيه فجميعه كلام الله، فلا يقال: بعضه كلام الله وبعضه ليس بكلام الله وهو سبحانه نادى موسى بصوت سمعه موسى، فإنه أخبر أنه نادى موسى في غير موضع من القرآن، كما قال تعالى: ﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى، إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى** ﴾، والنداء لا يكون إلا صوتًا باتفاق أهل اللغة، وقد قال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ**

وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا، وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾.

فقد فرق الله بين إيحائه إلى النبيين وبين تكليمه لموسى فمن قال إن موسى لم يسمع صوتًا، بل ألهم معناه – لم يفرق بين موسى وغيره اهـ المقصود نقله منه.

قال الإمام عبد العزيز بن يحيى بن مسلم الكناني في كتاب الحيدة حين ناظر بشرًا المريسي ومن معه من المبتدعة القائلين بخلق القرآن وناديت بأعلى صوتي مخاطبًا لابني وكنت قد أقمته بحيالي عند الاسطوانه الأخرى وقلت يا بني ما تقول في القرآن ؟ فقال أي أبت كلام الله منزل غير مخلوق فلما سمع الناس مقالتي وكلامي لابني وجوابه لي هربوا على وجوههم خارجين من المسجد إلا اليسير من الناس خوفًا على أنفسهم وذلك أنهم سمعوا ما لم يكونوا يسمعونه من قبل وظهر لهم ما كانوا يكتمونه فلم يستتم من ابني الجواب حتى جاء أصحاب السلطان فاحتملوني وابني فأوقفونا بين يدي عمرو بن مسعدة وكان جاء ليصلي الجمعة فلما نظر إلى وجهي وكان قد سمع كلامي ومسألتي لابني وجواب ابني إياي فلم يحتج أن يسألني عن كلامي فقال لي أمجنون أنت ؟ قلت لا قال فموسوس أنت ؟ قلت لا قال فمعتوه أنت ؟ قلت لا والحمد لله وإني لصحيح العقل جيد الفهم ثابت المعرفة قال فمظلوم أنت ؟ قلت لا فقال لأصحابه مروا بهما سحبا إلى منزلي « قال عبد العزيز » فحملنا على أيدي الرجال حتى أخرجنا من المسجد الجامع ثم جعل الرجال يتعادون بنا سحبا شديدًا وايدينا في أيديهم يمنة ويسرة وسائر أصحابه قدامنا وخلفنا حتى صرنا إلى منزل عمرو بن مسعدة من الجانب الغربي على تلك الحالة الغليظة فأوقفنا على بابه حتى دخل فأمر بنا فأدخلنا عليه وهو جالس في صحن داره على كرسي من حديد فلما صرنا بين يديه أقبل على فقال من أين أنت ؟ قلت من أهل مكة قال ما حملك على ما صنعت بنفسك ؟ قلت طلبت القربة إلى الله عز وجل ورجاء الزلفة لديه، قال فهلا فعلت ذلك سرًا من غير نداء ولا إظهار المخالفة لأمير المؤمنين ؟ ولكن أردت الشهرة والرياء والسوء ولتأخذ أموال الناس. فقلت ما أردت إلا الوصول إلى أمير المؤمنين والمناظرة بين يديه لا غير ذلك

قال أو تفعل ذلك ؟ قلت نعم ولذلك قصدت وبلغت بنفسي ما ترى وتغريري بنفسي وسلوك البراري أنا وولدي رجاء تأدية حق الله فيما استودعني من العلم والفهم في كتابه وما أخذه على وعلى العلماء من البيان فقال أن كنت إنما جعلت هذا سببًا لغيره إذا وصلت إلى أمير المؤمنين فقد حل دمك لمخالفتك أمير المؤمنين فقلت له إن تكلمت في شيء غير هذا وجعلت هذا ذريعة إلى غيره فدمي حلال لأمير المؤمنين فوثب عمرو قائمًا على رجليه وقال أخرجوه بين يدي فأخرجت بين يديه وركب من الجانب الغربي وأنا وابني بين يديه يعدي بنا على وجوهنا وأيدينا في أيدي الرجال حتى صاروا إلى دار أمير المؤمنين من الجانب الشرقي فدخل ونحن في الدهليز قيامًا على أرجلنا فأطال عند أمير المؤمنين ثم خرج وقعد في حجرة له وأمر بي فأدخلت عليه فقال أخبرت أمير المؤمنين بخبرك وما فعلت وما سألت من الجمع بينك وبين مخاليفك للمناظرة بين يديه وقد أمر أطال الله بقاءه وأعلى أمره بإجابتك إلى ما سألت وجمع المناظرين على هذه المقالة إلى مجلسه أعلاه الله في يوم الاثنين الأدنى ويحضر معهم ليناظروا بين يديه ويكون هو الحاكم بينكم « قال عبد العزيز » فأكثرت حمد الله وشكره على ذلك وأظهرت الدعاء والشكر لأمير المؤمنين فقال عمرو أعطنا كفيلاً بنفسك حتى تحضر معهم يوم الاثنين وليس بنا حاجة إلى حبسك فقلت له أدام الله عزك أنا رجل غريب ولست أعرف في هذا البلد أحدًا ولا يعرفني من أهلها أحد فمن أين لي من يكفلني خاصة مع إظهاري مقالتي لو كان الخلق يعرفونني حق معرفتي لتبرؤوا مني وهربوا من قربي وأنكروني قال فنوكل بك من يكون معك حتى يحضرك في ذلك اليوم وتنصرف فتصلح من شأنك وتتفكر في أمرك لعلك أن ترجع عن غيك وتتوب من فعلك فيصفح أمير المؤمنين عنك فقلت ذلك إليك أعزك الله فافعل ما رأيت فوكل من يكون معي في منزلي وانصرف « قال عبد العزيز » فلما صليت الغداة في يوم الاثنين في المسجد الذي على باب بيتي إذا خليفة عمرو بن مسعدة قد جاءني ومعه جمع كثير من الفرسان والرجال فحملني مكرمًا على دابة حتى صار بي إلى دار أمير المؤمنين فأوقفني هناك حتى جاء عمرو بن مسعدة فجلس في حجرته التي كان يجلس فيها ثم أذن لي بالدخول فدخلت فلما صرت بين يديه أجلسني ثم قال أنت مقيم على ما كنت عليه أم رجعت عنه ؟ قلت: بل مقيم على

ما كنت عليه وقد ازددت بتوفيق الله بصيرة ورشدًا فقال عمرو يا أيها الرجل قد حملت نفسك على أمر عظيم وبلغت الغاية في مكروهها وتعرضت لما لا قوام لك به من مخالفة أمير المؤمنين وادعيت ما لا يثبت لك به حجة على مخالفيك وليس إلا السيف بعد ظهور الحجة عليك فانظر لنفسك وبادر أمرك قبل أن تقع المناظرة وتظهر عليك الحجة فلا ينفعك الندامة ولا يقبل لك معذرة ولا يقال لك عثرة فقد رحمتك وأشفقت عليك مما هو بك نازل وأنا أستقبل لك أمير المؤمنين وأسأله الصفح عن جرمك وعظيم ما كان منك إن أظهرت الرجوع عنه والندم على ما كان منك وآخذ لك الأمان منه أيده الله والجائزة وإن كان بك مظلمة أزلتها عنك وإن كان لك حاجة قضيتها لك فإنما جلست رحمة لك مما هو نازل بك بعد ساعة إن أقمت على ما أنت عليه ورجوت أن يخلصك الله على يدي من عظيم ما أوقعت نفسك به فقلت ما ندمت أعزك الله على ما كان مني ولا رجعت عنه ولا خرجت من بلدي وغررت بنفسي إلا في طلب هذا اليوم وهذا المجلس رجاء أن يبلغني الله ما أؤمله من إقامة الحق وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وهو حسبي ونعم الوكيل « قال عبد العزيز » رحمه الله تعالى فقام عمرو بن مسعدة على رجليه وقال قد حرصت على خلاصك جهدي وأنت حريص على سفك دمك وقتل نفسك فقلت معونة الله تبارك وتعالى أعظم وألطف من أن ينساني الله أو يكلني إلى نفسي وعدل أمير المؤمنين أوسع من أن يقصر عني وإنما أقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم « قال عبد العزيز » رحمه الله تعالى فقام عمرو بن مسعدة فدخل بي فأخرجت إلى الدهليز الأول ومعي جماعة موكلون بي وكان قد أمر بني هاشم أن يركبوا ووجه إلى القضاة والفقهاء والموافقين لهم على مذهبهم وسائري المتكلمين والمناظرين أن يحضروا والقواد والأولياء فركب القوم بالسلاح ليرهبوني بذلك ويرهبوا الرعية وأمر الناس جميعًا أن لا ينصرفوا حتى نفرغ من المجلس فلما اجتمع الناس وتتاموا ولم يتخلف منهم أحد ممن يعرفونه بالكلام والجدل أذن لي بالدخول فلم أزل أنقل من دهليز إلى دهليز حتى صرت إلى الحاجب صاحب الستر الذي على باب الصحن فلما رآني أمر بي فأدخلت إلى حجرته ودخل معي فقال إن كنت تحتاج إلى تجديد الوضوء قلت مالي إلى ذلك حاجة قال أركع ركعتين فركعت أربع ركعات ودعوت الله عز وجل

ثم قال لي استخر الله وقم فادخل وخرج معي إلى باب الصحن وشال الستر وأخذ الرجال بيدي وعضدي وجعل أقوام أيديهم في ظهري وعلى رقبتي وجعلوا يتعادون بي ونظر إلى المأمون وأنا أسمع صوتًا خلوًا عنه وكثر الضجيج من الحجاب والقواد بمثل ذلك فخلوا عني وقد كاد يتغير عقلي من شدة الجزع وعظيم ما رأيت في ذلك الصحن من السلاح وهم ملء الصحن وكنت قليل الخبرة بدار أمير المؤمنين ما رأيتها قبل ذلك ولا دخلتها فلما صرت على باب الإيوان وقفت فسمعت المأمون يقول أدخلوه قربوه فلما دخلت من باب الإيوان وقعت عيني عليه وقبل ذلك لم أنتبه لما كان على باب الإيوان من الحجاب والقواد « فقلت » السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ثم قال ادن مني فدنوت منه ثم جعل يقول ادن مني فدنوت منه ثم جعل يقول ادن وأدنو ويكرر ذلك وأنا أدنو خطوة خطوة حتى صرت إلى الموضع الذي يجلس فيه المتناظرون ويسمع كلامهم والحاجب معي يقدمني فلما انتهيت إلى الموضع قال لي المأمون اجلس فجلست (قال عبد العزيز) وسمعت رجلاً من جلسائه يقول وقد دخلت الإيوان يا أمير المؤمنين يكفيك من كلام هذا قبح وجهه فوالله ما رأيت خلقًا لله أقبح وجهًا منه فسمعت قوله هذا وفهمته وما رأيت شخصًا على ما كنت فيه من الجزع والرعدة « قال عبد العزيز » وتبين لأمير المؤمنين ما أنا فيه من الجزع وما قد نزل بي من الخوف فجعل ينظر إلى وأنا أرتعد خوفًا وأنتفض وأحب أن يؤنسني ويسكن روعتي فجعل يكثر كلام جلسائه ويكلم عمرو بن مسعدة ويتكلم بأشياء كثيرة مما لا يحتاج إليها يريد بذلك كله إيناسي وجعل يطيل النظر إلى الإيوان ويدير نظره فيه فوقعت عيناه على موضع من نقش الجص قد انتفخ فقال يا عمرو ما ترى هذا انتفخ من هذا النقش في هذا الجص وسيقع فبادر في قلعه وعمله فقال عمرو قطع الله يد صانعه فإنه قد استحق العقوبة على عمله هذا (قال عبد العزيز) ثم أقبل على المأمون فقال: ما الاسم ؟ فقلت: عبد العزيز، قال: ابن من ؟ قلت: ابن يحيى بن مسلم قال: ابن من ؟ قلت: ابن ميمون الكناني قال: أو أنت من كنانة ؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين فتركني هنيهة لا يكلمني فقال: من أين الرجل ؟ قلت: من الحجاز. قال: ومن أي الحجاز ؟ قلت: من مكة قال: ومن تعرف من أهل مكة ؟ قلت: يا أمير المؤمنين قل من بها من أهلها

إلا وأنا أعرفه إلا رجل ضوي إليها أو من جاور بها فإني لا أعرفه قال تعرف فلانًا وفلانًا حتى عدد جماعة من بني هاشم كلهم أعرفهم حق المعرفة فجعلت أقول نعم وسألني عن أولادهم وأنسابهم فأخبرته من غير حاجة إلى شيء من ذلك ولا تقدم من مسألتي وإنما يريد إيناسي وبسطي للكلام وتسكيني روعي وجزعي فذهب عني ما كنت فيه وما لحقني من الجزع وجاءت المعونة من الله عز وجل قوي بها ظهري واشتد بها قلبي واجتمع بها فهمي (قال عبد العزيز) رحمه الله تعالى فأقبل على المأمون وقال يا عبد العزيز إنه قد اتصل بي ما كان منك وقيامك في المسجد الجامع وقولك أن القرآن كلام الله إلخ بحضرة الخلق وعلى رؤوس الخلائق وما كان من مسألتك بذلك من الجمع بينك وبين مخالفيك على القول لتناظرهم في حضرتي وفي مجلسي والاستماع منك ومنهم وقد جمعت المخالفين لك لتناظرهم بين يدي وأكون الحاكم بينكم فإن تبين لك الحجة عليهم والحق معك اتبعناك وأن تكن الحجة لهم عليك والحق معهم عافيناك [1] وإن استقلت أقلناك ثم أقبل المأمون على بشر المريسي وقال يا بشر قم إلى عبد العزيز فناظره وأنصفه قال فوثب بشر المريسي من موضعه الذي كان فيه كالأسد يثب إلى فريسة فرحًا فانحط على فوضع ركبته وفخذه الأيسر على فخذي الأيمن فكاد ن يحطمه وعمد إلى بقوته كلها فقلت مهلاً فإن أمير المؤمنين لم يأمرك بقتلي ولا بظلمي وإنما أمرك بمناظرتي وإنصافي فصاح به المأمون وقال تنح عنه وكرر ذلك عليه حتى باعده مني قال ثم أقبل على المأمون وقال يا عبد العزيز ناظره على ما تريد واحتج عليه ويحتج عليك وتسأله ويسألك وتناصفا في كلامكما وتحفظا ألفاظكما فإني مستمع عليكما فنحفظ ألفاظكما. فقال عبد العزيز فقلت السمع والطاعة لأمير المؤمنين ولكن أريد أن أقول شيئًا فيأذن لي أمير المؤمنين فيه قال قل كما تريد قلت يا أمير المؤمنين أسألك بالله من أجمل من بلغك من البشر وأحسنهم وجهًا من جميع ولد آدم ؟ قال يوسف بعد أن أطرق مليًا قلت صدقت يا أمير المؤمنين فوالله ما أعطي يوسف على حسن وجهه جرادتين ولقد سجن وضيق عليه من أجل حسن وجهه ظلمًا بغير حق بعد أن وقف على براءته وإقرار امرأة العزيز أنها هي راودته عن نفسه فاستعصم فحبس بعد ذلك كله لحسن

---

(١) قال المؤلف لعل الصواب عاقبناك.

وجهه قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ﴾ فدل بقوله على أنه حبس بغير ذنب لكن العلة حسن وجهه وليغيبوه عنها وعن غيرها رجاء تغير حلية وجهه وليذهب بحسنه فطال في السجن مكثه حتى عبر الرؤيا ووقف الملك على علمه ومعرفته وحسن عبارته فاشتاق إليه ورغب في صحبته فقال: ﴿ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ﴾ وكان هذا القول من الملك بعد تعبير يوسف الرؤيا ووقوف الملك على حسن عبارته وكما أخبر الله عز وجل في كتابه قبل أن يسمع كلامه فلما دخل عليه وسمع كلامه صيره على خزائن الأرض وفوض إليه الأمور كلها واعتزل منها وصار كأنه من تحت يده فكان ما بلغه يوسف كله من كلامه وعلمه لا بجماله وحسن وجهه قال الله عز وجل: ﴿ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ، قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ ولم يقل أني حسن جميل فوالله ما أبالي يا أمير المؤمنين لو كان وجهي أقبح مما هو عليه فقد أعطاني الله وله الحمد من فهم كتابه والعلم بتنزيله فقال المأمون وأي شيء أردت بهذا القول وما الذي دعاك إليه ؟ فقلت إني سمعت بعض من ههنا يقول يا أمير المؤمنين يكفيك من كلام هذا قبح وجهه فأي عيب يلحقني في صنعة ربي عز وجل ؟ فتبسم المأمون حتى وضع يده على فمه فقلت يا أمير المؤمنين قد رأيتك تنظر هذا النقش في الحائط وتنكر انتفاخ الجص وسمعت عمرًا يعيب الصانع ولا يعيب الجص فقال المأمون العيب لا على الشيء المصنوع إنما العيب على صانعه فقلت صدقت يا أمير المؤمنين وقلت الحق فهذا يعيب ربي لم خلقني قبيحًا فازداد تبسمًا حتى ظهر ذلك فقال يا عبد العزيز ناظر صاحبك فقد طال المجلس بغير مناظرة، قلت يا أمير المؤمنين كل مناظرين على غير أصل يكون بينهما ما يرجعان إليه إذا اختلفا في شيء من الفروع فهما كالسائر على غير طريق وهو لا يعرف المحجة فيتبعها ولا يعرف الموضع الذي يريد فيقصده وهو لا يدري من أين جاء فيرجع فيطلب الطريق وهو على ضلال ولكنا تؤصل بيننا أصلاً فإذا اختلفنا في شيء من الفروع رددناه إلى الأصل فإن وجدناه فيه وإلا رمينا به ولم نلتفت إليه، قال المأمون نعم ما قلت فاذكر الأصل الذي تريد أن يكون بينكما قلت يا أمير المؤمنين الأصل بيني وبينه ما أمرنا الله عز وجل واختاره لنا وأعلمناه وأدبنا به في التنازع والاختلاف ولم يكلنا إلى غيره ولا إلى أنفسنا واختيارنا

فنعجز، قال المأمون وهل ذلك موجود عن الله عز وجل ؟ قلت نعم يا أمير المؤمنين قال فاذكر ذلك قلت قال الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ فهذا تعليم من الله وتأديبه واختياره لعباده المؤمنين ما أصله المتنازعون بينهم وقد تنازعت أنا وبشر يا أمير المؤمنين وبيننا كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ كما أمر الله عز وجل فإذا اختلفنا في شيء الفروع رددناه إلى كتاب الله عز وجل فإن وجدناه فيه وإلا إلى سنة نبيه ﷺ فإن وجدناه فيها وإلا ضربناه في الحائط ولم نلتفت إليه، قال المأمون فافعلا وأصلا بينكما هذا واتفقا عليه وأنا الشاهد عليكما والحافظ لما يجري بينكما « قال عبد العزيز » قلت يا أمير المؤمنين إنه من الحد في كتاب الله زائدًا أو جاحدًا لم يناظر بالتأويل ولا بالتفسير قال المأمون بأي شيء تناظر ؟ قلت بنص القرآن بالتلاوة قال الله عز وجل لنبيه ﷺ حين ادعت اليهود تحريم أشياء لم تحرم عليهم: ﴿ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ وقال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِيَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ وقال الله عز وجل: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا ﴾ وقال: ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ فإنما أمر الله نبيه بالتلاوة ولم يأمره بالتأويل وإنما يكون التأويل لمن آمن بالتنزيل فأما من الحد بالتنزيل فكيف يناظر بالتأويل فقال المأمون ويخالفك بالتنزيل ؟ قلت نعم ليخالفني أو ليدعن قوله ومذهبه وليوافقني قال فناظره بالتلاوة ونص التنزيل قلت نعم « قال عبد العزيز » فأقبلت على بشر فقلت يا بشر ما حجتك أن القرآن مخلوق ؟ فانظر أحد سهم من كنانتك فارمني به ولا تحتج إلى معاودتي لغيره قال بشر تقول يا عبد العزيز القرآن شيء أم غير شيء ؟ فإن قلت شيء فقد أقررت أنه مخلوق إذ كانت الأشياء كلها مخلوقة بنص التنزيل وإن قلت إنه ليس بشيء فقد كفرت لأنك تزعم أن حجة الله على خلقه ليس بشيء « قال عبد العزيز » فقلت لبشر ما رأيت أعجب من هذا أتسألني وتجيب نفسك فإن تسألني لأجيبك فاسمع الجواب مني فإني أحسن أن أجيبك وأعبر عن نفسي وأن ترد أن تخطب وتتكلم لتدهشني وتنسيني حجتي فلن أزداد

بتوفيق الله إياي إلا بصيرة وفهما وما أحسبك يا بشر إلا وقد تعلمت شيئًا أو سمعت هذه المقالة والتي قبلها أو قرأتها في كتاب فأنت تكره أن تقطعها حتى تأتي على آخرها فأقبل عليه المأمون، وقال صدق عبد العزيز أسمع منه جواب ما سألته ثم رد عليه بعد ذلك ما شئت ثم قال لي تكلم فأجبه يا عبد العزيز لما سألك فقلت لبشر سألت عن القرآن هو شيء أم غير شيء فإن كنت تريد أنه شيء إثباتًا للوجود ونفيًا للعدم فنعم، هو شيء وإن كنت تريد أن الشيء اسم له وأنه كالأشياء فلا، فقال بشر ما أدري ما تقول ولا أفهمه ولا أعقله ولا أسمعه ولابد من جواب يعقل ويفهم أنه شيء أم غير شيء قال فقلت لبشر صدقت أنك لا تفهم ولا تعقل ولا تسمع ما أقول ولقد وصفت نفسك بأقبح الصفات واخترت لها أذم الاختيارات ولقد ذم الله عز وجل قومًا في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ قالوا مثل مقالتك وكانوا بمثل ما وصفت به نفسك قال الله عز وجل: ﴿ **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ، وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ** ﴾ وقال: ﴿ **أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ** ﴾ وقال: ﴿ **أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ** ﴾ إلى قوله: ﴿ **فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ** ﴾ ومثل هذا في القرآن كثير ولقد مدح الله قومًا في كتابه بحسن الاستماع وأثنى عليهم فقال: ﴿ **الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ** ﴾ الآية وقال: ﴿ **وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ** ﴾ الآية وقال: ﴿ **وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾ فما اخترت لنفسك ما اختاره الرسول ولا ما اختاره المؤمنون ولا ما اختاره أهل الكتاب، قال المأمون دع عنك هذا يا عبد العزيز وارجع إلى ما كنت فيه وبين ما قلته واشرحه من ذكر الشيء فقلت يا أمير المؤمنين إن الله أجرى كلامه على ما أجراه على نفسه إذ كان كلامه من ذاته ومن صفاته فلم يتسم بالشيء ولم يجعل الشيء اسمًا من أسمائه ولكنه دل على نفسه أنه شيء وأنه أكبر الأشياء إثباتًا للوجود ونفيًا للعدم وتكذيبًا للزنادقة ومن تقدمهم ممن جحد معرفته وأنكر ربوبيته من سائر الأمم فقال لنبيه ﷺ: ﴿ **قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ** ﴾ فدل على نفسه أنه شيء لا كالأشياء وأنزل في ذلك خبرًا خاصًا مفردًا لعلمه السابق أن جهمًا وبشرًا ومن قال

بقولهما سيلحدون في أسمائه وصفاته ويشبهون على خلقه ويدخلونه وكلامه في الأشياء المخلوقة فقال عز وجل: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ فأخرج نفسه وكلامه وصفاته من الأشياء المخلوقة بهذا الخبر تكذيبًا لمن ألحد في كتابه وافترى عليه وشبهه بخلقه وقال: ﴿ وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ ثم عدد أسماءه في كتابه ولم يتسم بالشيء ولم يجعل الشيء اسمًا من أسمائه قال النبي ﷺ إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة ثم عددها فلم نجده جعل الشيء اسمًا فقلت كما قال الله وتأدبت كما أدبني الله متبعًا غير مبتدع. ثم ذكر جل ذكره كلامه كما ذكر نفسه ودله عليه مثل ما دل على نفسه ليعلم الخلق أنه من ذاته وأنه صفة من صفاته فقال عز وجل: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ فذم الله من نفي أن يكون كلامه الذي أنزله على رسوله شيئًا وذلك أن رجلاً من المسلمين ناظر رجلاً من اليهود بالمدينة فجعل المسلم يحتج على اليهودي من التوراة بما علم من صفة النبي ﷺ وذكر نبوته من التوراة فضحك اليهودي وباهت فقال: ﴿ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ فأنزل الله عز وجل تكذيبه وذم قوله وأعظم فريته حين جحد أن يكون كلام الله شيئًا ليس كالأشياء كما دل على نفسه أنه شيء وليس كالأشياء وقال في موضع آخر: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ فدل بهذا الخبر أيضًا على أن الوحي شيء بالمعنى وذم من جحد أن يكون كلامه شيئًا فلما أظهر اسم كلامه لم يظهره باسم الشيء فيلحد الملحدون في ذلك ويدخلونه في جملة الأشياء ولكنه أظهره باسم الكتاب والنور والهدى فقال لنبيه ﷺ: ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ فأظهره بأنه الكتاب والنور والهدى ولم يقل قل من أنزل الشيء الذي جاء به موسى ويجعل اسمًا لكلامه فكانت أسماء ظاهرة يعرف بها كما سمي نفسه بأسماء ظاهرة يعرف بها فسمي كلامه نورًا وهدى وشفاء ورحمة وحقًا وقرآنًا وفرقانًا لعلمه السابق في جهم وبشر ومن يقول بقولهما أنهم سيلحدون في كلامه ويدخلونه في الأشياء المخلوقة، فقال بشر يا أمير المؤمنين قد أقر عبد العزيز أن القرآن شيء وادعى أنه ليس

كالأشياء وقلت أنا أنه كالأشياء فليأت بنص التنزيل كما أخذ على نفسه أنه ليس كالأشياء وإلا فقد بطل ما ادعاه وصح قولي أنه مخلوق إذ كنا جميعًا قد اجتمعنا على أنه شيء وقال الله عز وجل الله خالق كل شيء بنص التنزيل فقال المأمون هذا يلزمك يا عبد العزيز لما أخذت على نفسك وجعل محمد بن الجهم وغيره يضجون ويقولون ظهر أمر الله وهم كارهون جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا وطمعوا في قتلي وجثا على ركبتيه وجعل يقول أقر والله يا أمير المؤمنين بخلق القرآن وأمسكت فلم أتكلم حتى قال لي أمير المؤمنين مالك لا تتكلم يا عبد العزيز ؟ فقلت يا أمير المؤمنين قد تكلم بشر وطالبني بنص التنزيل على ما قلت وهو المناظر لي فضجيج هؤلاء أيش هو ؟ وأنا لم أنقطع ولم أعجز عن الجواب وإقامة الحجة بنص التنزيل على بشر كما طالبني ولست أتكلم وفي المجلس أحد يتكلم غير بشر إلا أن ينقطع بشر عن الحجة فيعتزل ويتكلم غيره فصاح المأمون لمحمد بن الجهم وغيره أمسكوا وأقبل على وقال تكلم يا عبد العزيز واحتج لنفسك فليس يعارضك غير بشر قال قلت: قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾ وقال: ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ وقال سبحانه: ﴿ **إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾ فدل عز وجل بهذه الأخبار وأشباه لها في القرآن كثيرة على أن كلامه ليس كالأشياء وأنه يكون الأشياء ثم أنزل الله عز وجل خبرًا مفردًا ذكر فيه خلق الأشياء كلها فلم يدع منها شيئًا إلا ذكره وأدخله في خلقه وأخرج كلامه وأمره من جملة الخلق وفصله منها ليدل على أن كلامه غير الأشياء المخلوقة وخارج عنها فقال: ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ فجمع في قوله ألا له الخلق والأمر جميع ما خلق فلم يدع منه شيئًا ثم قال والأمر يعني والأمر الذي كان به الخلق خلقًا فرقًا بين خلقه وأمره فجعل الخلق خلقًا والأمر أمرًا وجعل هذا غير هذا وقال: ﴿ **وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ** ﴾ وقال: ﴿ **لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ** ﴾ يعني من قبل الخلق ومن بعد الخلق ثم جمع الأشياء المخلوقة في آيات كثيرة في كتابه فأخبر عن خلقها وأنه خلقها بقوله وكلامه وأن كلامه وقوله غيرها وخارج عنها

فقال: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ ﴾ وقال: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ وقال: ﴿ حم، تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ، مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ وقال: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ، مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾ وقال: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾ فقال المأمون. يجزيك هذا أو بعضه يا عبد العزيز وما بينهما فلم يدع شيئًا من الخلق إلا ذكره فأخبر عن خلقه أنه ما خلقه إلا بالحق وأن الحق قوله وكلامه الذي به خلق الخلق كله وأنه غير الخلق وأنه خارج عن الخلق وغير داخل في الخلق وهذا نص التنزيل على أن كلام الله غير الأشياء المخلوقة وليس هو كالأشياء وبه تكون الأشياء قال بشر يا أمير المؤمنين قد ادعى أن الأشياء لا تكون إلا بقوله ثم جاء بأشياء متباينات متفرقات وزعم أن الله يخلق بها الأشياء فأكذب نفسه ونقض قوله ورجع عما ادعاه من حيث لا يدري وأمير المؤمنين شاهد عليه وهو الحاكم بيننا فأقبل المأمون على فقال يا عبد العزيز قد قال بشر كلامًا قد قلته ويحتاج أن تصحح قولك ولا ينقض بعضه بعضًا وجعل بشر يصيح لو تركته يتكلم لجاء بألف شيء مما خلق الله به الأشياء فقلت يا أمير المؤمنين قد ذهبت بالحجج ورضي بشر وأصحابه بالضجيج والترويج بالباطل وقطع المجلس وطلب الخلاص ولا خلاص من الله حتى يظهر دينه ويقمع الباطل بالحق فيزهقه فصاح المأمون ببشر أقبل على صاحبك واسمع منه ودع هذا الضجيج وكان المأمون قد قعد منا مقعد الحاكم من الخصوم ثم أقبل المأمون وقال تكلم يا عبد العزيز فقلت يا بشر زعمت أني قد جئت بأشياء متباينات متفرقات وادعيت أن الله خلق بها الأشياء وما قلت إلا ما قال الله عز وجل ولا أقول أن الله خلق الأشياء بقوله وكلامه وأمره وهذه أربعة أشياء ولا أنه خلقها إلا بكلامه قال بشر يا أمير المؤمنين قد قال إن الله خلق الأشياء بقوله وكلامه وأمره وبالحق وهذه أربعة أشياء. قال المأمون بل قلت هذا يا عبد العزيز فقلت صدق أمير المؤمنين قد قلت هذا وهذه أربعة أشياء لشيء واحد لأن كلام الله هو قوله وقول الله هو كلامه وأمر الله هو كلامه وكلام الله هو أمره وكلام الله هو الحق

والحق هو كلام الله فهذه أسماء لكلام الله وقد قدمت ذكر هذا فقلت إن الله سمي كلامه نورًا وهدى وشفاء ورحمة وقرآنًا وفرقانًا وبرهانًا وسماه الحق وهذه أشياء شتى لشيء واحد وهو كلام الله كما سمي نفسه بأسماء كثيرة وهو واحد صمد فرد وإنما ينكر بشر هذا ويستعظمه لقلة معرفته بلغة العرب قال بشر قد أصل بيني وبينه كتاب الله وزعم أنه لا يقبل إلا بنص التنزيل فأين نص التنزيل أن كلام الله هو قوله وهو أمره وأن كلامه هو الحق فقال المأمون هذا يلزمك يا عبد العزيز لما عقدت على نفسك من الشرط فقلت نعم يا أمير المؤمنين وعلى أن آتي بنص التنزيل على ما قلت قال فهاته قلت قال الله عز وجل وقد ذكر كلامه في القرآن: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ﴾ وإنما يسمعه من قارئه وإنما عني القرآن لا خلاف بين اهل العلم واللغة في ذلك وقال: ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾ وقال عز وجل: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَاءهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ فقد اخبر عن القرآن أنه الحق وقال: ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ فأخبر عن القرآن أنه الحق وقال: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ فأخبر عن القرآن أنه الحق وقال: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ وقال: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ ﴾ وقال: ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا ﴾ قالوا ﴿ آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا ﴾ فأخبر أنه الحق فهذه أخبار الله كلها أن القرآن هو الحق ثم ذكر عز وجل قوله فسماه الحق فأخبر أن الحق قوله قال فالحق والحق أقول فأخبر أنه الحق وأن الحق قوله وقال: ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ وقال: ﴿ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ ﴾ فهذه أخبار الله أنه الحق وأن الحق قوله ثم ذكر أن كلامه الحق وأن الحق كلامه فقال: ﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُواْ أَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ وقال: ﴿ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ وقال: ﴿ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ

عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ فهذه أخبار الله أن الحق كلامه وأخبر أن أمره هو القرآن وهو كلامه فقال: ﴿ حم، وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ، إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ، فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ، أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ يعني القرآن وقال: ﴿ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ ﴾ يعني القرآن فهذه أخبار الله أن القرآن أمره وكلامه وأن أمره هو القرآن وهذا تعليم الله لخلقه وتأديبه لهم فقلت كما قال الله إن القرآن كلام الله وأنه من أمر الله وأنه الحق وأن هذه أسماء لشيء واحد وهو الكلام الذي به خلقت الأشياء وهو غير الأشياء وخارج عن الأشياء وليس هو كالأشياء فهذا بنص التنزيل لا بتأويل ولا بتفسير.

فقال المأمون: أحسنت يا عبد العزيز.

فقال بشر، يا أمير المؤمنين هذا يحب أن يخطب بما لا أسمعه ولا أعقله ولا التفت إليه وما أتى بحجة ولا أقبل من هذا شيئًا.

قال قلت يا أمير المؤمنين من لا يعقل عن الله ما يخاطب به نبيه وما علمه لعباده في كتابه يدعى العلم ويحتج للمقالات والمذاهب ويدعو الناس للبدع والضلال قال بشر:

أنا وأنت في هذا سواء تنتزع آيات من آيات القرآن لا تعلم تفسيرها ولا تأويلها وأنا أرد ذلك وادفعه حتى تأتي بما أفهمه وأعقله قال عبد العزيز فقلت يا أمير المؤمنين فذاك كلام بشر وتسويته فيما بيني وبينه ولقد فرق الله فيما بيني وبينه وأخبر الله أنا على غير السواء وأكذبه في دعواه فقال المأمون وأين ذلك من كتاب الله عز وجل قلت قال الله عز وجل: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ فإنا والله يا أمير المؤمنين أعلم أن الذي أنزل عليه هو الحق وأؤمن به، وبشر قد شهد على نفسه أنه لا يعلمه ولا يفهمه ولا يعقله ولا يقبله وأنه مما لا يقوم لي به حجة فلم يقل كما قال الله عز وجل ولا كما قال نبيه ﷺ ولا كما قال موسى عليه السلام ولا كما قالت الملائكة ولا كما قال المؤمنون ولا كما قال أهل الكتاب ولقد أخبر الله عن جهله وأزال عنه المذكرة وأخرجه عن جملة أولي الألباب لكن أمير المؤمنين لما خصه الله به من الفضل والسؤدد وشرفه به من الحلم والفضل ورزقه من الفهم والمعرفة قد عقل عن الله قوله وعرف ما عني به فقبله واستحسنه ممن انتزع به بين يديه فقال بشر:

قد أقر بين يديك أن القرآن شيء فليكن عنده كيف شاء فقد اتفقنا جميعًا أنه شيء وقد قال الله تعالى الله خالق كل شيء فهذه لفظة لم تدع شيئًا إلا أدخلته في الخلق ولا يخرج عنها شيء ينسب إلى الشيء لأنها لفظة قد استوعبت الأشياء كلها وأتت عليها مما ذكرها الله عز وجل ومما لم يذكرها فصار القرآن مخلوقًا بنص التنزيل لا بتأويل ولا بتفسير « قال عبد العزيز » فقلت يا أمير المؤمنين على أن أكسر قوله وأكذبه فيما قال بنص التنزيل حتى يرجع عن قوله أو يقف أمير المؤمنين على كسر قوله وبطلان دعواه، فقال المأمون قل ما عندك.

قلت قال الله في قصه عاد ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ فهل أبقت الريح يا بشر شيئًا لم تدمره ؟ قال لا قد دمرت كل شيء كما أخبر الله عنها فلم يبق شيء إلا وقد دخل تحت هذه اللفظة.

فقلت قد أكذب الله عز وجل من قال هذا بقوله فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم فأخبر أن مساكنهم كانت باقية بعد تدميرهم ومساكنهم أشياء كثيرة وقد قال: ﴿ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴾ وقد قال في قصة بلقيس: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ فهل بقي يا بشر شيء لم تؤته بلقيس ؟ قال أنا أقول أن هذه اللفظة تجمع الأشياء كلها.

فقلت قد أكذب الله عز وجل من قال هذا، لأن ملك سليمان كمثل ملك بلقيس مائة ألف مرة ولم تؤته.

ومضى عبد العزيز الكناني في منارته مع بشر إلى أن قال له فقلت يا بشر قال الله عز وجل ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾. ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾. وقال: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ وقال: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ فقد أخبرنا الله عز وجل في مواضع كثيرة من كتابه أن له نفسًا فتقر يا بشر أن لله نفسًا كما أخبر عنها قال نعم.

فقلت يا أمير المؤمنين أشهد عليه أنه أقر أن لله نفسًا قال نعم.

قد سمعت قوله وشهدت عليه فقلت قال الله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ فتقول يا بشر إن نفس الله عز وجل داخلة في هذه النفوس التي تذوق الموت فصاح المأمون بأعلى صوته وكان جهوري الصوت معاذ الله معاذ الله.

قال عبد العزيز فرفعت صوتي إذا وقلت معاذ الله أن يكون كلام الله داخلاً في الأشياء

المخلوقة كما أن نفسه ليست بداخله في الأشياء الميتة.

قال محمد تقي الدين: وأكتفي بهذا القدر من كلام الإمام الكناني ومن أراد استقصاءه فليرجع إلى كتاب الحيدة.

قول أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني:

قال رحمه الله. ويشهد أصحاب الحديث ويعتقدون أن القرآن كلام الله وكتابه ووحيه وتنزيله غير مخلوق ومن قال بخلقه وأعتقده فهو كافر عندهم والقرآن الذي هو كلام الله ووحيه هو الذي ينزل به جبريل على الرسول ﷺ قرآنًا عربيًا لقوم يعلمون بشيرًا ونذيرًا كما قال عز من قائل: ﴿ **وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ** ﴾ وهو الذي بلغه الرسول أمته كما أمر به في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ** ﴾ فكان الذي بلغهم بأمر الله تعالى كلامه عز وجل وفيه قال ﷺ: أتمنعونني أن أبلغ كلام ربي وهو الذي تحفظه الصدور وتتلوه الألسنة ويكتب في المصاحف كيف ما تصرف بقراءة قارئ ولفظ لافظ وحفظ حافظ وحيث تلى وفي أي موضع قرئ وكتب في مصاحف أهل الإسلام وألواح صبيانهم وغيرها كله كلام الله جل جلاله غير مخلوق فمن زعم أنه مخلوق فهو كافر بالله العظيم.

سمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول سمعت أبا الوليد حسان بن محمد يقول سمعت الإمام أبا بكر محمد ابن إسحاق بن خزيمة يقول القرآن كلام الله غير مخلوق فمن قال أن القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم لا تقبل شهادته ولا يعادان مرض ولا يصلي عليه إن مات ولا يدفن في مقابر المسلمين ويستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه، فأما اللفظ بالقرآن فإن الشيخ أبا بكر الإسماعيلي الجرجاني ذكر في رسالته التي صنفها لأهل جيلان أن من زعم أن لفظه بالقرآن مخلوق يريد به القرآن فقد قال بخلق القرآن وذكر بن مهدي الطبري في كتابه الاعتقاد والذي صنفه لأهل هذه البلاد أن مذهب أهل السنة والجماعة القول بأن القرآن كلام الله سبحانه ووحيه وتنزيله وأمره ونهيه غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر بالله العظيم وأن القرآن في صدورنا محفوظ وبألسنتنا مقروء وفي مصاحفنا مكتوب وهو الكلام الذي تكلم الله عز وجل به، ومن قال أن القرآن بلفظي مخلوق أو لفظي به مخلوق

فهو جاهل ضال كافر بالله العظيم.

وإنما ذكرت هذا الفصل بعينه من كتاب ابن مهدي لاستحساني ذلك منه فإنه اتبع السلف أصحاب الحديث فيما ذكر مع تبحره في علم الكلام وتصانيفه الكثيرة فيه وتقدمه وتبريزه عند أهله اهـ.

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال قرأت بخط أبي عمرو المستملي سمعت أبا عثمان سعيد بن الشكاب يقول سألت إسحاق بن إبراهيم عن اللفظ بالقرآن فقال لا ينبغي أن يناظر في هذا.

القرآن كلام الله غير مخلوق، وذكر (ج) الطبري في كتابه الاعتقاد الذي صنفه قال: أما القول في ألفاظ العباد بالقرآن فلا أثر فيه نعلمه عن صحابي ولا تابعي إلا عمن في قوله الغني والشفا وفي اتباعه الرشد والهدى ومن يقوم قوله مقام الأئمة أبو عبد الله أحمد بن حنبل.

فإن أبا إسماعيل الترمذي حدثني قال سمعت أبا عبد الله (حم) يقول اللفظية جهمية، قال الله تعالى: ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ ﴾ ممن يسمع ؟ قال ثم سمعت جماعة من أصحابنا لا أحفظ أسماءهم يذكرون عنه أنه كان يقول من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع قال محمد بن جرير ولا قول في ذلك عندنا يجوز أن نقوله غير قوله إذ لم يكن لنا فيه إمام نأتم به سواه وفيه الكفاية والمقنع وهو الإمام المتبع رحمة الله عليه.

هذه ألفاظ محمد بن جرير التي نقلتها نفسها ههنا من كتاب الاعتقاد الذي صنفه.

قلت: وهو أعني محمد بن جرير قد نفي عن نفسه بهذا الفصل الذي ذكره في كتابه كل ما نسب إليه وقذف به من عدول عن السنة أو ميل إلى شيء من البدعة والذي حكاه عن (حم) أن اللفظية جهمية فصحيح عنه وإنما قال ذلك لأن جهمًا وأصحابه صرحوا بخلق القرآن والذين قالوا باللفظ تدرجوا به إلى القول بخلق القرآن وخافوا أهل السنة في ذلك الزمان من التصريح بخلق القرآن فذكروا هذا اللفظ وأرادوا به أن القرآن بلفظنا مخلوق فلذلك سماهم أحمد جهمية.

وحكي عنه أيضًا أنه قال اللفظية شر من الجهمية وأما ما حكاه (ج) عن (حم) أن من قال لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع فإنما أراد أن السلف من أهل السنة لم يتكلموا في باب اللفظ من أهل التعمق وذوي الحمق الذين أتوا بالمحدثات وبحثوا عما نهوا عنه من الضلالات وذميم المقالات وخاضوا فيما لم يخض فيه السلف من علماء الإسلام فقال (حم) هذا القول في نفسه بدعة ومن حق المتدين أن يدعه ولا يتفوه به ولا بمثله من البدع المبتدعة ويقتصر على ما قاله السلف من الأئمة المتبعة أن القرآن كلام الله غير مخلوق ولا يزيد عليه إلا تكفير من يقول بخلقه.

أخبرنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الخارجي بمرو، ثنا يحيى بن سالوكة عن أبيه عبد الكريم السندي قال. قال وهب بن زمعة أخبرني الباساني قال سمعت عبد الله بن المبارك يقول من كفر بحرف من القرآن فقد كفر بالقرآن ومن قال لا أؤمن بهذا الكلام فقد كفر.

قال شارح الواسطية الأستاذ المحقق عبد العزيز بن محمد آل سلمان في تأليفه المسمى بالكواشف الجلية في شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ما نصه:

فصل في الإيمان بالقرآن

ومن الإيمان بالله وكتبه والإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدا وإليه يعود وأن الله تكلم به حقيقة وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة بل إذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة فإن الكلام إنما يضاف إلى من قاله مبتدئ لا من قاله مبلغًا مؤديًا وهو كلام الله حروفه ومعانيه ليس كلام الله الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف، وجه دخول هذا الفصل في الإيمان بالله أن الإيمان بالله هو التصديق الجازم بجميع ما أخبر الله ورسوله إلخ وقد أخبر الله ورسوله أنه كلامه وتوعد من قال أنه قول البشر ولأن الإيمان بكلام الله على هذا الوصف الذي ذكره المصنف وأنه من الإيمان بالله لأنه وصفه والكلام صفة للمتكلم.

فإنه تعالى، موصوف بأنه متكلم إذا شاء بما شاء، وأنه لم يزل ولا يزال يتكلم، وكلامه تعالى لا ينفد قال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ وقال: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾.

وقال غير واحد من السلف، من أنكر أن يكون الله متكلمًا أو أن يكون القرآن كلامه فقد أنكر رسالة محمد ﷺ بل ورسالة جميع الرسل التي حقيقتها تبليغ كلام المرسل وهو الله عز وجل.

فإذا لم يكن كلام فماذا يبلغ الرسول ؟ وكيف يعقل كونه رسولاً ؟ ونوع الكلام أزلي أبدي ومفرداته لا تزال تقع شيئًا فشيئًا بحسب حكمة الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾. ﴿ وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾.

قال (ك) على قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾ الآيتين: يقول تعالى مخبرًا عن كثرة اعتراض الكفار وتعنتهم وكلامهم فيما لا يعنيهم: هلا أنزل عليه هذا الكتاب الذي أوحى إليه جملة واحدة كما نزلت الكتب قبله جملة واحدة، كالتوراة والإنجيل والزبور وغيرها من الكتب الإلهية ؟ فأجابهم الله تعالى عن ذلك بأنه إنما نزل منجمًا في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحوادث وما يحتاج من الأحكام.

وقوله: « مُنزل غير مخلوق » هذا قول أهل السنة والجماعة، خلافًا لقول الجهمية والمعتزلة وغيرهم ممن يقول كلام الله مخلوق.

فالجهمية يقولون: إن الله لا يتلكم بل خلق كلامًا في غيره وجعل غيره يعبر عنه، وما جاء من الأدلة على صفة الكلام، قالوا مجاز.

والمعتزلة قالوا: إن الله متكلم حقيقة لكن معنى ذلك أنه خالق للكلام في غيره، فمذهبهم ومذهب الجهمية في المعنى سواء وقول الطائفتين باطل مخالف لقول السلف والأئمة، ومخالف للأدلة العقلية والسمعية.

قال الشيخ: ومذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين كالأئمة الأربعة وغيرهم ما دل عليه الكتاب والسنة.

وهو الذي يوافق الأدلة العقلية الصريحة أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود. فهو المتكلم بالقرآن والتوراة والإنجيل وغير ذلك من كلامه ليس مخلوقًا منفصلاً عنه وهو سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته لم يقل أحد منهم أن القرآن والتوراة والإنجيل لازمة لذاته أزلاً وأبدًا وهو لا يقدر أن يتكلم بمشيئته وقدرته، وقالوا: إن نفس ندائه لموسى أو نفس الكلمة المعينة قديمة أزلية، بل قالوا لم يزل الله متكلمًا إذا شاء وكلمات الله لا نهاية لها والله سبحانه تكلم بالقرآن العربي وبالتوراة العبرانية، قال: ولما ظهر من قال أنه مخلوق قالوا ردًا لكلامه أنه غير مخلوق، وأول من عرف أنه قال قديم هو عبد الله بن سعيد بن كلاب اهـ.

قال الشاعر:

استغفر الله واترك ما حكي لهم أبو الهذيل وما قال ابن كلاب

فالقرآن كلام الله حيث تصرف سواء كان محفوظًا في الصدر أو متلوا وأما كتابة العباد وأصواتهم والورق الذي كتب عليه القرآن والمداد الذي كتب به، فهذه كلها مخلوقة، وأما الذي يرجع إلى الله تعالى ويضاف إليه فإنه كلامه غير مخلوق، فإن جميع ما يعود إلى العباد وأوصافهم مخلوق، وأما الذي يرجع إلى الله تعالى ويضاف فإنه كلامه غير مخلوق، وقول السلف منه بدأ وإليه يعود، أي ظهر وخرج منه فهو المتكلم به لا غيره.

وقال الشيخ في المناظرة: ولما جاءت مسألة القرآن ومن الإيمان به الإيمان بأن القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود.

نازع بعضهم في كونه منه بدأ وإليه يعود، وطلبوا تفسير ذلك، فقلت: أما هذا القول فهو المأثور عن السلف مثل ما نقله عمرو بن دينار قال: أدركت الناس منذ سبعين سنة يقولون الله الخالق وما سواه مخلوق. إلا القرآن فإنه كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأما معناه: فإن قولهم منه بدأ، أي هو المتكلم به وهو الذي أنزله من لدنه وإليه يرجع في آخر الزمان بأن يسري به ويرفع فلا يبقى في الصدور منه آية ولا في المصاحف، ورفع القرآن

من أشراط الساعة، ورد ذلك في عدة آثار.

وقوله: « فإن الله تكلم به حقيقة » والآيات والأحاديث في إثبات صفة الكلام وأن الله تكلم حقيقة كثير، وكذلك الآيات والأحاديث الدالة على أن الله تكلم بالقرآن كثيرة، وكلها دالة على أنه سبحانه تكلم حقيقة لا مجازًا.

وقال في ص٢٢٠:

إثبات صفة الكلام لله

وقوله: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴾. ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾. ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﴾، ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً ﴾، ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾. ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ﴾. ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾. ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾. ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾. ﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ ﴾. ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾. ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ ﴾. ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾. ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾. ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾. ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾. ﴿ وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾. ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّـهِ ﴾ ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾. ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾. ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾.

في هذه الآيات الكريمات إثبات صفة الكلام لله حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته وحقيقة الإيمان بصفة الكلام لله أنه الاعتقاد الجازم بأن الله متكلم بكلام قديم النوع، حادث الآحاد، وأنه لم يزل يتكلم إذا شاء بما شاء كيف شاء، وأنه يتكلم بحرف

وصوت بكلام يسمعه من شاء من خلقه سمعه منه موسى، والأبوان بلا واسطة، ومن أذن له من ملائكته ورسله، وأنه يكلم المؤمنين ويكلمونه في الآخرة هذا مذهب أهل السنة والجماعة.

وقد دل القرآن وصريح السنة والمعقول وكلام السلف على أنه سبحانه يتكلم بمشيئته، كما دل على أن كلامه صفة قائمة بذاته وهو صفة ذات وفعل، وقد دلت النصوص على أن القرآن العزيز الذي هو سور وآيات وحروف وكلمات عين كلام الله حقًا لا تأليف ملك ولا بشر، وأنه سبحانه الذي قال بنفسه « المص » و « حمعسق » و « كهيعص ».

الآيتان الأولى والثانية: من، لفظة استفهام، ومعناه، لا أحد أصدق من الله في حديثه ولا أحد أصدقِ من الله قولاً ولا خبرًا وهذا إخبار منه تعالى بأن حديثه وإخباره وأقواله في أعلى مراتب الصدق، بل هيَ أعلاها، فكل ما قيل في العقائد والعلوم والأعمال مما يناقض ما أخبر الله به فهو باطل لمناقضة الخبر الصادق.

ففي الآيتين:

(١) إثبات صفة الكلام. (٢) أنها صفة له قائمة بذاته يتكلم بها بمشيئته وقدرته. (٣) الرد على من زعم أن كلام الله المعنى النفسي. (٤) إثبات الألوهية. (٥) أنه لا أحد أصدق من الله قولاً ولا خبرًا.

الآية الثالثة:

هذا مما يخاطب الله به عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام قائلاً له يوم القيامة بحضرة من اتخذه وأمه إلهين من دون الله « يا عيسى.. إلخ ».

وهذا تهديد للنصارى وتوبيخ وتقريع على رؤوس الأشهاد، وهذا السؤال لإظهار براءة عيسى ابن مريم عليه السلام وتسجيل الكذب والبهتان على هؤلاء الظالمين.

ففي الآية:

إثبات القول لله سبحانه وأنه يقول متى شاء إذا شاء وأن الكلام والقول المضاف إلى الله سبحانه قديم النوع حادث الآحاد، وفيه دليل على أنه سبحانه يتكلم بحرف وصوت

كما يليق بجلاله، (٢) الرد على من زعم أن كلام الله هو المعنى النفسي إذ المعنى المجرد لا يسمع.

الآية الرابعة:

قد تطلق الكلمة على الجملة والطائفة من القول في غرض واحد فإذا كتب أحد أو خطب في موضوع ما، قيل كتب أو قال كلمة، وكانوا يسمون القصيدة كلمة، وقالوا كلمة التوحيد يعنون « لا إله إلا الله »، وقال ﷺ أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد يريد قوله. الأكل شيء ما خلا الله باطل.

والمعنى:

وتمت كلمة ربك صدقًا فيما قال، وعدلاً فيما حكم، فهو صدق في الإخبار وعدل في الطلب فكل ما أخبر به فهو حق لا مرية فيه ولا شك وكل ما أمر به فهو العدل الذي لا عدل سواه وكل ما نهى عنه فباطل فإنه لا ينهى إلا عن مفسدة كما قال: ﴿ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ والمراد بكلمة ربك: أمره ونهيه ووعده ووعيده فما وعد به رسوله من النصر وما أوعد به المستهزئين من الخذلان والهلاك، كما تم في الرسل وأعدائهم من قبل كما قال: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ، إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ، وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ فتمامها صدقًا هو حصولها على الوجه الذي أخبر به، وتمامها عدلاً باعتبار أنها جزاء للكافرين المعاندين للحق بما يستحقون، وللمؤمنين بما يستحقون أيضًا، وقد يزادون على ذلك فضلاً من الله ورحمة وقوله: ﴿ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ قال ابن عباس: لا راد لقضائه ولا مغير لحكمه ولا خلف لوعده.

والخلاصة:

أنه لا يستطيع أحد من الخلق أن يبدل كلمات الله بكلمات أخرى تخالفها أو تمنع صدقها، ولا يستطيع أن يصرفها عما أراده الله بها قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ﴾ وقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾. وقال: ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ ﴾.

وكلمات الله نوعان: النوع الأول: كونية قدرية وهي التي استعاذ بها النبي ﷺ في قوله:

« أعوذ بكلمات الله التامة التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر » وقوله: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً ﴾

قال ابن القيم:

والله ربـــي لم يـــزل متكلمًـــا	وكلامـــه المســـموع بـــالآذان
صـــدقًا وعـــدلاً أحكمـــت كلماتـــه	طلبًـــا وإخبـــارًا بـــلا نقصـــان
ورســوله قــد عــاذ بالكلمــات مــن	لــدغ ومــن عــين ومــن شــيطان
أيعـــوذ بـــالمخلوق حاشـــاه مـــن	شـــرك وهـــو معلـــم الإيمـــان
بـل عـاذ بالكلمـات وهـي صـفاته	ســـبحانه ليســـت مـــن الأكـــوان

النوع الثاني:

الكلمات الدينية وهي القرآن وشرع الله الذي بعث به رسوله وهي أمره ونهيه، وقوله: ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ أي السميع لأقوال العباد العليم بحركاتهم وسكناتهم الذي يجازي كل عامل بعمله، وتقدم الكلام على اسمه تعالى السميع واسمه العليم.

ففي الآية أمور:

(١) إثبات الربوبية. (٢) إثبات صفة الكلام لله. (٣) أنه ليس لكلمات الله مبدل ولا معقب في الدنيا ولا في الآخرة. (٤) أنه لا أحد أصدق ولا أعدل من الله عز وجل. (٥) إثبات صفة السمع. (٦) إثبات صفة البصر. (٧) الحث على مراقبة الله. (٨) حفظ كلمات الله وأحكامها. (٩) أنه لا أحسن من كلمات الله ولا أبلغ ولا أصدق منها. (١٠) الحث على العدل. (١١) النهي عن الكذب. (١٢) النهي عن الجور. (١٣) أن أحكام الله نافذة على كل الخلق. (١٤) أن الله لا يخلف الميعاد. (١٥) التسلية للنبي ﷺ. (١٦) الوعيد لمن خالف الرسول. (١٧) الرد على من أنكر صفة الكلام. (١٨) الرد على من قال أن القرآن كلام محمد أو جبريل أو غيرهما. (١٩) في الآية معجزة لأن الله أخبر أنه لا مبدل لكلماته ووقع كما أخبر. (٢٠) إثبات قدرة الله. (٢١) الرد على من أنكر صفة العلم كالجهمية والقدرية. (٢٢) الرد على من أنكر صفة السمع كالجهمية ونحوهم.

الآية الخامسة والسادسة، والسابعة:

خصص الله موسى عليه السلام بهذه الصفة تشريفًا له ولذا يقال له الكليم، وهذا دليل على أن التكليم الذي حصل له عليه السلام أخص من مطلق الوحي ثم أكده بالمصدر الحقيقي رفعًا لما توهمه المعطلة من أنه إلهام أو إشارة أو تعريف للمعنى النفسي بشيء غير التكليم، فأكده بالمصدر المفيد تحقيق النسبة ورفع توهم المجاز.

ففي الآية أمور:

(١) إثبات صفة الكلام. (٢) إثبات الألوهية. (٣) إثبات الربوبية. (٤) تخصيص موسى بهذه الصفة تشريفًا له. (٥) الرد على من زعم أن كلام الله المعنى النفسي. (٦) دليل على أن الله لم يزل متكلمًا إذا شاء متى شاء كيف شاء. (٧) دليل على أن نوع الكلام قديم فكلام الله سبحانه قديم النوع حادث الآحاد وهو نوعان قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ وكقوله: ﴿ **إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾ وهذا النوع يقال له الكوني القدري.

والنوع الثاني:

الديني الشرعي، وذلك قوله: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ** ﴾ الآية، وكقوله: ﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** ﴾ والشرعي هو الذي منه الكتب المنزلة على رسله وكلامه سبحانه نوعان بلا واسطة وذلك كلام الله لموسى وككلامه للأبوين آدم وحواء وكلامه [1]لجبريل ؟

والنوع الثاني ما كان بواسطة إما بالوحي للأنبياء وإما بإرساله إليهم رسولاً يكلمهم من أمره بما يشاء قال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ** ﴾.

الآية الثامنة:

النداء، الصوت الرفيع: والنجاء: الصوت الخفي، والطور: اسم جبل بين مصر ومدين،

---

(١) قال مؤلف هذا الكتاب محمد تقي الدين ويضاف إلى ذلك كلامه مع نبينا محمد ﷺ في فرض الصلوات ليلة الإسراء.

الأيمن: من موسى في وقت مسيره أو الأيمن أي الأبرك من اليمن والبركة، وفي تفسير القرطبي: وكانت الشجرة في جانب الجبل عن يمين موسى حين أقبل من مدين إلى مصر قاله القرطبي وغيره.

فإن الجبال لا يمين لها ولا شمال وقوله: ﴿ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ أي منا نجيا.

ففي الآية:

إثبات صفة الكلام لله وأنه يتكلم بحرف وصوت يليق بجلاله إذ لا يعقل النداء إلا من كان حرفًا وصوتًا وقد استفاضت الآثار عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين من أئمة السنة بذلك.

قال ابن القيم:

والله قد نادى الكليم وقبله	سمع الندا في الجنة الأبوان
وأتى الندا في تسع آيات له	وصفا فراجعها من القرآن
أيصح في عقل وفي نقل ندا	ء ليس مسموعًا لنا بآذان
أم أجمع العلماء والعقلاء من	أهل اللسان وأهل كل لسان
أن النداء الصوت الرفيع وضده	فهو النجاء كلاهما صوتان

وفي الآية أمور:

(١) إثبات النداء. (٢) الرد على من زعم أن كلام الله المعنى النفسي إذ المعنى المجرد لا يسمع. (٣) تخصيص موسى بهذه الصفة تشريفًا له.

الآية التاسعة: أي اذكر حالة موسى الفاضلة وقت نداء الله حين كلمة ونبأه وأرسله فقال: ﴿ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ يعني الذين ظلموا أنفسهم بالمعصية والكفر والتكبر في الأرض والعلو على أهلها وادعى كبيرهم الربوبية وظلموا بني إسرائيل باستعبادهم وساموهم سوء العذاب.

ففي الآية أمور:

(١) إثبات صفة الكلام لله. (٢) إثبات الربوبية. (٣) الرد على من زعم أن كلام الله المعني النفسي. (٤) أنه سبحانه يتكلم بحرف وصوت إذ لا يعقل النداء إلا ما كان حرفًا

وصوتًا. (٥) الرد على من قال أن القرآن كلام محمد ﷺ أو غيره.

الآية العاشرة:

قال الله تعالى معاتبًا وموبخًا لآدم وحواء على ترك التحفظ والحيطة والتدبر في العواقب: ﴿ **وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴾ أي ظاهر العداوة لكما فإن أطعتماه أخرجكما من الجنة ؟

ففي الآية أمور:

(١) إثبات صفة الكلام وأنه بحرف وصوت. (٢) إثبات الربوبية. (٣) الأمر بالتحفظ والحيطة والتدبر في الأمور.

الآية الحادية عشرة:

قال (ك) على هذه الآية: النداء الأول عن سؤال التوحيد، وهذا فيه إثبات النبوات ماذا كان جوابكم للمرسلين إليكم وكيف كان حالكم معهم وهذا كما يسأل العبد في قبره من ربك ومن نبيك وما هو دينك فأما المؤمن فيشهد أن لا إله الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وأما الكافر فيقول هاه هاه لا أدري ولهذا لا جواب له يوم القيامة غير السكوت لأن من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى اهـ.

أفادت هذه الآية: أمورًا:

(١) إثبات صفة الكلام لله. (٢) أنه يتكلم بحرف وصوت يليق بجلاله. (٣) إثبات البعث والرسالة والحشر والجزاء على الأعمال. (٤) إثبات النداء. (٥) إثبات القول. (٦) الرد على من زعم أن كلام الله المعنى النفسي إذ المعنى المجرد لا يسمع.

قال بعض العلماء: من زعم أن كلام الله هو المعنى النفسي زعم أن الله لم يرسل رسولاً ولم ينزل كتابًا، وقال آخر: من زعم أن كلام الله هو المعنى النفسي فقد زعم أن الله أخرس، وقال ابن حجر في شرح (خ): ومن نفي الصوت فقد زعم أن الله لم يسمع أحدًا من ملائكته ولا رسله كلامًا بل ألهمهم إياه إلهامًا.

وقال ابن القيم: ولفظ النداء الإلهي قد تكرر في الكتاب والسنة تكرارًا مطردًا متنوعًا تنوعًا يمتنع حمله على المجاز فأخبر تعالى أنه نادى الأبوين في الجنة ونادى كليمه وأنه ينادي

عباده يوم القيامة وقد ذكر الله النداء في تسعة مواضع من القرآن أخبر فيها عن ندائه بنفسه ولا حاجة إلى أن يقيد النداء بالصوت فإنه بمعناه وحقيقته باتفاق أهل اللغة فإذا انتفى الصوت انتفى النداء قطعًا كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: « إذا قضي الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير. وروي (د) عن عبد الله قال. قال رسول الله ﷺ: « إذا تكلم الله بالوحي سمعت السموات صلصلة كجر السلسلة على الصفوان فيصعقون ولا يزالون حتى يأتيهم جبرائيل فإذا جاءهم جبرائيل فزع عن قلوبهم فيقولون لجبرائيل ماذا قال ربك قال الحق فينادون الحق الحق » وإسناده ثقات، وقد فسر الصحابة الآية بما يوافق هذا الحديث الصحيح.

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأبو يعلي الموصلي عن عبد الله بن أنيس قال: « فينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان » وفي تفسير شيبان عن قتادة: ﴿ **فَلَمَّا جَاءهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ** ﴾ قال: صوت رب العالمين، ذكره بن خزيمة والأحاديث والآثار عن السلف كثيرة في ذلك جدًا، وتقدم حديث أبي سعيد في الصحيح الذي بلغناه الصحابة والتابعون وتابعوهم وسائر الأمة تلقته بالقبول وتقييده بالصوت إيضاحًا وتأكيدًا كما قيد التكلم بالمصدر في قوله تعالى: ﴿ **وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا** ﴾ وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « إذا أحب الله عبدًا نادى جبريل أن الله قد أحب فلانًا فأحبه » الحديث والذي تعقله الأمم من النداء إنما هو الصوت المسموع كما قال تعالى: ﴿ **وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ** ﴾ وقال: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ** ﴾ وهذا النداء هو رفع أصواتهم الذي نهى الله عنه المؤمنين وأثنى عليهم بغضها في قوله: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ** ﴾ الآية، وكل ما في القرآن العظيم من ذكر كلامه وتكليمه وأمره ونهيه دال على أنه تكلم حقيقة لا مجازًا، وكذا نصوص الوحي الخاص كقوله: ﴿ **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ** ﴾ وقد نوع الله هذه الصفة في إطلاقها عليه تنويعًا يستحيل معه نفي حقائقها بل ليس في الصفات الإلهية، أظهر من صفة الكلام والعلو والفعل والقدرة بل حقيقة الإرسال تبليغ كلام الرب

تبارك وتعالى وإذا انتفت منه حقيقة الكلام انتفت حقيقة الرسالة والنبوة، والرب تبارك وتعالى يخلق بكلامه وقوله كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ فإذا انتفت حقيقة الكلام (انتفى) الخلق وقد عاب الله آلهة المشركين بأنها لا تكلم عابديها، ولا ترجع إليهم قولاً، والجهمية وصفوا الرب تبارك وتعالى بصفة هذه الآلهة، وقد ضرب الله تعالى لكلامه واستمراره ودوامه المثل بالبحر يمده من بعده سبعة أبحر وأشجار الأرض كلها أقلام فيفنى المداد والأقلام ولا تنفد كلماته.

أفهذه صفة من لا يتكلم ولا يقوم به كلام ؟ فإذا كان كلامه وتكليمه وخطابه ونداؤه وقوله وأمره ونهيه ووصيته وعهده وإذنه وحكمه وأخباره وشهادته كل ذلك مجاز لا حقيقة له بطلت الحقائق كلها فإن الحقائق إنما حقت بكلمات تكوينية ويحق الحق بكلماته ولو كره المجرمون، فما حقت الحقائق إلا بقوله وفعله، وقال في النونية:

والله عز وجل موص آمر	ناه منبئ مرسل لبيان
ومخاطب ومحاسب ومنبيء	ومحدث ومخبر بالشان
ومكلم متكلم بل قائل	ومحذر ومبشر بأمان
هاد يقول الحق يرشد خلقه	بكلامه للحق والإيمان
فإذا انتفت صفة الكلام فكل هـ	ـذا منتف متحقق البطلان
وإذا انتفت صفة الكلام كذلك	الإرسال منفي بلا فرقان
فرسالة المبعوث تبليغ كلا	م المرسل الداعي بلا نقصان

ومما يؤخذ من الآية المتقدمة:

الرد على من زعم أن كلام الله هو معني قائم بذاته لا يتجزأ ولا يتبعض فإن الامر لو كان كما زعموا لكان سمع جميع كلام الله، والرد علي من زعم أن كلام الله مخلوق وأنه من صفاته فان صفاته داخلة في مسمي اسمه فليس الله اسما لذات لا سمع ولا بصر ولا حياة ولا كلام لها فكلامه وحياته وقدرته داخلة في مسمي اسمه فهو سبحانه بصفاته الخالق وما سواه المخلوق.

الآية الثانية عشرة:

استجارك: طلب جوارك أي حمايتك وأمانك، فأجره: أي فأمنه، ومأمنه: أي مسكنه الذي يأمن فيه وهو دار قومه.

المعني:

وإن إستجارك أحد من المشركين فأجره، أي كن جارا له، مؤمنا محاميا حتى يسمع كلام الله ويتدبره حق تدبره ويقف علي حقيقة ما تدعو إليه.

ويستنبط من الآية:

دليل علي أنه إذا استأمن مشرك ليسمع القرآن وجب تأمينه ليعلم دين الله وتنشر الدعوة، وإثبات الألوهية، وإن الكلام إنما ينسب إلي من قاله مبتدأ لا من قال مبلغا مؤديا ؟ وإن الآية حجة صريحة لمذهب السلف أن القرآن منزل غير مخلوق لأن الله تعالي هو المتكلم به وإنما أضافه إلي نفسه إضافة الصفة إلي موصوفها.

ودليل علي بطلان مذهب المعتزلة ومن أخذ بقولهم الباطل أن القرآن مخلوق مستدلين علي بدعتهم بقوله تعالي: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ فيدخل في عموم (كل) فيكون مخلوقا، وهذا من أعجب العجب فان أفعال العباد كلها عندهم غير مخلوقة لله تعالي وإنما يخلقها العباد جميعها فأخرجوها من عموم كل شيء وأدخلوا كلام الله في عمومها مع أنه صفة من صفاته به تكون الأشياء المخلوقة إذ بأمره تكون المخلوقات قال تعالي: ﴿ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ ففرق بين الخلق والأمر فلو كان الأمر مخلوقا للزم أن يكون مخلوقا بأمر آخر إلي ما لا نهاية له فيلزم التسلسل وهو باطل، وطرد باطلهم أن تكون جميع صفاته تعالي مخلوقة كالعلم والقدرة وغيرها وذلك صريح الكفر وكيف يصح أن يكون متكلما بكلام يقوم بغيره ولو صح ذلك للزم أن يكون ما أحدثه من الكلام في الجمادات كلامه، وكذلك أيضا ما خلقه في الحيوان بل يلزم أن يكون متكلما بكل كلام خلقه في غيره زورا كان أو كذبا أو كفرا وهذيانا، تعالي الله عن ذلك، وقد طرد هذا الاتحادية فقال ابن عربي:

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه

ولو صح أن يوصف أحد بصفة قامت بغيره لصح أن يقال للبصير أعمى وللأعمى بصير، لأن البصير قد قام وصف العمى بغيره والأعمى قد قام وصف البصي بغيره، ولصح أن يوصف الله بالصفات التي خلقها في غيره من الألوان والروائح والطعوم والطول والقصر ونحو ذلك.

قال ابن القيم:

احتج المعتزلة على مخلوقية القرآن بقوله تعالى: ﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ونحو ذلك من الآيات فأجاب الأكثرون أنه عام مخصوص يخص محل النزاع كسائر الصفات من العلم ونحوه.

قال ابن عقيل في الإرشاد: ووقع لي أن القرآن لا يتناوله هذا الإخبار ولا يصلح لتناوله، قال: لأنه به حصل عقد الأعلام بكونه خالقًا لكل شيء وما حصل به عقد الأعلام والأخبار لم يكن داخلاً تحت الخبر ؟

قالوا: ولو أن شخصًا قال لا أتكلم اليوم كلامًا إلا كان كذبًا لم يدخل أخباره بذلك تحت ما أخبر به، قلت: ثم تدبرت هذا فوجدته مذكورًا في قوله تعالى في قصة مريم ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ وإنما أمرت بذلك لئلا تسأل عن ولدها.

فقولها: ﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ به حصل أخبار بأنها لا تكلم الإنس، ولم يكن ما أخبرت به داخلاً تحت الخبر وإلا كان قولها مخالفًا لنذرها اهـ.

وأما استدلالهم بقوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ فما أفسده من استدلال فإن جعل إذا كانت بمعنى خلق يتعدى إلى مفعول واحد كقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ وإذا تعدى إلى مفعولين لم يكن بمعنى خلق قال تعالى: ﴿ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً ﴾ وكذلك قوله: ﴿ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ وما أفسد استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ نُودِي مِن شَاطِئِ الْوَادِي الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴾ على أن الكلام خلقه الله في الشجرة فسمعه موسى وعموا عما قبل هذه الكلمة وما بعدها فإن الله تعالى قال: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي مِن شَاطِئِ الْوَادِي الأَيْمَنِ ﴾ والنداء هو الكلام من بعد ما

سمع موسى النداء من حافة الوادي.

ثم قال: ﴿ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴾ أي أن النداء كان في البقة المباركة من عند الشجرة، ومن لابتداء الغاية ولو كان الكلام مخلوقًا في الشجرة لكانت الشجرة هي القائلة يا موسى إني أنا الله رب العالمين، ولو كان هذا الكلام بدأ من غير الله لكان قول فرعون أنا ربكم الأعلى صدقًا، إذ كل من الكلامين عندهم مخلوق قد قاله غير الله، وقد فرقوا بين الكلامين على أصولهم الفاسدة أن ذلك كلام خلقه الله في الشجرة وهذا كلام خلقه فرعون فحرفوا وبدلوا واعتقدوا خالقًا غير الله اهـ.

من شرح الطحاوية:

أما قوله تعالى في عيسى عليه السلام ﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ فالمعنى أنه خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم فنفخ فيها الروح فعيسى ناشيء عن الكلمة وليس هو نفس الكلمة، وقوله تعالى: ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ يعني أنه كائن منه تعالى أي هو موجده وخالقه فهو روح من الأرواح التي خلقها الله.

كما قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ أي مخلوق بأمره.

الآية الثالثة عشرة:

الفريق الجماعة من الناس ولا واحد له من لفظه يحرفون: يغيرون وتقدم معنى التحريف وبيان أقسامه وضابط كل قسم وأمثلته من بعد ما عقلوه أي عرفوه وفهموه وضبطوه، أعني كلام الله التوراة.

والمعنى لهذه الآية الكريمة:

أنسيتم أفعالهم وأعمالهم فتطمعون أن يؤمن لكم هؤلاء اليهود وقد كان جماعة منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه، أي يتأولونه على غير تأويله من بعد ما عقلوه، أي فهموه على الجلية، ومع هذا فهم يخالفونه على بصيرة وهم يعلمون أنهم مخطؤون فيما ذهبوا إليه من تحريف.

ويستنبط من الآية:

إثبات صفة الكلام وإثبات الألوهية والذم لمن يحرف كلام الله وأن التحريف من صفات

اليهود وقطع لأطماع المؤمنين من إيمان هؤلاء وفيها دليل على تعمدهم وسوء قصدهم وإبطال لما عساه أن يتعذر لهم من سوء الفهم وفي الآية دليل على تعمق الفسق والعصيان في اليهود. والرد على من زعم أن الله لا يتكلم. والرد على من قال أن القرآن مخلوق وأن الكلام إنما ينسب إلى من قاله متبدئًا لا من قاله مبلغًا مؤديًا، والرد على من قال أن القرآن كلام محمد.

الآية الرابعة عشرة:

المعنى: يريدون أن يبدلوا كلام الله أي وعد الله لأهل الحديبية. وذلك أن الله وعدهم أن يعوضهم من غنيمة مكة غنيمة خيبر وفتحها وأن يكون ذلك مختصًا بهم دون غيرهم. وأراد المخلفون أن يشاركوهم في ذلك.

ثم قال قل يا محمد لهم لن تتبعونا. أي إلى خيبر وهذا خبر بمعنى النهي، وقوله تعالى: ﴿ **كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ** ﴾ أي من قبل عودتنا إليكم، أن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب.

ويفهم من الآية:

إثبات صفة الكلام لله وإثبات القول لله سبحانه وإثبات الألوهية لله سبحانه وحده وأن الكلام إنما ينسب إلى من قاله مبتدئًا والرد على من قال أن الله لا يتكلم. والرد على من قال أن القرآن كلام محمد ﷺ أو كلام ملك أو بشر.

وفيها دليل على بطلان قول المعتزلة ومن أخذ بقولهم أن القول مخلوق.

الآية الخامسة عشرة:

اتل: اتبع ما أوحي: أي اتبع ما أوحي إليك.

الوحي لغة: الإعلام بخفاء، وفي الاصطلاح: إعلام الله أنبياءه بالشيء أما بكتاب أو رسالة أو ملك أو منام أو إلهام، من كتاب ربك: أي القرآن، لا مبدل لكلماته: أي لا مغير ولا محرف ولا مزيل لها، ملتحدًا: ملتجأ يلتجئ إليه.

المعنى:

يقول تعالى لرسوله ﷺ واتل الكتاب الذي أوحي إليك وألزم العمل به واتبع ما فيه

من أمر ونهي فإنه الكتاب الجليل المخصوص بمزية الحفظ من التغيير والتبديل فإن أنت لم تتبع القرآن وتتله وتعمل بأحكامه لن تجد معدلاً تعدل إليه ومكانًا تميل إليه.

ويستنبط من الآية:

تعظيم القرآن، والحث على الإقبال على القرآن وتدبره وتفهمه والعمل به، وإثبات الربوبية لله، وأن القرآن لا يستطيع أحد أن يغير ما فيه، وأن الكتاب هو القرآن خلافًا للكلابية فإنه سبحانه سمي نفس مجموع اللفظ والمعنى قرآنًا وكتابًا وكلامًا. والرد على من قال أن القرآن كلام محمد أو ملك أو بشر أو غير ذلك والحث على الالتجاء إلى الله في كل الأمور لأنه الملجأ وحده وإثبات قدرة الله وأنها محيطة بجميع خلقه فلا يقدر على الهرب من أمر أراده به.

الآية السادسة عشرة:

يقول تعالى مخبرًا عن كتابه العزيز وما اشتمل عليه من الهدى والبيان والفرقان أنه يقص على بني إسرائيل وهم حملة التوراة والإنجيل أكثر الذي هم فيه يختلفون كاختلافهم في عيسى وتبيانهم فيه فاليهود افتروا والنصارى غلوا فجاء القرآن بالقول الوسط الحق العدل أنه عبد من عباد الله ونبي من أنبيائه ورسله الكرام.

يفهم من الآية:

دليل عظمة هذا الكتاب وهيمنته على الكتب السابقة وتوضيحه لما وقع فيها من اشتباه واختلاف.

وأنه جاء حكمًا على بني إسرائيل فيما اختلفوا فيه فأبان لهم الحق والرد على من قال أن كلام الله هو المعنى النفسي.

ووجوب الرجوع إلى القرآن وأتباعه.

وأن الاختلاف متقدم في الأمم وإثبات صفة الكلام لله.

والرد على من أنكر صفة الكلام أو أولها بتأويل باطل.

الآية السابعة عشرة:

يقول جل شأنه مخبرًا عن عظمة هذا الكتاب وهذا كتاب أي القرآن أنزلناه يعني على

محمد ﷺ مبارك أي كثير الخير والمنافع دائم البركة يبشر بالثواب والمغفرة والرحمة ويزجر عن الأفعال القبيحة والمعصية.

ففي هذه الآية: دليل على إثبات صفة الكلام، والحث على تدبر القرآن والاعتناء بما فيه من أحكام وإرشادات، ولطف الله بخلقه حيث أنزل إليهم هذا الكتاب العظيم، وإثبات قدرة الله، والرد على الجهمية القائلين أن القرآن مخلوق، ودليل لقول أهل السنة أن القرآن منزل غير مخلوق، ودليل علو الله على خلقه، وفيه رد على من قال أن القرآن كلام محمد أو جبريل أو بشر أو غير ذلك، ورد على من قال أن القرآن مخلوق كالمعتزلة ومن أخذ بقولهم. وأن القرآن كثير الخير دائم المنفعة والبركة وفيه رد على من قال أن كلام الله المعني النفسي.

الآية الثامنة عشرة:

يقول تعالى معظمًا لأمر القرآن ومبينًا علو شأنه وقدره وأنه حقيق بأن تخشع له القلوب وتتصدع عند سماعه لما فيه من الوعد والوعيد الأكيد: ﴿ **لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ** ﴾ أي من شأنه وعظمته وجودة ألفاظه وقوة معانيه وبلاغته واشتماله على المواعظ التي تلين لها القلوب أنه لو أنزل على جبل من الجبال لرأيته مع كونه في غاية الصلابة وضخامة الجرم وشدة القسوة خاشعًا متصدعًا أي منقادًا متذللاً متشققًا من خوف الله.

ويستنبط من الآية:

علو شأن القرآن وقوة تأثيره لما فيه من المواعظ والزواجر، وتوبيخ الإنسان على قسوة قلبه وقلة خشوعه حين قراءته للقرآن وتدبر ما فيه من القوارع التي تذل لها الجبال الراسيات. وفيه دليل لمذهب السلف من أن القرآن منزل غير مخلوق، ودليل على علو الله على خلقه. والرد على من قال أن القرآن مخلوق كالمعتزلة ونحوهم.

أنه سبحانه خلق في الجمادات إدراكًا بحيث تخشع وهذا حقيقة كما دلت على ذلك الأدلة ولا يعلم كيفية ذلك إلا الله.

والحث على الخوف من الله والخشوع عند سماعه لكلام الله وفيها رد على من قال أن كلام الله المعنى النفسي، والرد على من قال أنه كلام جبريل أو بشر أو غير ذلك وإثبات الألوهية.

الآية الأخيرة:

قوله: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً ﴾ إلخ.. التبديل: رفع الشيء ووضع غيره مكانه. وتبديل الآية نسخها بأخرى، روح القدس: جبريل، لأنه ينزل بما يطهر القلوب. بالحق: بالصدق والعدل، ليثبت: أي ليزيدهم يقينا وإيمانًا، البشرى والبشارة هو أول خبر سار بشر به إنسان سمي بذلك لبدو بشرته، والمراد جبر الرومي غلام ابن الحضرمي، كان قد قرأ التوراة والإنجيل، وكان النبي ﷺ يجلس عنده إذا آذاه أهل مكة.

والإلحاد الميل، أي يميلون ويشيرون، لسان: أي لغته وكلامه وأطلق اللسان على القرآن لأن العرب تطلق اللسان وتريد به الكلام فتؤنثها وتذكرها.

ومنه قول الشاعر:

لسان السوء تهديها إلينا وحنت وما حسبتك أن تحينا

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ ﴾ أي ثناء باقيًا.

أعجمي: العجمية في لسان العرب الإخفاء وضد البيان، فالأعجمي المراد به الذي لا يفصح وإن كان ينزل البادية.

المعنى:

هذا شروع منه سبحانه في حكاية شبه كفرية ودفعها. أي وإذا نسخنا حكم آية فأبدلنا مكانه حكم آية أخرى والله أعلم بالذي هو أصح فيما ينزل، قال المشركون لرسوله إنما أنت متقول على الله، تأمر بشيء ثم تنهى عنه، وأكثرهم لا يعلمون ما في التبديل من حكم بالغة ثم قال تعالى مبينًا لهؤلاء المعترضين على حكمة النسخ الزاعمين أن ذلك لم يكن من عند الله وأن الرسول افتراه: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ ﴾ الآية، أي قل لهم يا محمد قل جاء جبريل بما أتلوه عليهم من عند ربي على مقتضى حكمته البالغة من تثبيت المؤمنين وتقوية إيمانهم بما فيه من أدلة قاطعة وبراهين ساطعة على وحدانية خالق الكون وباهر قدرته وواسع علمه وجعله هاديًا وبشارة للمسلمين الذين آمنوا بالله ورسوله.

ثم قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ ﴾ إنما يعلم محمدًا القرآن بشر من بني آدم غير ملك، ثم أجاب سبحانه عن قولهم هذا فرد عليهم وكذبهم في قيلهم فقال: ﴿ لِّسَانُ

الَّذي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ أي أن لسان الذي تميلون وتشيرون إليه بأنه يعلم محمدًا أعجمي أي لا يتكلم بالعربية، والقرآن كلام عربي تفهمونه بأدنى تأمل فكيف يكون الذي يقوله أعجميًا ؟ فهذا القول لا يقوله من له أدنى مسكة من عقل وفي التشبث بمثل هذه المطاعن الركيكة والخرافات الساذجة أبلغ دليل على أنهم بلغوا غاية العجز:

فـدعهم يزعمـون الصبح لـيلاً أيعمـى العـالمون عـن الضـياء

ويستنبط من الآية الكريمة:

إثبات النسخ، وأنه لحكمة ومصلحة، وإثبات صفة العلم لله تعالى، وإثبات الألوهية، وإثبات علو الله على خلقه، ودليل لمذهب أهل السنة والجماعة أن القرآن منزل غير مخلوق، والرد على من زعم أنه مخلوق، والرد على من قال أنه كلام ملك أو بشر أو غير ذلك، والرد على من قال أنه خلقه في جسم من الأجسام المخلوقة كما هو قول الجهمية، والرد على من قال أنه فاض على النبي ﷺ كما يقوله طوائف من الفلاسفة، وأن السفير بين الله ورسوله محمد ﷺ هو جبريل عليه السلام.

والرد على من قال أن كلام الله هو المعنى النفسي فإن جبريل سمعه من الله والمعنى المجرد لا يسمع، والدليل على أن القرآن نزل باللغة العربية وتكلم الله بالقرآن بها، والتوبيخ للمعترضين والإيمان إلى أن التبديل لم يكن للهوى بل للحكمة التي اقتضت ذلك، وإبطال شبه المعترضين، وإثبات صفة الربوبية، وأن القرآن نزل بالصدق والعدل وأن القرآن نافع للخلق كل النفع في دينهم ودنياهم، فيه تثبت العقائد وتطمئن القلوب.

وأن فيه الهداية من الزيغ والضلالات ففيه ما يهذب النفوس ويكبح جماح الطغيان ويرد الظالم عن ظلمه ويدفع عدوان الناس بعضهم على بعض.

وأن فيه بشارة للمسلمين بما سيلقونه من الجنات التي تجري من تحتها الأنهار.

وأن قدح الجاهل لا عبرة به لأن القدح في الشيء فرع عن العلم به وقدح هؤلاء عن جهل وعناد وهذه عادة الغبي إذا سمع شيئًا لم يفهمه ولم يعلمه قدح فيه فإذا عاب إنسان قولاً صحيحًا فذلك لأنه لم يفهمه وإنما أتى من قبل قريحته وهذا معنى رائع بديع قال تعالى:

﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾ وقال المتنبي أخذًا من هذه الآية:

وكـم مـن عائـب قـولا صـحيحًا وآفتـه مـن الفهـم السـقيم

ولكـن تأخـذ الأذهـان منـه على قـدر القريحـة والعلـوم

أخذه الآخر فقال:

والـنجم تستصـغر الأبصـار رؤيتـه والذنب للطرف لا للنجم في الصـغر

وقال الآخر:

كـم مـن كـلام قـد تضـمن حكمـة نـال الكسـاد بسـوق مـن لا يفهـم

ومما يؤخذ من الآية الكريمة:

أن القرآن نزل بالتدريج كما تشعر به صيغة التفعيل في الموضعين: والتنويه بروح القدس وهو جبريل عليه السلام المنزه عن الخيانة والكذب، والرد على من أنكر صفة العلم أو أولها بتأويل باطل. والرد على القدرية النافين لعلم الله، والتهديد والمأخذ من قوله: ولقد نعلم إلخ.

مسألة الكلام

افترق الناس في مسألة الكلام على عدة أقوال: أحدها: مذهب الجهمية والمعتزلة: أن القرآن مخلوق.

الثاني:

الكلابية وأتباعهم من الأشاعرة: أن القرآن نوعان ألفاظ ومعاني، فالألفاظ مخلوقة وهي هذه الألفاظ الموجودة والمعاني قديمة قائمة بالنفس، وهي معنى واحد لا تبعض فيه ولا تعدد أن عبر عنه بالعربية كان قرآنًا وأن عبر عنه بالعبرانية كان توراة وأن عبر عنه بالسريانية كان أنجيلا، وأنه لا يتعلق بمشيئته وقدرته.

الثالث:

الكرامية: أنه متعلق بالمشيئة والقدرة قائم بذات الرب وهو حروف وأصوات مسموعة وهو حادث بعد أن لم يكن وأخطؤوا في قولهم أن له ابتداء في ذاته.

الرابع:

الماتريدية: أن كلامه يتضمن معنى قائمًا بذات الله هو ما خلقه في غيره وهذا قول أبي منصور.

الخامس:

مذهب الاتحادية: أن كل كلام الله نظمه ونثره حقه وباطله وسحره وكفره والسب والشتم والهجر والفحش وأضداده كله عين كلام الله تعالى القائم بذاته قال ابن القيم حاكيًا كلام الاتحادية:

وأتت طوائف الاتحاد حملة	طمت على ما قال كل لسان
قالوا كلام الله كل كلام هـ	ـذا الخلق من جن ومن إنسان
نظمًا ونثرًا زوره وصحيحه	صدقًا وكذبًا واضح البطلان
فالسب والشتم القبيح وقذفهم	للمحصنات وكل نوع أغان
والنوح والتغريد والسحر المبـ	ـين وسائر الهذيان
هو عين قول الله جل جلاله	وكلامه حقًا بلا نكران
إذ أصلهم أن الإله حقيقة	عين الوجود وعين ذي الأكوان

السادس:

مذهب السالمية: انه صفة قائمة بذات الله لازمة له كلزوم الحياة ولا يتعلق بالمشيئة والقدرة ومع ذلك هو حروف وأصوات وسور وآيات لا يسبق بعضها بعضا بل مقترنة: الياء مع السين مع الميم في آن واحد لم تكن معدومة في قوت من الأوقات ولا تعدم بل هي لم تزل قائمة بذات الله.

السابع:

مذهب الصابئة والمتفلسفة أن كلام الله هو ما يفيض على النفوس من المعاني، أما من العقل الفعال عند بعضهم أو من غيره.

الثامن:

أنه تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء. وهو يتكلم بصوت يسمع،

وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديمًا وهو المأثور عن أئمة الحديث والسنة.

قال ابن القيم:

وإذا أردت مجامع الطرق التي	فيها افتراق الناس في القرآن
فمد أرها أصلان قام عليهما	هذا الخلاف هما له ركنان
هل قوله بمشيئة أم لا وهل	في ذاته أم خارج هذان
أصل اختلاف جميع أهل الأرض	في القرآن فاطلب مقتضى البرهان

سورة هود

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الآية: ٦].

قال (ك): أخبر تعالى أنه متكفل بأرزاق المخلوقات من سائر دواب الأرض صغيرها وكبيرها بحريها وبريها وأنه يعلم مستقرها ومستودعها أي يعلم أين منتهى سيرها في الأرض وأين تأوي إليه من وكرها وهو مستودعها.

وقال على بن أبي طلحة وغيره عن ابن عباس ﴿ **وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا** ﴾ أي حيث تأوي ﴿ **وَمُسْتَوْدَعَهَا** ﴾ حيث تموت، وعن مجاهد ﴿ **مُسْتَقَرَّهَا** ﴾ في الرحم ﴿ **وَمُسْتَوْدَعَهَا** ﴾ في الصلب كالتي في الأنعام.

وكذا روي عن ابن عباس والضحاك وجماعة.

وذكر ابن أبي حاتم أقوال المفسرين ههنا كما ذكره عند تلك الآية فالله أعلم وأن جميع ذلك مكتوب في كتاب عند الله مبين عن جميع ذلك.

كقوله: ﴿ **وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ** ﴾.

وقوله: ﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ**

مِن وَرَقَةٍ إلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾.

وفي الكواشف الجلية:

وقوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ الآية. وقوله: ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾، وقوله: ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلا تَضَعُ إلاَّ بِعِلْمِهِ ﴾ وقوله: ﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ في هذه الآية دليل على إثبات صفة العلم وهي الصفات الذاتية وعلمه سبحانه شامل لكل شيء ومحيط به فيعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.

قال ابن القيم:

وهو العليم أحاط علمًا بالذي ... في الكون من سرو من إعلان

وبكل شيء علمه سبحانه ... فهو المحيط وليس ذا نسيان

وكذاك يعلم ما يكون غدًا وما ... قد كان والموجود في ذا الآن

في الآية الأولى إثبات علم الله فهو سبحانه يعلم ما يدخل في الأرض من المياه ، الكنوز والأموات والبذور والوحوش وبني آدم في الكهوف وغير ذلك ويعلم ما ينزل من السماء من نبات ومعادن ومياه وأموات وأبخرت وغير ذلك ويعلم ما ينزل من السماء من ملائكة وأمطار ومصائب وحر وبرد وغير ذلك وما يعرج فيها من حفظة وأعمال وقد أنكر غلاة القدرية علم الله القديم وأنه يعلم الأشياء قبل وقوعها وقد اشتد إنكار السلف عليهم وقالوا ناظروهم بالعلم فإن أقروا به خصموا وإن جحدوه كفروا، وقال الإمام « حم » في رده على الجهمية والزنادقة.

فان قال الجهمى ليس له علم كفر. وإن قال لله علم محدث كفر حيث زعم أن الله قد كان في وقت من الأوقات لا يعلم حتى أحدث له علما فعلم.

فان قال لله علم وليس مخلوقا ولا محدثا رجع عن قوله كله وقال بقوله أهل السنة.

والدليل العقلي علي علمه تعالي أنة يستحيل إيجاده الاشياء مع الجهل ولان إيجاده الاشياء بإرادة، والإرادة تستلزم تصور المراد، وتصور المراد هو العلم بالمراد فكان إيجاده مستلزما للعلم.

ولأن المخلوقات فيها من الأحكام والإتقان ما يستلزم علم الفاعل لها لان الفعل المحكم المتقن يمتنع صدوره عن غير علم ولان من المخلوقات ما هو عالم والعلم صفة كمال ويمتنع أن لا يكون الخالق عالما.

وهذا له طريقان: أحدهما أن يقال نحن نعلم بالضرورة أن الخالق أكمل من المخلوقات وأن الواجب أكمل من الممكن ونعلم أنا لو فرضنا شيئين أحدهما عالم كان العالم أكمل، فلو لم يكن الخالق عالما لزم أن يكون الممكن أكمل منه وهو ممتنع.

الثاني:

أن يقال كل علم في الممكنات التي هي المخلوقات فهو منه وهو من الممتنع أن يكون فاعل الكامل ومبدعه عاريًا منه بل هو أحق به والله تعالى له المثل الأعلى ولا يستوي هو والمخلوق في قياس تمثيلي ولا في قياس شمولي بل كل ما ثبت للمخلوق من كمال فالخالق أولى به وأحق، وكل نقص تنزه عنه مخلوق ما فتنزه الخالق عنه أولى.

قال ابن القيم:

وكمال من أعطى الكمال بنفسه أولى وأجدر عند ذي العرفان
أيكون قد أعطى الكمال وما له ذاك الكمال أذاك ذو إمكان
أيكون إنسان سميعًا مبصرًا متكلمًا بمشيئة وبيان
وله الحياة وقدرة وإرادة والعلم بالكلى والأعيان
والله قد أعطاه ذاك وليس هذا وصفه فأعجب من البهتان

ما يؤخذ من الآية الكريمة:

إثبات صفة العلم، والرد على القدرية، والرد على المعتزلة حيث قالوا عليم بلا علم.

وإحاطة علمه بكل شيء فلا تخفى عليه خافية والرد على الجهمية والقدرية المنكرين لصفة العلم، والرد على من زعم أن الله يعلم الكليات دون الجزئيات، ودليل على علو الله

على خلقه، وإثبات صفة الكلام لله، ودليل على عظمته ودليل على قدرة الله، والحث على مراقبة الله في السر والعلانية، ودليل على المعية العامة، وإثبات صفة البصر، ودليل على البعث والحساب والجزاء على الأعمال، وإثبات الألوهية لله، ودليل على سعة علم الله، وإثبات صفة الحياة.

الآية الثانية:

هذه الآية من أعظم الآيات تفصيلاً لعلم الله المحيط.

والمعنى أن عنده سبحانه خاصة مخازن الغيب أو المفاتيح التي يتوصل بها إليه فهو الذي يحيط بها علمًا وسواه جاهل لا يعلم منها شيئًا إلا ما علمه فقوله: ﴿ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ ﴾ جملة مؤكدة لمضمون الجملة الأولى.

قال المناوي: فمن ادعى علم شيء منها كفر وخص علم ما في البر والبحر بالذكر لأنهما من أعظم مخلوقات الله ولكنهما أكثر ما يشاهده الناس ويتطلعون لعلم ما فيها، والخلاصة: أنه سبحانه يعلم الغيب والشهادة والأحوال الظاهرة والباطنة والرطبة واليابسة.

روي (خ) عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: « مفاتح الغيب خمس » ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾.

يؤخذ من الآية:

إثبات صفة العلم ورد على المعتزلة وإثبات اللوح المحفوظ ودليل على عظمة الله وسعته في أوصافه وأن اللوح المحفوظ محيط بالأشياء كلها والرد على من أنكر صفة العلم من جهمية ومعتزلة ورد على القدرية الذين يزعمون أن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها وإثبات صفة الكلام لله والمأخذ من أن الله هو الذي تكلم به وقال: ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ﴾ الآية.

وأن الله يعلم المنظور والمحجوب والمعلوم والمجهول وجميع ما في الزمان والمكان على السواء فلا يخفى عليه شيء جل وعلا.

والحث على خوف الله والرد على من زعم أن النبي ﷺ يعلم الغيب، والرد على القدرية الذين يزعمون أن الله لا يعلم الأشياء قبل وقوعها وإثبات اللوح المحفوظ وأن اللوح المحفوظ

محيط بالأشياء كلها ودليل على علو الله على خلقه والمأخذ من قوله: ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ﴾ والتعميم الشامل للموت والحياة والذبول والأزهار وأن حركات البذور والنماء المنشقة من الغور إلى السطح ومن كمون إلى اندفاع يعلمها الله، وفيها ما يدفع أباطيل الكهان والمنجمين والرمالين ونحوهم المدعين ما ليس من شأنهم ولا يدخل تحت قدرتهم ولا يحيط به علمهم.

وتنبيه المكلفين إلى عدم إهمال أحوالهم المشتملة على الثواب والعقاب.

وذكر البر لأن الإنسان قد شاهد أحواله وكثرة ما فيه.

والحث على المراقبة في السر والعلانية، وإثبات قدرة الله وأنه لا يعجزه شيء، وذكر البحر وكثرة ما فيه لأن الحس يدل على أن عجائب البحار في الجملة أكثر وطولها وعرضها أعظم وما فيها من الحيوانات وأجناس المخلوقات أعجب.

ودليل على أن الله يعلم الكليات والجزئيات فلا تخفى عليه خافية وكما قال سبحانه: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾. ﴿ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾.

وأخبر سبحانه عن أشياء لم تكن وستكون كأخباره عن محاجة أهل النار قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴾ الآيات الثلاث وقال: ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا ﴾ الآيات السبع، إلى غير ذلك من الآيات، وأنه يفهم من الآية أن معلومات ما في البر وما في البحر حقير في جنب ما دخل في عموم وعنده مفاتيح الغيب.

الآية الثالثة: المعنى: « لا يكون حمل ولا وضع إلا والله عالم به سبحانه يعلم في أي يوم تحمل وفي أي يوم تضع فلم يخرج عن علمه وتدبيره، ويعلم هل هو ذكر أو أنثى ».

ففي الآية:

إثبات صفة العلم وانفراده سبحانه بعلم ما في الأرحام وعلم مدته فيها، والرد على من أنكر صفة العلم أو أولها بتأويل باطل. وصفة الكلام لله.

الآية الرابعة:

اللام متعلقة بخلق أو بتنزل أو بمقدر أي فعل ذلك لتعلموا أنه بالغ القدرة لا يعجزه شيء فهذا عام يتناول أفعال العباد من الطاعات وكل شيء، ومن كمال قدرته تعالى أنه إذا شاء فعل من غير ممانع ولا معارض فجميع الأشياء منقادة لقدرته تابعة لمشيئته ولا يخرج عن علمه شيء منها كائنًا ما كان وانتصاب علمًا على المصدرية أو صفة لمصدر محذوف.

ففي الآية:

إثبات صفة العلم وإثبات قدرة الله وإثبات الألوهية وعموم قدرته تعالى، وسعة علمه سبحانه، وإرشاد الخلق إلى التفكر والعلم النافع، والحقوق من الله القادر على كل شيء، والحث على مراقبة الله سرًا وعلانية، والرد على الجهمية والمعتزلة المنكرين لعلمه المحيط بكل شيء، والرد على القدرية القائلين أن أفعال العباد غير داخلة في قدرة الله، وإثبات صفة الكلام لله لأن الله هو الذي تكلم بالآية.

وفي أول الآية ما يدل على صفة الخلق، وفيه ما يدل على علو الله على خلقه، وحلم الله على الكافر والعاصي، وأن العباد لا يقدرون الله حق قدره وإلا لما عصوه وهو قادر على إهلاكهم في لحظة.

سورة الفرقان

الباب الأول

قوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الآية: ٥٨].

قال (ك) أي في أمورك كلها كن متوكلاً على الله الحي الذي لا يموت أبدًا الذي **﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾** الدائم الباقي السرمدي الأبدي الحي القيوم رب كل شيء ومليكه اجعله ذخرك وملجأك، وهو الذي يتوكل عليه ويفزع إليه فإنه كافيك وناصرك ومؤيدك ومظفرك كما قال تعالى: **﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾**.

وروي ابن أبي حاتم بسنده إلى شهر بن حوشب قال. لقي سلمان النبي ﷺ في بعض فجاج المدينة فسجد له فقال. لا تسجد لي يا سلمان واسجد للحي الذي لا يموت، وهذا مرسل حسن.

وقوله تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ﴾ أي أقرن بين حمده وتسبيحه.

ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول: « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك » أي أخلص له العبادة والتوكل كما قال تعالى: ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً ﴾ وقال تعالى: ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾ أي بعلمه التام الذي لا يخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة.

وقال المحقق محمد حسن القنوجي في فتح البيان:

وتوكل في استكفاء شرورهم والاستغناء عن أجورهم ﴿ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ ﴾ فإنه الحقيق بأن يتوكل عليه وخص صفة الحياة إشارة إلى أن الحي الدائم هو الذي يوثق به في المصالح والمنافع ودفع المضار ولا حياة على الدوام إلا لله سبحانه دون الإحياء المنقطعة حياتهم فإنهم إذا ماتوا ضاع من يتوكل عليهم وقرأها بعض الصالحين فقال لا يصح لذي عقل أن يثق بعدها بمخلوق.

والتوكل، اعتماد العبد على الله في كل الأمور.

والأسباب، وسائط أمر بها من غير اعتماد عليها.

« وسبح » أي نزهه عن صفات النقصان مقترنًا « بحمده » وقيل معنى سبح: صل والصلاة تسمى تسبيحًا، ﴿ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾ أي حسبك وهذه كلمة يراد بها المبالغة كقولك، كفى بالله ربا، والخبير المطلع على الأمور بحيث لا يخفى عليه منها شيء.

فلا لوم عليك إن آمنوا أو كفروا.

وقيل معناه أنه لا يحتاج معه إلى غيره لأنه خبير عالم قدير على مكافأتهم وفيه وعيد شديد. كأنه قال إذا أقدمتم على مخالفة أمره كفاكم علمه في مجازاتكم بما تستحقون من العقوبة اهـ.

وقال تعالى في سورة المؤمن رقم ٦٥: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

قال (ك) أي هو الحي أزلا وأبدا لم يزل ولا يزال وهو الأول والآخر والظاهر والباطن ﴿ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ أي لا نظير له ولا عديل له ﴿ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ أي موحدين له مقرين بأنه لا إله إلا هو ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

روى الإمام (حم) و (م) و «د» و «ن» بسندهم عن عبد الله بن الزبير أنه كان يقول في دبر كل صلاة حين يسلم. « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ».

قال وكان رسول الله ﷺ يهلل بهن دبر كل صلاة أ هـ.

وتقدم قوله تعالى في آية الكرسي: ﴿ اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ مع تفسيرها، وفي الكواشف الجلية للشيخ عبد العزيز المحمد السلمان.

وقوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ ﴾ التوكل اعتماد القلب على الله في جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة بالله وفعل الأسباب، أي وتوكل على الرب الدائم الباقي رب كل شيء ومليكه واجعله ملجأ وذخرا لك وفوض أمرك إليه واستسلم له واصبر على ما نابك فيه فإنه كافيك وناصرك ومبلغك ما تريد.

قال ابن القيم: أجمع القوم: على أن التوكل لا ينافي الأسباب فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها وإلا فهو باطل. وتوكل فاسد.

وقال سهل بن عبد الله: من طعن في الحركة فقد طعن في السنة ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان.

فالتوكل: حال النبي ﷺ والكسب سنته فمن عمل على حاله فلا يتركن سنته.

والتوكل: ينقسم إلى قسمين:

الأول: التوكل على الله: فهو من أشرف أعمال القلوب واجلها.

الثاني: التوكل على غيره سبحانه، وينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول:

التوكل على غير الله في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله.

كالتوكل على الأموات والطواغيت في جلب رزق أو دفع ضر أو نصر أو نحو ذلك فهذا شرك أكبر:

الثاني:

التوكل في الأسباب الظاهرة. كمن يتوكل على أمير أو سلطان فيما أقدره الله عليه من رزق أو دفع ضر ونحو ذلك. فهذا النوع شرك أصغر.

الثالث:

توكيل الإنسان غيره في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه.

فهذه الوكالة الجائزة لكن ليس له أن يعتمد عليه بل يتوكل على الله في تيسير أمره وذلك من جملة الأسباب الجائزة.

وقال الشيخ: أعراض القلب عن الطلب من الله والرجاء له يوجب انصراف قلبه عن العبودية لله لا سيما من كان يرجو المخلوق ولا يرجو الخالق بحيث يكون قلبه معتمدا أما على رئاسته وجنوده وأتباعه ومماليكه وأما على أهله وأصدقائه وإما على أمواله وذخائره وأما على ساداته وكبرائه كمماليكه، وملكه، وشيخه، ومخدومه وغيرهم ممن هو قد مات أو يموت.

قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ ﴾ وقال: القلب لا يصلح ولا يسر ولا يلتذ ولا يطيب ولا يسكن ولا يطمئن إلا بعبادة ربه وحبه والإنابة إليه ولو حصل كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن ولم يسكن إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه من حيث هو معبوده ومحبوبه ومطلوبه وبذلك يحصل له الفرح والسرور واللذة والنعمة والسكون والطمأنينة.

وهذا لا يحصل إلا بإعانة الله له ولا يقدر على تحصيل ذلك له إلا الله فهو دائما مفتقر إلى حقيقة: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ فهو مفتقر إليه من حيث هو المطلوب المحبوب المعبود ومن حيث هو المستعان به المتوكل عليه فهو إلهه لا إله له غيره وهو ربه ولا رب

له سواه ولا تتم عبوديته إلا بهذين أ هـ.

ما يؤخذ من الآية الكريمة:

إثبات صفة الحياة وهي من الصفات الذاتية فحياته سبحانه أكمل حياة وأتمها ويستلزم ثبوتها ثبوت كل كمال يضاد نفيه كمال الحياة وخصص صفة الحياة إشارة إلى أن الحي هو الذي يوثق به في المصالح ولا حياة على الدوام إلا لله سبحانه دون الأحياء المنقطعة حياتهم. فإنهم إذا ماتوا ضاع من يتوكل عليهم.

والأمر بالتوكل على الله. والرد على من أنكر صفة الحياة أو أولها بتأويل باطل. وإثبات البقاء لله. فهو الآخر ليس بعده شيء وإثبات صفة الكلام وأن القرآن كلام الله لا كلام محمد ولا جبريل ولا غيرهما. وقوله تعالى.

﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ الحكيم مأخوذ من الحكمة وله معنيان:

أحدهما:

بمعنى القاضي العدل الحاكم بين خلقه بأمره الديني الشرعي وأمره الكوني القدري وله الحكم في الدنيا والآخرة.

والمعنى الثاني:

أنه المحكم للأمر كي لا يتطرق إليه الفساد.

قال ابن القيم:

الحكمة حكمتان: علمية وعملية، فالعلمية الإطلاع على بواطن الأشياء ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها خلقا وأمرًا وقدرًا وشرعًا.

والعملية وضع الشيء في موضعه أهـ.

وحكمته سبحانه صفة قائمة به كسائر صفاته من سمعه وبصره ونحو ذلك وهي تنقسم إلى قسمين: أحدهما في خلقه وهو نوعان:

الأول:

أحكام هذا الخلق وإيجاده في غاية الإحكام والإتقان:

الثاني:

صدوره لأجل غاية محمودة مطلوبة له سبحانه التي أمر لأجلها وخلق لأجلها الثانية، الحكمة في شرعه وتنقسم إلى قسمين:

الأول:

كونها في غاية الإحسان والإتقان.

الثاني:

كونها صدرت لغاية مطلوبة وحكمة عظيمة يستحق عليها الحمد.

وأما الخبير، فهو من الخبرة بمعنى كمال العلم ووثوقه والإحاطة بالأشياء على وجه الدقة، فالعلم عندما يضاف إلى الخفايا الباطنية يسمى خبرة ويسمى صاحبها خبيرا.

والله سبحانه لا يجري في الملك والملكوت شيء ولا تتحرك ذرة فما فوقها وما دونها ولا تسكن ولا تضطرب نفس ولا تطمئن إلا وعنده من ذلك خبرة.

ففي الآية:

إثبات صفة الحكمة وإثبات صفة الخبرة والحث على مقام المراقبة والرد على من قال إنه يعلم الكليات دون الجزئيات، والرد على القدرية نفاة العلم والرد على الجهمية وإثبات صفة الكلام وإثبات الحياة وإحاطه علم الله بكل شيء، أهـ.

وقال صاحب الكواشف ص ٧٣.

وقوله: وما وصف به نفسه في أعظم آية في كتابه حيث يقول: ﴿ **اللَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** ﴾.

ولهذا من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح»، أخبر ﷺ أن هذه الآية أعظم آية في كتاب الله وذلك لاشتمالها على أجل المعارف وأوسع الصفات.

فأخبر أنه المتوحد في الألوهية المستحق لإخلاص العبودية، وأنه الحي الكامل كامل الحياة.

وذلك يقتضي كمال عزته وقدرته وسعة علمه وشمول حكمته وعموم رحمته وغير ذلك من صفات الكمال الذاتية، وأنه القيوم الذي قام بنفسه واستغنى عن جميع مخلوقاته وقام بالموجودات كلها فخلقها وأحكمها ورزقها ودبرها وأمدها بكل ما تحتاج إليه وهذا الاسم يتضمن جميع الصفات العلمية ولهذا ورد أن الحي القيوم هو الاسم الأعظم الذي إذا دعي الله به أجاب وإذا سئل به أعطي، بدلالة الحي على الصفات الذاتية والقيوم على الصفات الفعلية والصفات كلها ترجع إليهما.

ومن كمال قيوميته أنه لا تأخذه سنة ولا نوم والسنة النعاس. وهو الذي يتقدم النوم من الفتور وانطباق العينين ويكون في الرأس فإذا وصل إلى القلب صار نومًا، والنوم غشية ثقيلة تقع على القلب تمنعه معرفة الأشياء فلا يحس ولا يشعر بها.

ثم ذكر عموم ملكه للعالم العلوي والسفلي، ومن تمام ملكه أن الشفاعة كلها له فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ففيها ذكر الشفاعة التي يجب إثباتها وهي التي تقع بإذنه لمن ارتضى.

والشفاعة المنفية التي يعتقدها المشركون وهي ما كانت تطلب من غير الله أو بغير إذنه، فمن كمال عظمته سبحانه أن لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه.

ولا يأذن إلا لمن ارتضى قوله وعمله وبين أن المشركين لا تنفعهم شفاعة الشافعين.

ثم ذكر سعة علمه وأحاطته وأنه لا تخفي عليه خافية من الأمور ولا بينة وأما الخلق فإنهم لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، وهو ما أطلعهم عليه من الأمور الشرعية والقدرية، وهو جزء يسير جدًا في علوم الباري ومعلوماته كما قال أعلم الخلق، وهم الرسل والملائكة ﴿ **سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا** ﴾.

وكما قال الخضر: يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور في البحر.

ثم أخبر سبحانه عن عظمته وجلاله وأن كرسيه الذي هو موضع القدمين لله وسع السموات والأرض وما فيهما، وأنه حفظهما وأسكنهما عن الزوال والتزلزل وجعلهما على نظام بديع جامع للأحكام والمنافع المتعددة التي لا تحصى.

والصحيح أن الكرسي غير العرش، وأنه في العرش كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض ومع ذلك فلا يؤوده حفظهما، أي لا يثقله ولا يكرثه حفظهما، أي حفظ العالم العلوي والسفلي وذلك لكمال قدرته وقوته.

﴿ **وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** ﴾ ختم سبحانه هذه الآية بهذين الاسمين الجليلين فهو سبحانه الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه على الذات بكونه فوق جميع الخلق على العرش استوى، وعلو القدر إذ أن له كل صفة كمال وله من تلك الصفة أعلاها وغايتها، العظيم الذي له جميع أوصاف العظمة والكبرياء وله العظمة والتعظيم الكامل في قلوب أنبيائه وملائكته وأصفيائه فلا أعظم منه ولا أكبر.

قال الشيخ: يجب أن يعلم أن العالم العلوي والسفلي بالنسبة إلى الخالق تعالى في غاية الصغر كما دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة ولا نسبة لها في عظمة الباري بوجه من الوجوه وهي في قبضته أصغر من الخردلة في كف الإنسان والخليقة مفطورة على أنها تقصد ربها في جهة العلو لا تلتفت عن ذلك يمنة ولا يسرة وجاءت الشريعة بالعبادة والدعاء بما يوافق الفطرة بخلاف ما عليه أهل الضلال من المشركين والصابئين من المتفلسفة وغيرهم فإنهم غيروا الفطرة في العلم والإرادة جميعًا اهـ.

فحقيق بآية احتوت على هذه المعاني الجليلة أن تكون أعظم آيات القرآن، وأن يكون لها من المنع وحفظ قارئها من الشرور والشياطين ما ليس لغيرها.

فصل

قال محمد تقي الدين: كل ما يفعله العبد تقربًا إلى الله تعالى إذا فعله لغيره كان مشركا قد اتخذ مع الله إلهاً آخر ومن ذلك الدعاء والاستغاثة والذبح والنذر والقيام والركوع والسجود والخشوع ولذلك نهى النبي ﷺ سلمان الفارسي أن يسجد له أو لغيره من المخلوقين وأخبره أن السجود لا يكون إلا للحي الذي لا يموت.

ولم يصر سلمان مشركا بذلك السجود لأنه لم يكن بعلم أن السجود خاص بالله تعالى ولا سيما وهو فارسي والفرس يسجدون لملوكهم تعظيما لهم وهو يعظم النبي ﷺ أكثر من أي ملك من الملوك.

قال (ك) عند قوله تعالى في سورة يوسف رقم «١٠٠»: ﴿ **وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ** ﴾ الآية قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعني السرير أي أجلسهما معه على سريره ﴿ **وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا** ﴾ أي سجد له أبواه وإخوته الباقون وكانوا أحد عشر رجلا ﴿ **وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ** ﴾ أي التي كان قصها على أبيه من قبل ﴿ **إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا** ﴾ الآية وقد كان هذا سائغا في شرائعهم إذا سلموا على الكبير يسجدون له ولم يزل هذا جائزًا من لدن آدم إلى شريعة عيسى عليه السلام فحرم هذا في هذه الملة وجعل السجود مختصا بجانب الرب سبحانه وتعالى هذا مضمون قول قتادة وغيره.

وفي الحديث أن معاذًا قدم الشام فوجدهم يسجدون لعظمائهم فلما رجع سجد لرسول الله ﷺ فقال « ما هذا يا معاذ ؟ » فقال إني رأيتهم يسجدون لأساقفتهم وأنت أحق أن يسجد لك يا رسول الله فقال « لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها ».

وفي حديث آخر: أن سلمان لقى النبي ﷺ في بعض طرق المدينة وكان سلمان حديث عهد بالإسلام فسجد للنبي ﷺ فقال « لا تسجد لي يا سلمان واسجد للحي الذي لا يموت ».

والغرض أن هذا كان جائزًا في شريعتهم ولهذا خروا له سجدًا، أهـ.

الإيمان بصفتي السمع والبصر لله تعالى:

قال الله تعالى في سورة آل عمران رقم (١٨١).

﴿ **لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ** ﴾.

وقال تعالى في سورة النساء رقم (٥٨).

﴿ **إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا** ﴾.

وقال تعالى في سورة طه رقم (٧).

﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾.

وقال تعالى في سورة طه أيضًا رقم (٤٦).

﴿ قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾.

وقال تعالى في سورة المجادلة.

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾.

وقال تعالى في سورة العلق.

﴿ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾.

قال صاحب الكواشف الجلية: ص ٨٩.

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ من صفات الله تعالى الذاتية السمع والبصر، والسميع والبصير اسمان من أسمائه تعالى وهو تعالى له سمع يسمع به وبصر يبصر به حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته ومعنى اسمه السميع أي الذي لا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفي فيسمع « دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء » فأحاط سمعه بجميع المسموعات سرها وعلا نيتها وقريبها وبعيدها فلا تختلط عليه الأصوات على اختلاف اللغات وعلى تفنن الحاجات وكأنها لديه صوت واحد.

وسمعه تعالى نوعان: أحدهما: سمعه جميع الأصوات كما تقدم والثاني: سمع إجابة منه للسائلين والداعين والعابدين ومنه قوله تعالى عن إبراهيم ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء ﴾.

قال ابن القيم رحمه الله:

وهو السميع يرى ويسمع كل ما	في الكون من سر ومن إعلان
ولكل صوت منه سمع حاضر	فالسر والإعلان مستويان
والسمع منه واسع الأصوات لا	يخفى عليه بعيدها والدان

وأما معنى اسمه تعالى (البصير) أي الذي أحاط بصره بجميع المبصرات فهو سبحانه يشاهدها، ويرى كل شيء وإن خفي، قريبا أو بعيدًا فلا تؤثر على رؤيته الحواجز والأستار

فيرى « دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ».

أي فعليكم أن تعملوا بأمر الله ووعظه، فإنه السميع لجميع الأصوات، البصير بجميع المبصرات، فإذا حكمتم بالعدل فهو سميع لذلك الحكم وإن أديتم الأمانة فهو بصير بذلك.

ففي الآية:

الأمر بحفظ الأمانة – والأمر بادائها، ووعد عظيم للمطيع، ووعيد شديد للعاصي، والاهتمام بحكم القضاة والولاة لأنه فوض النظر في مصالح العباد لهم، والأمر بالعدل وهذا يشمل الحكم بينهم في الدماء والأموال والأعراض القليل والكثير على القريب والبعيد، والبر والفاجر، والعدو والصديق، ووجوب العدل على الحكام والولاة حتى تصل الحقوق إلى أربابها كاملة غير منقوصة. ومدح من الله لأوامره ونواهيه لاشتمالها على مصالح الدارين ودفع مضارهما. وإثبات السمع. وإثبات الأولوهية، وإثبات البصر، وأن أداء الأمانة يشمل أساس الاعتقاد، وأنه يشمل أساس العبادة، وأنه يشمل أساس التعامل بين الناس وأساس العلاقات كلها بين الناس وأول أمانة ترد إلى أهلها أمانة الإيمان، وإثبات صفة الكلام، وأن صفة السمع غير صفة البصر، إذ العطف يقتضي المغايرة، ووجوب أداء الأمانة إلى البر والفاجر، وإثبات البعث، وإثبات الجزاء، على الأعمال، وفيها رد على المعطلة. والتنبيه على مقام الإحسان، والحث على ما هو سبب التآلف. والنهي عن الظلم.

والرد على المعتزلة القائلين سميع بلا سمع بصير بلا بصر، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا.

ودليل على إثبات صفة الكلام لله. ولطف الله بخلقه حيث أرشدهم إلى ما فيه صلاحهم في أمر دينهم. والخوف من الله والمأخذ من قوله سميعا بصيرًا. والرد على من أنكر صفة الكلام أو قال إن كلام الله الكلام النفسي. أهـ

قال محمد تقي الدين: ومن الأدلة على سمع الله وبصره سبحانه وتعالى قوله سبحانه في سورة مريم حكاية عن خليله إبراهيم عليه السلام في سورة مريم رقم (٤٢) ﴿ **إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا** ﴾.

فنفى إبراهيم عن آلهة آزر ثلاث صفات السمع والبصر والقدرة على النفع ومن انتفت عنه هذه الصفات لا يستحق أن يعبد لصممه وعماه وعجزه وقال تعالى في سورة الأنبياء

حكاية عنه أيضا في محاجته لقومه رقم (٥٢) ﴿ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ، قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ، قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾.

فنفى عنهم السمع والقدرة على النفع والضر وذلك يقتضي أنهم مخلوقون، مربوبون والله سبحانه هو السميع البصير النافع الضار المعطي المانع المحيي المميت له الملك لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون.

قدرة الله تعالى

قال الله تعالى في آخر سورة البقرة: ﴿ لِّلَّهِ ما فِي السَّمَاوات وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

قال (ك) يخبر تعالى أنه له ملك السموات والأرض وما فيهن وما بينهن وأنه المطلع على ما فيهن لا تخفى عليه الظواهر ولا السرائر والضمائر وإن دقت وخفيت واخبر أنه سيحاسب عباده على ما فعلوه وما أخفوه في صدورهم كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ وقال ﴿ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ والآيات في ذلك كثيرة جدا، وقد أخبر في هذه بمزيد على العلم وهو المحاسبة على ذلك ولهذا لما نزلت هذه الآية اشتد ذلك على الصحابة وخافوا منها ومن محاسبة الله لهم على جليل الأعمال وحقيرها وهذا من شدة إيمانهم وإيقانهم.

قال الإمام (حم) و (م) بسنديهما عن أبي هريرة، قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿ لِّلَّهِ ما فِي السَّمَاوات وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾. اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ ثم جثوا على الركب وقالوا يا رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها.

فقال رسول الله ﷺ. أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا ؟ بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ».

فلما أقر بها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في إثرها ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾

فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل الله:

﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ إلى آخره.

وقال تعالى في سورة الحديد:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

قال (ك) يخبر تعالى أنه يسبح له ما في السموات والأرض أي من الحيوانات والنباتات كما قال في الآية الأخرى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ أي الذي قد خضع له كل شيء ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ في خلقه وأمره وشرعه﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾.

أي هو المالك المتصرف في خلقه فيحيي ويميت ويعطي من يشاء ما يشاء ﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ أي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

وقوله تعالى: ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾ وهذه الآية هي المشار إليها في حديث عرباض بن سارية أنها أفضل من ألف آية.

وقال (د) بسنده إلى أبي زميل قال سألت ابن عباس فقلت ما شيء أجده في صدري ؟ قال ما هو ؟ قلت والله لا أتكلم به، قال فقال لي أشيء من شك ؟ قال وضحك قال ما نجا من ذلك أحد، قال حتى أنزل الله تعالى: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ الآية.

قال وقال لي إذا وجدت في نفسك شيئًا فقل: ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

وقد اختلفت عبارات المفسرين في هذه الآية وأقوالهم على نحو بضعة عشر قولا، وقال (خ) قال يحيي: الظاهر على كل شيء علما والباطن على كل شيء علما.

وقال شيخنا الحافظ المزي: يحي هذا هو ابن زياد الفراء له كتاب سماه معاني القرآن.

وقد ورد في ذلك أحاديث فمن ذلك ما رواه (حم) ومسلم بسنديهما عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يدعو عند النوم: « اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء، منزل التوراة والإنجيل والفرقان، خالق الحب والنوى لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن ليس دونك شيء، اقض عنا الدين، واغننا من الفقر.

فصل

قال محمد تقي الدين: في هذا الباب فوائد:

الأولى:

الدليل على أن قدرة الله لا حد لها، فهو على كل ما يشاؤه قدير وكل من سواه عاجز عن كل شيء.

الثانية:

إنه يملك كل شيء فهو المالك وما سواه مملوك وهو الغني وكل ما سواه فقير إليه.

الثالثة:

شمول علمه تعالي لكل شيء.

الرابعة:

قوة إيمان الصحابة وخوفهم عند نزول هذه الآية.

الخامسة:

إن الله تعالي أمن خوفهم بعدما تأدبوا بأدب رسوله الكريم وقالوا: سمعنا وأطعنا

غفرانك ربنا وإليك المصير والأدعية التي بعدها. فاستجاب لهم وأعطاهم ما سألوه.

السادسة:

نفهم من حديث ابن عباس أن الله سبحانه رحيم بعباده لا يؤاخذهم علي ما توسوس به أنفسهم إلا إذا تكلموا أو عملوا به.

السابعة:

دواء الوسوسة أن يقول من حصل له شيء منها ﴿ **هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾.

الثامنة:

الدعاء العظيم الذي كان يدعو به النبي ﷺ عند النوم وينبغي لنا جميعا أن ندعو به.

ودلائل القدرة في الكتاب والسنة لا تعد ولا تحصي..

صفة الغني

من صفات الله تعالي التي اتفقت عليها الرسل وجميع العقلاء المؤمنين بالله أن الله غني عن خلقه غني تاما مطلقا وأن جميع خلقه محتاجون إليه في إيجادهم من العدم وحفظ وجودهم وإمدادهم بكل ما يحتاجون إليه قال تعالي في سورة الزمر رقم٦.

﴿ **خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا من بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ، إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** ﴾.

قال (ك): يخبر تعالي أنه الخالق لما في السموات والأرض وما بين ذلك من الأشياء وبأنه مالك الملك المتصرف فيه يقلب ليله ونهاره ﴿ **يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ** ﴾ أي سخرهما يجريان متعاقبين لا يفترقان كل منهما يطلب الآخر طلبا حثيثا كقوله تبارك وتعالي ﴿ **يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا** ﴾ هذا معني ما روي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدى وغيرهم.

وقوله عز وجل ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ أي إلي مدة معلومة عند الله تعالي ثم ينقضي يوم القيامة ﴿ أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴾ أي مع عزته وعظمته وكبريائه هو غفار لمن عصاه ثم تاب وأناب إليه.

وقوله جلت عظمته ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ أي خلقكم مع اختلاف أجناسكم وأصنافكم وألسنتكم وألوانكم من نفس واحدة وهو آدم عليه الصلاة والسلام ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ وهي حواء عليها السلام كقوله تعالي ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء ﴾.

وقوله تعالي: ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾ أي وخلق لكم من ظهور الأنعام ثمانية أزواج وهي المذكورة في سورة الأنعام ﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ﴾ ﴿ وَمِنَ الإِبْلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ﴾.

وقوله عز وجل ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ أي قدركم في بطون أمهاتكم ﴿ خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلْقٍ ﴾ يكون أحدكم أولا نطفة ثم يكون علقة ثم يكون مضغة ثم يخلق فيكون لحما وعظما وعصبا وعروقا وينفخ فيه الروح فيصير خلقا آخر ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾.

وقوله جل وعلا ﴿ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ﴾ يعني في ظلمة الرحم وظلمة المشيمة التي هي كالغشاء للوقاية علي الولد وظلمة البطن.

كذا قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما.

وقوله جل جلاله ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ﴾ أي هذا الذي خلق السموات والأرض وما بينهما وخلقكم وخلق ءاباءكم هو الرب له الملك والتصرف في جميع ذلك، ﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ أي الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له ﴿ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ أي فكيف تعبدون معه غيره ؟ أين يذهب بعقولكم ؟.

وقوله تعالي ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ﴾ الآية قال (ك): يقول تعالي مخبرا عن نفسه تبارك وتعالي أنه الغني عما سواه من المخلوقات كما قال موسي عليه الصلاة والسلام ﴿ إِن تَكْفُرُواْ أَنتُمْ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ وفي صحيح «م»:

يا عبادي لو أن أولكم وآخر كم وأنسكم وجنكم كانوا علي أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا.

وقوله تعالي ﴿ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ أي لا يحبه.

﴿ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ أي يحبه لكم ويزدكم من فضله.

﴿ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ أي لا تحمل نفس عن نفس شيئا بل كل مطالب بأمر نفسه ؟

﴿ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ أي فلا تخفي عليه خافية اهـ.

وقال تعالي في سورة المتحنة: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ « يعني إبراهيم والذين معه » أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾.

قال (ك) هذا تأكيد لما تقدم ومستثني منه ما تقدم أيضا لأن هذه الأسوة المستثناة ههنا الأولي بعينها.

وقوله تعالى: ﴿ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ ﴾ تهييج إلى ذلك لكل مؤمن بلله والمعاد.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ﴾ أى عما أمر الله به ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ كقوله تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُواْ أَنتُمْ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾.

وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس: الغنى الذي قد كمل في غناه وهو الله هذه صفته لاتنبغي إلا له ليس له كفء وليس كمثله شيء سبحان الله الواحد القهار، والحميد المستحمد إلى خلقه أي هو المحمود في جميع أقواله وأفعاله لا إله غيرة ولا رب سواه، اهـ.

وقال تعالى في سورة التغابن:

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ ؟.

قال (ك): يقول تعالى مخبرًا عن الأمم الماضين وما حل بهم من العذاب والنكال في مخالفة الرسل والتكذيب بالحق فقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ﴾ أي خبرهم

وما كان من أمرهم ﴿ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ ﴾ أي وخيم تكذيبهم ورديء أفعالهم وما حل بهم في الدنيا من العقوبة والخزي ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي في الدار الآخرة مضاف إلى هذا الدنيوي علل ذلك فقال: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ أي بالحجج والدلائل والبراهين: ﴿ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا ﴾ أي استبعدوا أن تكون الرسالة في البشر وأن يكون هداهم على يد بشر مثلهم، ﴿ فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا ﴾ أي كذبوا بالحق ونكلوا عن العمل ﴿ وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ ﴾ أي عنهم ﴿ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ اهـ.

والأدلة على غناه تعالى كثيرة من الكتاب والسنة وشهادة العقول منها قوله تعالى في سورة فاطر:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ، إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ، وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ اهـ.

الأولية بلا بداية والآخرية بلا نهاية

تقدم تفسير قوله تعالى: ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ ﴾ وكل موجود سوى الله تعالى لوجوده بداية وله نهاية بالفعل أو بالإمكان.

قال تعالى في آخر سورة القصص:

﴿ وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾.

قال (ك): وقوله تعالى: ﴿ وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ أي لا تليق العبادة إلا له ولا تنبغي الإلهية إلا لعظمته.

وقوله: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ إخبار بأنه الدائم الباقي الحي القيوم الذي تموت الخلائق ولا يموت كما قال تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ أي إلا إياه.

وقد ثبت في الصحيحين من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل ».

وقال مجاهد والثوري في قوله: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ [١]، وحكاه البخاري في صحيحه كالمقرر له.

قال (ج) ويستشهد من قال ذلك بقول الشاعر:

أستغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد إليه الوجه والعمل

وهذا القول لا ينافي القول الأول فإن هذا إخبار عن كل الأعمال بأنها باطلة إلا ما أريد به وجه الله تعالى من الأعمال الصالحة المطابقة للشريعة، والقول الأول مقتضاه أن كل الذوات فانية وزائلة إلا ذاته تعالى وتقدس فإنه الأول والآخر الذي هو قبل كل شيء وبعد كل شيء.

قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا في كتاب التفكر والاعتبار بسنده إلى ابن عمر أنه كان إذا أراد أن يتعاهد قلبه يأتي الخربة فيقف على بابها فينادي بصوت حزين فيقول: أين أهلك ؟ ثم يرجع إلى نفسه فيقول: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ وقوله: ﴿ لَهُ الْحُكْمُ ﴾ أي الملك والتصرف ولا معقب لحكمه: ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أي يوم معادكم فيجزيكم بأعمالكم إن كان خيرًا فخير وإن شرًا فشر.

قال محمد تقي الدين: ولم أذكر القدم في صفات الله تعالى ولم أصفه بالقديم لأن هاتين الكلمتين مبتدعتان من عبارات أهل الكلام والمتفلسفين وصفات الله تعالى غنية عن عباراتهم بألفاظ الكتاب والسنة فقولنا في حقه سبحانه هو الأول بلا بداية الآخر بلا نهاية يغنينا عن عباراتهم.

لأن القدم يتصف به المخلوق الذي وجد منذ زمان بعيد ونحن لا نصف الله تعالى إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ.

الواحدية والأحدية

يعتقد أهل السنة والجماعة أن الله سبحانه هو الواحد الأحد في ذاته وصفاته وأفعاله قال تعالى في سورة البقرة رقم ١٦٣:

---

(١) أي إلا ما أريد به وجهه.

﴿ وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾.

وقال تعالى في سورة طه رقم ٩٨:

﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾.

وقال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾.

قال (ك) في تفسير آية البقرة يخبر تعالى عن تفرده بالإلهية وأنه لا شريك له ولا عديل له بل هو الله الواحد الفرد الصمد الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، وقد تقدم تفسير هذين الاسمين في أول الفاتحة.

وفي الحديث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد بن السكن عن رسول الله ﷺ أنه قال: « اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿ وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ و ﴿ الم، اللَّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾.

وقال (ك) في تفسير آية طه:

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ يقول لهم موسى عليه السلام ليس هذا إلهكم إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو أي لا يستحق ذلك على العباد إلا هو ولا تنبغي العبادة إلا له فإن كل شيء فقير إليه عبد له وقوله: ﴿ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ نصب على التمييز أي هو عالم بكل شيء: أحاط بكل شيء علمًا وأحصى كل شيء عددًا، فلا يعزب عنه مثقال ذرة. ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾. ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ والآيات في هذا كثيرة جدًا اهـ.

وقال (ك) في تفسير سورة الإخلاص:

روى أحمد (ت) و (ج) عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا للنبي ﷺ يا محمد أنسب لنا ربك فأنزل الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ زاد (ت) و (ج) الصمد الذي لم يلد ولم يولد لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت

وليس شيء يموت إلا سيورث وأن الله عز وجل لا يموت ولا يورث ولم يكن له كفوًا أحد ولم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء.

وروي الإمام (أحم) و (ن) عن حميد بن عبد الرحمن أن رسول الله ﷺ قال: « قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن » وفي حديث آخر: « قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن لمن صلى بها ».

وقال عكرمة: « لما قالت اليهود نحن نعبد عزيرًا ابن الله، وقالت النصارى نحن نعبد المسيح ابن الله، وقالت المجوس نحن نعبد الشمس والقمر، وقالت المشركون نحن نعبد الأوثان أنزل الله على رسوله ﷺ، قل هو الله أحد » يعني الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا وزير ولا نديد ولا شبيه ولا عديل، ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله عز وجل لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ قال عكرمة عن ابن عباس يعني الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم.

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. هو السيد الذي قد كمل في سؤدده والشريف الذي قد كمل في شرفه والعظيم الذي قد كمل في عظمته والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه هذه صفته لا تنبغي إلا له ليس له كفء وليس كمثله شيء سبحان الله الواحد القهار، وقوله تعالى: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ أي ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة، قال مجاهد: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ يعني لا صاحبة له وهذا كما قال تعالى: ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ أي هو مالك كل شيء وخالقه فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه أو قريب يدانيه تعالى وتقدس وتنزه قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا، تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا، أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا، وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا، إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا، لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا، وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾. وقال تعالى:

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ، لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾. وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾.

وفي صحيح (خ): « لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافيهم ».

وقال (خ) بسنده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: قال الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد » اهـ.



الفهرس



فهرس الكتاب